٢٥٠ شاقل

العـــدد
الثامن والستون
كانـــون اول ١٩٨٥

الكاتب ٦٨

للثقافة الإنسانية والتقدم .

DEC 1985

ملف عن ثورة اكتوبـــر :

- الساعات الاولى للثورة .
- المصير التاريخي لثـورة اكتوبـــر والثورة الامريكية .
- مبادئ اكتوبر ومواقف الاتحاد السوفييتي ازاء القضية الفلسطينية في فترة ١٩١٧ – ١٩٤٩ .
- ثورة اكتوبر مهدت الطريق امام تبلور الادب الانساني والتقدمي
- الروح الاشتراكية وسر التقدم العلمي الثقافي السوفييتي .
- ثورة اكتوبر تفتح افاق التطور الاقتصـــادي .
- التربية المدرسية والعطاء العلمي في البلاد العربية .
- بين اسطر رواية "الرعب والجرأة .
- من وراء الارهاب الدولي ؟.
- مشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتـــي .
- الفهرس السنوي للكاتـب .

الذكرى الثامنة والستون
لثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى
- ملف -

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB
For human culture and progress
Editor -
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بسام الصالحي — تيسير عاروري
جميل السلحوت — فضل البورنو
محمد البطراوي — محمود الشيخ

المسؤول الإداري: يحيى شقير

صف ومونتاج: جبر أبو غوش

المراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس
تلفون ٨٥٦٩٢١

الاشتراكات:
بالدولار أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات
المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية
لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

- تكريما لثورة اكتوبر ٢
- ملف عن ثورة اكتوبر ٤
- الساعات الاولى للثورة ٥
. بشير البرغوثي
- المصير التاريخي لثورة اكتوبر والثورة الامريكية ٨
. تيسير العاروري
- مبادئ اكتوبر ومواقف الاتحاد السوفييتي ازاء القضية الفلسطينية في فترة ١٩١٧ – ١٩٤٩ ٢٠
. أسعد الاسعد
- ثورة اكتوبر مهدت الطريق امام تبلور الادب الانساني ٣٣
- الروح الاشتراكية وسر التقدم العلمي التقافي السوفييتي ٤٠
. سمير البرغوثي
- ثورة اكتوبر تفتح افاق التطور الاقتصادي ٤٤

دراسات وأبحاث

. خليل محشي
- التربية المدرسية والعطاء العلمي في البلاد العربية ٤٩

مع الكتب

. عنان يعقوب
- بين اسطر رواية الرعب والجرأة ٦٣
. يحيى شقير
- من وراء الارهاب الدولي ؟

وثائق وشهادات ووقائع ٨١

وثائق

- مشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي "الجزء الاول" ٨٨

نقد ادبي

. ابراهيم جوهر
- حنون امامة يخفيه الضباب ١٠٣

شعر

. محمد العراقي
- في الذكرى التسعين لميلاد الشاعر الروسي العظيم سيرغي يسنين ١٠٦
. ايفان سكالا
- الصداقة ١١٠

متفرقات

- الفهرس العام لاعداد السنة السادسة لمجلة الكاتب ١١٧

شهريات

- قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية ١١٢
- أصداء ثقافية ١١٥

Digitized by Birzeit University Library

تكريماً لثورة أكتوبر

احتفلت البشرية جمعاء بالذكرى السنوية ٦٨ لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، ففي ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ تم الاعلان عن استيلاء العمال والفلاحين وباقي الفقراء والمعدمين على السلطة في روسيا القيصرية مدشنين اول سلطة عمالية في التاريخ البشري .

لم تكن ثورة اكتوبر ظاهرة روسية صرفة كما يحاول المؤرخون والكتاب البرجوازيون تصويرها ، بل هي ظاهرة عالمية وبداية مرحلة تحول تاريخية ، هي بداية عصرالعمال والكادحين وانحسار نفوذ الامبرياليين والرجعيين وانهيار نظامهم الرأسمالي القائم على الاستغلال هذا ما اكده لاحقا انتصار الثورات الاشتراكية في بلدان شرق اوروبا ، وبعدها في فيتنام وكمبوديا ولاوس وكوبا ، وكوريا الشمالية ، منغوليا ، وتوجه الكثير من البلدان المتحررة لتجاوز تخلفها الاجتماعي والاقتصادي بروح مبادئ ثورة اكتوبر الاشتراكية ، في افغانستان واثيوبيا ونيكاراغوا ، واليمن الديموقراطي ، وانغولا وغيرها ..

وعلى صعيدنا العربي اوجدت ثورة اكتوبر اول دولة في العالم تقف بحزم وثبات الى جانب نضال شعوبنا العربية ضد الاستعمار والهيمنة الامبريالية. فمن فضح اتفاقية سايكس ـ بيكو الاستعمارية في السنوات الاولى للدولة السوفييتية الفتية الهادفة الى تقسيم الوطن العربي بين الامبرياليتين الفرنسية والبريطانية الى الانذار السوفييتي الشهير بايقاف العدوان الثلاثي ضد مصر عبد الناصر عام ٥٦ ومن اول صفقة سلاح للبلدان العربية عام ١٩٥٤ الى جسر الامدادات العسكرية الجوى لدمشق والقاهرة في حرب اكتوبر ١٩٧٣

Digitized by Birzeit University Library

ومن السد العالي في مصر الى سد الفرات في سوريا ومن مصانع الحديد والصلب في حلوان الى عشرات المنشآت الصناعية في الجزائر وليبيا واليمن وسوريا وغيرها .. ومن المطالبة بتطبيق قرار التقسيم الداعي الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة في عام ١٩٤٧ الى رفع العلم الفلسطيني عاليا في سماء موسكو بعد اعتبار بعثة منظمة التحرير الفلسطينية سفارة دائمة في الاتحاد السوفييتـــي .

ان مسلسل الدعم السوفييتي المتعدد الجوانب للشعوب العربية وشعبنا الفلسطيني لا يمكن حصره ولا يمكن ان يقف عند حد ، لانه نهج ثابت في سياسة القادة السوفييت ، ابناء ثورة اكتوبر الشرعيين وكان آخرها ، رغم كل الضجيج ، ما تناقلته وسائل الاعلام عن اصرار القيادة السوفييتية على طرح قضية الشرق الاوسط على جدول اعمال القمة الامريكية ـ السوفييتية في جنيف وتأكيد الموقف السوفييتي في اكثر من مناسبة قبل لقاء القمة واثنائها وبعده من اعادة العلاقات مع اسرائيل المشروطة باعترافها بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بالرغم من حملة التشويه والتزييف لهذا الموقف والتي اتسعت المشاركة فيها في مناطقنا باتساع القوى المستعدة للانخراط في الحلول الامريكية للقضية الفلسطينية ، وتعدد اطراف حملة التشكيك من اصحاب المواقف المعروفة بتنكرها لحقوق شعبنا في دولة مستقلة الى اصحاب " "الموقف" الليبراليين الجدد ، ومن توظيف الدين الاسلامي الحنيف في الهجوم على الاتحاد السوفييتي الى استخدام المؤهلات الاكاديمية التي وفرها علم المنطق الفلسفي البرجوازي . ومع ذلك فان ما قدمته ثورة اكتوبر وسلطتها السوفييتية من دعم ومساعدات لشعوبنا العربية ولشعبنا الفلسطيني ستبقى منقوشة في تاريخنا الحديث ولن تمحيها حفنات الغبار التي تثيرها القوى الرجعية والامبريالية .

وتكريما لذكرى هذه الثورة العظيمة وتثمينا للشعب السوفييتي البطل ، وتقديرا للمساعدات والدعم والمواقف الجريئة اتجاه قضايا شعبنا الفلسطيني العادلة ارتأت هيئة تحرير مجلة الكاتب تكريس ملف خاص في هذا العدد لالقاء المزيد من الضوء على هذه المناسبة الجليلة .

Digitized by Birzeit University Library

الذكرى الثامنة والستون
لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى

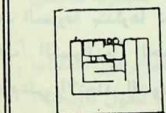

- الساعات الأولى لثورة أكتوبر
- المصير التاريخي لثورة أكتوبر والثورة الأمريكية
- مبادئ أكتوبر ومواقف الاتحاد السوفيتي
- إزاء القضية الفلسطينية في فترة ١٩١٧-١٩٤٩
- ثورة أكتوبر مهدت الطريق أمام تيلور
- الأدب الإنساني التقدمي
- الروح الاشتراكية وسر التقدم العلمي-
- الثقافي السوفيتي.
- ثورة أكتوبر تفتح آفاق التطور الاقتصادي

Digitized by Birzeit University Library

السّاعات الأولى للثـــورة

... وفي وقت متأخر من مساء ٢٤ اكتوبر* غادر لينين شقته السرية واتجه الى سمولني في رفقة راخيا، وقطعا جزءا من الطريق حتى شارع بوتكين في الترام، ثم واصلا الطريق سيرا على الاقدام عبر جسر الليتيني وشارع شباليرنايا. وظهر لينين في سمولني في حوالي الساعة الحادية عشرة مساء، وعلى الفور ابلغت لجنة الحزب المركزية كل الاحياء والافواج والمصانع بوصول لينين. وكان هذا ضروريا، ذلك لان جماهير العمال والبحارة والجنود لا تعرف مكان وجود لينين. وبما انها كانت على علم باختفاء لينين وبان الحكومة تجهد في البحث عنه، وبما ان العمال والجنود ارادوا ان يصل الى بترو جراد بسرعة ليرأس الانتفاضة، فان نبأ اللجنة المركزية اشاع الثقة في نفوس الجماهير، الثقة في النصر على البرجوازية. ويتذكر بودفويسكي هذه الامسية التاريخية فيقول: "بدأ روءساء فصائل الحرس الاحمر والوحدات الثائرة يتوافدون الى لينين من كل انحاء بتروجراد، فقد كان الجميع تواقين للتاكد من ان لينين بينهم ولسماع التعليمات منه شخصيا". واستدعى لينين اعضاء اللجنة العسكرية الثورية وتناقش مع رجال الحرس الاحمر والبحارة والجنود المتوجهين لتنفيذ مهام قتالية، واعطى التعليمات الخاصة بتحقيق خطة الانتفاضة. وكان دائم الاتصال بثلاثي عمليات اللجنة العسكرية الثورية، المكلفين بقيادة الاعمال القتالية.

واندلعت الانتفاضة واخذ لهيبها يتصاعد. ووصل رجال الحرس الاحمر من ضواحي العاصمة. وازداد تعدادهم في بتروجراد حتى وصل ما يقارب الاربعين الف مقاتل. وقدم البحارة الثوريون في اسطول البلطيق زهاء ٢٥ سفينة مقاتلة وما لا يقل عن ١٥ الف مقاتل (من ضمنهم رجال الحرس الاحمر وجنود قلعة كرونشتادت) ليكونوا تحت تصرف اللجنة العسكرية الثورية. وقد اشترك في الانتفاضة حسب المعطيات غير الكاملة ما يقرب من خمسين الف جندي من مجموع جنود حاميات بتروجراد وضواحيها الذي يزيد عن مائتي الف جندي. وبلغ تعداد جيش الثورة ما يزيد عن مائة الف مقاتل، هبوا جميعا لمكافحة البرجوازية. وفي مساء ٢٤ اكتوبر انتقلت الى جانب الثوار كتيبة السيارات المدرعة، التي تشكل قوة قتالية كبرى في معارك الشارع.

وفي صباح ٢٥ اكتوبر كانت القوات الثورية قد احتلت محطات السكك الحديدية: البلطيق وفارسو ونيقولاييفسكي وتسارسكويه سيلو وفنلندا، بالاضافة الى اهم دوائر التليفون والتلغراف والبريد. وبدأ القتال في الخامسة من مساء ٢٤ اكتوبر من اجل الاستيلاء على مبنى التلغراف

* ٢٤ اكتوبر وفق التقويم الشرقي الذي كان مستعملا في روسيا في ذلك الوقت وهو يصادف ٦ تشرين الثاني وفق التقويم الميلادي الغربي المستعمل حاليا، ولهذا سميت بثورة اكتوبر.

Digitized by Birzeit University Library

الرئيسي. وقد وافق الجنود من فوج كيكسجولم حينذاك على الانصياع لاوامر قوميسار اللجنة العسكرية الثورية. وحينما علمت اركان الدائرة العسكرية بذلك، ارسلت فصيلة من اليونكر الى مبنى التلغراف المركزي. لكن جنود كيكسجولم رفضوا تسليم مواقعهم وواصلوا القيام بالحراسة. وفي التاسعة من مساء اليوم نفسه احتلت فصيلة البحارة بقيادة عضو لجنة هلسينجفورس ح ع ا د ر (البلشفي) ستارك مبنى وكالة انباء بتروجراد. وفي الليل حاولت اركان الدائرة العسكرية استعادة وكالة الانباء، لكن محاولتها باءت بالفشل. وشددت قوات الحرس الاحمر وجنود فوج كيكسجولم حراستها على الوكالة. وفي وقت متأخر من الليل تم احتلال مبنى البريد المركزي. وفي الساعة السادسة والنصف من صباح ٢٥ اكتوبر تم الاستيلاء على بنك الدولة. ولماكانت الساعة السابعة من صباح ٢٥ اكتوبر استولت القوات الثورية على محطة التليفون المركزية.

كانت خطة الانتفاضة التي وضعها لينين تتحقق بكل نجاح. واثناء الليل وخلال فترة الصباح وقعت كل الهيئات الحكومية والمحطات الكهربائية ومرافق المدينة في ايدى قوات الثورة. وبذا يكون الثوار قد احكموا قبضتهم على بتروجراد. ووقعت الحكومة المؤقتة التي كانت توجد في قصر الشتاء في مأزق لا مخرج منه. فقد فرض العمال والجنود الثائرون رقابتهم على كل الطرق المفضية الى قصر الشتاء.

وفي الساعة التاسعة من صباح ٢٥ اكتوبر اجاب بولكوفنيكوف قائد الدائرة العسكرية على سؤال عن الوضع في العاصمة وجهه اليه احد الوزراء، فقال ان الوضع حرج حيث ان الحكومة لا تستطيع السيطرة "على اى من الجنود". وابلغ بولكوفنيكوف في برقية بعث بها الى قائد الجبهة الشمالية ان الموقف في المدينة يهدد بالخطر. "لا مصادمات في الشوارع، والنظام قائم، لكن تجرى عملية مخططة للاستيلاء على الدوائر ومحطات السكك الحديدية ويلقي القبض على البعض. لا اوامر تنفذ. يسلم اليونكر اماكن حراستهم دون ما مقاومة، والقوزاق. بالرغم من العديد من الاوامر التي وجهت اليهم. فانهم لم يتحركوا من ثكناتهم حتى الان". وكانت قيادة الدائرة العسكرية ترى ان الانقاذ في مثل هذه الظروف لن يتم الا بوصول الجنود من الجبهة على وجه السرعة. ولم يصل اى عون من الجبهة. فقد وقفت اغلبية الجنود، وخاصة في الجبهتين القريبتين من بتروجراد ـ الشمالية والغربية، الى جانب البلاشفة. وحجز جنود الثورة كتيبتين من كتائب الدراجات بعثت بهما القيادة من الجبهة لدعم الحكومة المؤقتة، وذلك على بعد ٧٠ كيلو مترا من العاصمة.

وفي ٢٥ اكتوبر حققت الانتفاضة المسلحة للعمال والبحارة والجنود الثوريين انتصارها. وفي النداء التاريخي الذى كتبه لينين بعنوان "الى مواطني روسيا!" تم الاعلان عن الاطاحة بالحكومة المؤقتة، وانتقال سلطة الدولة الى هيئة سوفييت بتروجراد ـ اللجنة العسكرية الثورية. وجاء في النداء: "ان القضية التي ناضل الشعب في سبيلها: عرض صلح ديموقراطي على الفور، الغاء الملكية الاقطاعية للارض، رقابة العمال على الانتاج، انشاء حكومة سوفييتية، ان هذه القضية قد تأمنت". وفي نفس اليوم اذاعت محطة اذاعة الطرادة "اوروا" ذلك النداء، كما نشرته جريدة "العامل والجندى"، ثم نشرته كل الصحف الاخرى التي صدرت في بتروجراد في تلك الايام، وكذلك ٢١ صحيفة محلية صدرت في مدن المناطق الاخرى.

Digitized by Birzeit University Library

في الساعة الثانية و ٣٥ دقيقة من بعد ظهر يوم ٢٥ اكتوبر افتتحت في قاعة احتفالات معهد سمولني الجلسة الطارئة لسوفييت بتروجراد . وقد حضر الجلسة علاوة على نواب السوفييت، مندوبون كثيرون كانوا قد جاءوا لحضور مؤتمر عموم روسيا الثاني للسوفييتات، وكذلك ممثلوا سوفييتات احياء بتروجراد ومفوضون من وحدات الحامية والاسطول . واستمع الحاضرون الى تقرير اللجنة العسكرية الثورية عن الوضع الحالي. وحيا الحاضرون وقوفا لينين الذى وصل الى قاعة الاجتماع. وبعد ذلك دوت عاصفة من التصفيق المتواصل لعدة دقائق قطعها الهتاف الحماسي: "يعيش لينين!" . وبعد ان ساد الهدوء القاعة القى لينين بتلك الكلمات التي هزت العالم اجمع " ايها الرفاق! ان ثورة العمال والفلاحين التي تحدث البلاشفة دائما عن ضرورتها ، قد تحققت" واكد لينين في تقرير مختصر، الاهمية البالغة للثورة التي تحققت . وقد قال: " منذ الان فصاعدا يبدأ تاريخ روسيا فترة جديدة، وان هذه الثورة، الثورة الروسية الثالثة يجب ان تؤدى في نهاية الامر الى انتصار الاشتراكية ".

في ذلك الوقت واصل وزراء الحكومة المؤقتة اجتماعهم في قصر الشتاء بالرغم من انهم لم يكونوا واثقين من ان كيرينسكي سيغير من الامر شيئا بعد ان هرب من قصر الشتاء صباح ٢٥ اكتوبر قاصدا الجبهة . وفي نهار ٢٥ اكتوبر اتخذ الوزراء قرارا بمنح عضو الحكومة الكاديتي كيشكين "صلاحيات استثنائية لارساء النظام في العاصمة". وتم تعيين بالتشينسكي، والاشتراكي الثوري روتينبرج مساعدين له .

وقرب قصر الشتاء خاض الجنود والبحارة قتالا ضاريا للاستيلاء على قصر ماريينسكي. وفي حوالي الساعة الواحدة من بعد ظهر ٢٥ اكتوبر تمكن جنود فوج كيكسجولم ومقاتلو الحرس الاحمر والمشاة البحارة، من الاستيلاء على قصر ماريينسكي. واعلن حل البرلمان التمهيدى الذى كان يعقد جلسته في القصر . واستمرت حلقة الحصار تضيق حول قصر الشتاء ومبنى اركان الدائرة العسكرية. وبدأت فصائل الحرس الاحمر الجديدة والوحدات الفرعية للحامية والاسطول تتوافد الى منطقة ميدان دفور تسوفايا . وفي حوالي السادسة مساء اطبقت حلقة الحصار تماما على قصر الشتاء وعلى هيئة اركان دائرة بتروجراد العسكرية .

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٦ اكتوبر ، اقتحم القصر الحرس الاحمر والبحارة والجنود . واضطر اليونكر في البداية الى اخلاء الدور الاول، ثم الادوار التالية فيما بعد وانتشرت القوات الهجومية في ممرات وصالات المبنى. وقد ابدى رجال الحرس الاحمر المؤلف من العمال وعيا بالغا اثناء الهجوم، وحسن تنظيم وضبط نفس. وتم تعيين حراسة على النفائس الفنية في القصر . وفي الساعة الثانية وعشرة دقائق بعد منتصف ليلة ٢٦ اكتوبر وقع القصر كلية في ايدى الثوار الذين القوا القبض على وزراء الحكومة المؤقتة، واودعوهم قلعة بطرس وبولص .

لقد كان انتصار الانتفاضة المسلحة في بتروجراد نتيجة ملموسة لتطبيق التعاليم الماركسية ـ اللينينية عن الانتفاضة كفن في الحياة .

ان يوم ٢٥ اكتوبر، يوم انتصار الانتفاضة في بتروجراد، قد دخل التاريخ كبداية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في البلاد التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ البشرية .

هذا الاقتباس عن كتاب تاريخ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى الصادر عن دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٧ .

Digitized by Birzeit University Library

المصير التاريخي لثورة اكتوبر والثورة الأمريكية

بقلم: بشير البرغوثي

لعل ابرز سمة لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى هي انها اول ثورة تنتصر في التاريخ وتظل امينة لشعاراتها، ووفية للقوى التي قادتها، والتي مثلتها، ورفعت شعاراتها .

فلقد رفعت ثورة اكتوبر شعارات السلام والحرية والاشتراكية وباشرت فور انتصارها في وضع تلك الشعارات حيز التنفيذ السريع والحاسم . وظلت منذ ذلك التاريخ ممثلة في النظام الاشتراكي الذى شيدته، تسترشد بهذه الشعارات في علاقاتها الدولية من اجل توطيد السلام العالمي ودرء خطر الحرب، ومن اجل مساندة حركات التحرر وقوى التقدم العالمية .

وفي صورة العالم الراهن تتوافر البراهين العديدة في مختلف القارات على وفاء ثورة اكتوبر ونظامها الاشتراكي لمثل السلام والحرية والاشتراكية . وهذه الحقيقة تبدو جلية في تاريخ نضالنا الحديث من اجل التحرر الوطني وفي سبيل التقدم الاجتماعي. فلاول مرة توفر للشعوب العربية حليف موثوق في كفاحها يمدها بالدعم المادى والمعنوى بعد ان كانت حركات التحرر العربية، قبل ثورة اكتوبر، تحملها التناقضات بين الدول الاستعمارية من "حليف مؤقت" الى اخر لا يلبث ان يتحول ضدها بمجرد اتفاقه على اقتسام الغنائم مع منافسيه من الدول الاستعمارية .

لقد ظهرت هذه الحقيقة ساطعة لمصطفى كامل حينما امل في تأييد الاستعمار الفرنسي ضد الاستعمار البريطاني، واوهمه الفرنسيون بذلك الى ان توصلوا في عام ١٩٠٤ الى اتفاق على اقتسام الغنائم في شمال افريقيا، وعندها توقف التأييد الفرنسي "اللفظي". والامر كذلك كان عندما عقدت بريطانيا اتفاقا مع الشريف حسين على مشاركة العرب في النضال ضد تركيا مقابل تنصيبه ملكا على البلاد العربية الشرقية ، لتكشف حكومة ثورة اكتوبر في الاشهر الاولى لانتصارها نص الاتفاقية السرية المعروفة باسم اتفاقية سايكس ـ بيكو ، والتي اتفقت فيها فرنسا وبريطانيا على اقتسام البلاد العربية، قبل الاتفاق مع الشريف حسين .

Digitized by Birzeit University Library

ان الامبريالية التي تسعى لتجريد الشعوب العربية من احد المقومات الرئيسية لصمودها ولانجاح نضالها من اجل الحرية والتقدم الاجتماعي، تسعى بكل وسائل نشر الاكاذيب والشكوك تشويه المواقف المبدئية للسياسة السوفييتية الخارجية. وقد بات ترويج هذه الاكاذيب في بلادنا اشارة الى ان هناك مؤامرة يمهد لتمريرها ضد قضيتنا الوطنية، او من اجل التغطية على تنازلات عن السيادة الوطنية في هذا البلد العربي او ذاك .

لقد كان الامر هكذا حينما بدأ السادات مسيرته الاستسلامية بفك عرى الصداقة مع الاتحاد السوفييتي الى ان بلغ ، الامر فك علاقته مع كل اهداف الشعب المصرى والشعوب العربية. وفي الوقت الحاضر ،يبرز بين الحين والاخر جنبا الى جنب مع تقديم التنازلات للامبريالية الامريكية التشكيك بموقف الاتحاد السوفييتي من القضية الفلسطينية، تارة من خلال نشر المزاعم عن قرب اعادته التمثيل الديبلوماسي مع اسرائيل، وتارة اخرى بترديد الاكاذيب عن "اتفاقات" سرية مع الحكومة الاسرائيلية لتهجير عشرات الالاف من اليهود السوفييت الى اسرائيل. ولا يأبه اصحاب هذه الاكاذيب لنفي الاتحاد السوفييتي لكل تلك المزاعم ،بل يكتفون بالبحث عن اكاذيب اخرى .

والان بعد ان افتضح امر الاكاذيب العينية عن الهجرة وتبادل التمثيل عادوا يرددون معزوفة "يالطا الجديدة" ومخاوفهم منها . وهم يستغلون جهل او قصر نظر بعض الاوساط التي اخذت في اعادة هذه المعزوفة دون ان تسأل نفسها عن الجامع بينها وبين اولئك الذين لم يتوقفوا عن المطالبة والتآمر لتغيير نتائج ذلك الاجتماع التاريخي وعلى رأسهم حكام الولايات المتحدة والمانيا الاتحادية .

وليست مصادفة ان يكون المشككون في مؤتمر يالطا هم أولئك الذين يدخلون في مساومات حول المؤتمر الدولي لحل القضية الفلسطينية ترمي الى استبعاد مشاركة الاتحاد السوفييتي في المؤتمر المقتـــرح .

لقد وقف الاتحاد السوفييتي مع حركات التحرر ومطالبها في ذلك المؤتمر وفي وجه معارضة ضارية لهامن جانب بريطانيا التي كانت تسعى لاعادة الملوك والجنرالات الفاشيين لحكم بلدان اوروبا الشرقية، وتمكن من استصدار قرارات في المؤتمر تمكن شعوب تلك البلدان من تقرير مصيرها بحرية، وهكـــذا كـــان .

ان دعاة الامبريالية ومنظريها وتلاميذهم الصغار في البلدان الاخرى مثل بلادنا يحاولون بشتى السبل اخفاء الهوية الطبقية لثورة اكتوبر وللنظام السوفييتي الذى انبثق عنها ، او تشويهها من خلال المزاعم عن وجود طبقة جديدة" ووجود "امتيازات" لكنهم يفشلون في تقديم مثل واحد يبرهن على صحة هذه المزاعم كوجود مصانع يمتلكها افراد او اقطاعيات او ما شابه ذلك كما هو الحال في البلدان الرأسمالية .

لكنهم لا يتوقفون عن هذه المحاولات وان كانوا يعترفون ضمنا ، كم هي عقيمة تلك المحاولات حينما يطرحون قضية" الثورة"و" التقدم" على طريقتهم في مواجهة التأثير المتعاظم للاخطار الاشتراكية ولانجازات ثورة اكتوبر . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال محاولة طرح الثورة الامريكية كبديل، ومحاولات العديد من الحكام الرجعيين لوصف انقلاباتهم العسكرية بالثورة، او للتظاهر

Digitized by Birzeit University Library

بالانتساب لثورة ما من قبل حكام اخرين. ففي الاردن، مثلا، لا يتعب حكامه من ترديد انتمائهم للثورة العربية، ولكون نظامهم يحمل مبادئها. وحاول السادات، في اواخر ايامه، اعادة انتسابه لقظيا، للثورة المصرية بعد ان وجه لها الكثير من الاتهامات والطعنات. ومثله ايضا كان النميري ينسب نفسه للثورة، وحتى شاه ايران اعلن ما اسماه" الثورة البيضاء "!

وفي هذا النطاق اجتهد منظرو الامبريالية ودعاتها لوضع الركائز النظرية للاستعمار الجديد. وعادوا للترويج لطريقة الحياة الامريكية، ولافكار "الثورة الامريكية" بطريقة انتقائية، وبصفة خاصة حول" حرية المبادرة" وافضلية" المشاريع الفردية" في مواجهة الانجذاب الكبير نحو الافكار الاشتراكية.

وقد عبر عن هذا التوجه العديد من هؤلاء المنظرين بينهم البروفيسور ريتشارد موريس حيث كتب " ان على الانسانية ان تقرر اما من اجل ثورة تموز ١٧٧٦ في امريكا او ثورة اكتوبر ١٩١٧ في روسيـــا ."(١).

لا احد ينكر الاهمية العظيمة للثورة الامريكية، ولا ضخامة دورها التقدمي في حياة الولايات المتحدة وقد كتب عنها لينين في عام ١٩١٨ قائلا :"لقد افتتح تاريخ امريكا الحديثة والمتحضرة باحدى اعظم الحروب الثورية حقا والتحريرية حقا التي قل مثيلهـــا ."(٢).

وبالفعل كان موقفا ثوريا حقا ما جاء في وثيقة اعلان الاستقلال الامريكي من مثل "كل الرجال خلقوا متساوين"، وكلهم منحهم خالقهم حقوقا معينة ثابتة .. بينها الحياة، الحرية، والبحث عن السعـــادة ".

ومع ذلك فان هذا الموقف لم ينطبق على النساء او العبيد الذين ظلوا محرومين من هذه الحقوق كما كانوا قبل الثورة. لكن الامر تعدى هؤلاء فيما بعد ليشمل اوساطا اوسع من المجتمع الامريكي، وشعوبا عديدة تعرضت وتتعرض في الوقت الحاضر للتدخل العسكري والسياسي والاقتصادي الامريكـــي.

لقد عنى الرأسماليون الامريكيون الذين قادوا الثورة بالمبادىء الواردة اعلاه" رجال" طبقتهم الناشئة التي ارادت بالاستقلال انفرادها، دون الاستعمار البريطاني، باستغلال الثروات الامريكية، واقامة امبراطوريتها الرأسمالية الخاصة.

ويقدم التاريخ الامريكي بعد الثورة امثلة عديدة ومتنوعة على هذه الحقيقة. فبعد سنة واحدة من اعلان الاستقلال احتلت القوات الامريكية، تيكوندروغا، ودخلت بقيادة فيليب تشولر وحاصرت العاصمة الكندية انذاك، كويبك، ولكنها هزمت.

وفي عام ١٨١٧ احتل الجيش الامريكي جزيرة اميليا المكسيكية، وفي ١٨١٨ شرق فلوريدا الاسبانية. وبعد سنة من ذلك اعلن جون ادامز، وزير الخارجية الامريكية ان "على العالم ان يتقبل فكرة اعتبار املاكنا الفعلية ستكون كامل قارة امريكا الشمالية ".

وفي عام ١٨٤٦ احتل الامريكيون عاصمة المكسيك. وبعد عامين ارغموا الحكومة المكسيكية على توقيع "معاهدة سلام" في غواديلوب خسرت فيها المكسيك كاليفورنيا، اريزونا، نيومكسيكو،

Digitized by Birzeit University Library

وتكساس، اى اكثر من نصف اراضيها حيث ضمت الى الولايات المتحدة .

لقد كان من بين الذين احتجوا على هذا الظلم ابراهام لينكولن الذى كان انذاك عضوا في مجلس النواب .لكن ذلك لم يمنع من ان ترتكب الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خمسين عملا عدوانيا ضد بلدان امريكا اللاتينية. وجرى في نفس الفترة ضم بورتوريكو وجزر اسبانية اخرى في البحر الكاريبي، وجزيرة غوام في المحيط الهادى، واحتلت الفلبين .

وقد تفاقم هذا النهج مع تطور الرأسمالية الامريكية. لكن حكام امريكا ظلوا يقدمون خدمة "لفظية" لوثيقة اعلان الاستقلال الامريكي. ومن ابرز الامثلة على ذلك الدور الذى لعبه الرئيس ويلسون حينما اعلن ما سمى بمبادئه الاربعة عشر قبيل نهاية الحرب العالمية الاولى . ثم وافق على مختلف القرارات التي اتخذها مؤتمر فرساى لاعادة اقتسام العالم بين الدول الاستعمارية. وقد اشار كليمنصو، رئيس الوزارة الفرنسية انذاك، واحد اقطاب ذلك المؤتمر الى الطابع المنافق لسياسة ويلسون حينما قال عنه " تكلم مثل عيسى المسيح، بينما كان يتصرف مثل لويد جورج" وبالطبع لم تكن الناحية الاخلاقية هي التي اغضبت كليمنصو بل واقع تأييد ويلسون للاطماع الاستعمارية البريطانية على حساب الاطماع الاستعمارية الفرنسية، والتي كان يعبر عنها كل من لويد جورج رئيس الوفد البريطاني ، وكليمنصو رئيس الوفد الفرنسي في المؤتمر .

وقد تكررت الشكوى الاستعمارية الفرنسية من السياسة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وبالذات حينما اخذت الولايات المتحدة باستغلال ضعف حليفاتها لتحل محلها في السيطرة على البلدان المستعمرة من قبل بريطانيا وفرنسا . وقد عبر عن هذه الحقيقة الجنرال ديغول حين قال " انهم يكرهون كل انواع الاستعمار الا استعمارهم "!.

ان ما قاله الجنرال ديغول يعكس في واقع الحال شعور الامبراطوريات الاستعمارية القديمة التي وجدت نفسها بعد الحرب العالمية امام منافس قوى حل محلها باشكال متعددة في استغلال ثروات وموارد العديد من البلـــدان .

لكن الولايات المتحدة لم تجد المسرح العالمي خاليا لها. فلقد ادى قيام المنظومة الاشتراكية وتغير ميزان القوى على الصعيد العالمي لصالح الاشتراكية الى تسريع عملية انهيار النظام الكولونيالي، ورفض عدة بلدان تحررت حديثا لطريق التطور الرأسمالي. ولم تعد الامبريالية الامريكية قادرة على استخدام الاساليب الاستعمارية القديمة. واخذت مع شريكاتها الاخريات من الدول الرأسمالية الكبيرة في ممارسة اساليب جديدة عرفت بالاستعمار الجديد . وهي تقوم على استخدام وسائل اقتصادية لتوجيه البلدان المتحررة حديثا في طريق التطور الرأسمالي كشريك صغير للاحتكارات الرأسمالية الكبرى، وكتابع للمخططات الاستراتيجية للامبريالية الامريكية .

ولقد برزت اخطار هذه السياسة واضرارها على البلدان التي وقعت ضحية لها في عدد من البلدان الاسيوية والافريقية عند المقارنة بين اوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع اوضاع البلدان التي رفضت هذه السياسة واصرت على السير في طريق التطور المستقل بدعم الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية .

ولا يتطلب الامر، في هذا المجال، ايراد الكثير من الامثلة. واذا اخذت مصر كمثال فان الفترة

Digitized by Birzeit University Library

القصيرة، نسبيا، التي مارست فيها سياسة التعاون مع الاتحاد السوفييتي شهدت قيام صناعات ثقيلة، ومشاريع ري، وقطاع عام واسع ومتطور، واتساع في الخدمات الثقافية والصحية والاجتماعية وعندما انحرف السادات عن هذه السياسة وارتبط بسياسة الاستعمار الجديد ، او ما اطلق عليه للتمويه سياسة" الانفتاح "تحولت تدريجيا الى تابع للولايات المتحدة، وغدت البرجوازية الطفيلية القوة المتنفذة سياسيا واقتصاديا. وباتت تعتمد في الحصول على رغيف الخبز على المساعدات الامريكية ، وارتفعت ديونها الخارجية من ٢ مليون في عام ١٩٧٤ الى ٣٠ بليونا في العـــام الماضـــي .

وعلى الصعيد الداخلي لم يجد ما جاء في وثيقة اعلان الاستقلال الامريكي عن حقوق الانسان ترجمة عملية. فتلك الحقوق التي حددتها الوثيقة مثل " الحياة والحرية والبحث عن السعادة" ظلت مقصورة على طبقة كبار الرأسماليين الامريكيين. اما عامة الشعب الامريكي فقد ظل شبح البطالة يهدد الملايين منهم بين الحين والاخر . ويوجد منهم الان حوالي ثمانية ملايين ونصف مليون عامل عاطل عن العمل ويعيش على الاعانات .كما يوجد حوالي ٤٠ مليون يعيشون في فقر شديد حسب المواصفات الرسمية الامريكية. وهناك حوالي عشرين مليون اسود يعانون ، بصورة او باخرى ،من اشكال متعددة للتمييز العنصري، وملايين اخرى يواجهون بدرجات متفاوتة ذلك التمييز لانهم منحدرون من اصل اسباني او صيني او شرقـــي .

على اية حال ، ليست الغاية هنا تعداد مظاهر ابتعاد الاوساط الحاكمة الامريكية عن المبادئ التي تضمنتها وثيقة اعلان الاستقلال الامريكي. ذلك لان واقع الممارسة السياسية والعسكرية والاقتصادية لهذه الاوســـاط على الصعيدين الداخلي والدولي، وخاصة تجاه البلدان النامية يعطي امثلة حية عن هذا الابتعاد. ومنها الموقف الامريكي من قضية الشعب الفلسطيني ،وغزو غرينادا ، وتنظيم وتسليح العصابات المعادية للثورة في نيكاراغوا وافغانستان، ودعم الانظمة الديكتاتورية والقوى الرجعية في كل مكان.

ويمكن القول ان ما ذكره رئيس مجلس ادارة المؤتمر الوطني للصناعيين الامريكيين في عام ١٩٤٠ ، فيبيرجيل جوروان، هو الصفة المميزة للسياسة الامريكية وهو اعتراف بأن "مبادئ الحرية" التي نادت بها الثورة الامريكية والتي تحاول الاوساط الامريكية الحاكمة الادعاء بانها تتمسك بها قد جرى التخلي عنها بعد سنوات قليلة من انتصار الثورة الامريكية في التعامل مع غالبية الشعب الامريكي وشعوب العالم الاخرى .

في ذلك الوقت، اي في عام ١٩٤٠، القى فيرجيل جوردان خطاباً قال فيه" مهما كانت نتيجة الحرب فان اميركا قد احترفت الامبريالية في الشؤون العالمية وفي كل ناحية في حياتها "(٣)

وهذا الاعتراف من ممثل الصناعة الامريكية ينطبق على واقع السياسة الامريكية في الوقت الحاضر. ولكن ماذا عن ثورة اكتوبر التي يقول موريس، احد منظري الامبريالية الامريكية، ان على البشرية ان تختار بينها وبين الثورة الامريكية ؟!.

لقد انتصرت ثورة اكتوبر الاشتراكية تحت شعارات " السلام والحرية والاشتراكية". وعند استعراض مسيرة هذه الثورة منذ انتصارها وحتى اليوم ، فان الوقائع تشهد على انها ظلت امينة

Digitized by Birzeit University Library

لتلك الشعارات، وانها وضعتها قيد التنفيذ .

وفي الوقت الحاضر يحمل الاتحاد السوفييتي وليد ثورة اكتوبر راية الدفاع عن السلام العالمي ،ومن اجل انهاء سباق التسليح، والحد من التسلح النووي باتجاه تصفية شاملة ونهائية لمختلف اسلحة الدمار الشامل ، ومن اجل اقامة تعايش سلمي بين مختلف الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية، وليس صدفة ان تكون الدولة السوفييتية هي أول دولة في التاريخ تضع العمل من اجل السلام مبدأ ضمنته في دستورها .

وفي مقابلة صحفية نشرتها " نيويورك ايفننج جورنال " في ٢١ شباط ١٩٢٠ اجاب لينين على سؤال حول اسس السلام مع امريكا بقوله :" ليتركنا الرأسماليون الامريكيون لحالنا ، ونحن سوف لا نمسهم" . ولما سئل ما هي العقبات امام سلام كهذا ؟ اجاب " ولاواحدة من جانبنا . والامبريالية من جانب الامريكيين واى رأسماليين اخرين ." (٤)

وتكفي الاشارة للتأكيد على ما قاله لينين الى واقعة تاريخيةاساسية، وهي ان الاتحاد السوفييتي لم يشن حربا ضد اى بلد . وجميع الحروب التي خاضها من حرب التدخل حتى الحرب العالمية الثانية كانت دفاعية ضد عدوان شنته عليه الدول الرأسمالية .

وقد دشن الاتحاد السوفييتي انضمامه الى عصبة الامم المتحدة بمشروع نزع السلاح الشامل . وثابر منذ قيامه على التقدم بمشاريع متوالية هدفها خدمة قضية السلام في العالم وتوطيده .

وفي خطاب وزير الخارجية السوفييتية ادوارد شفيردنادزة ، في الذكرى الاربعين للامم المتحدة توضيح وتأكيد للسياسة السلمية السوفييتية. ورد على اولئك الذين يستخدمون موضوعة "الدولتين الاعظم" في محاولة لطمس الفروق بين السياسة السوفييتية والسياسة الامريكية .

يقول شفيردنادزة "ليس لدى الاتحاد السوفييتي اية نية لوضع نفسه فوق الدول او الشعوب الاخرى. وهو لا يسعى ليأمرهم او يملي ارادته عليهم . وثانيا ان الاتحاد السوفييتي هو احدى اقوى دولتين في العالم . ولكن المسألة الاساسية هي اية اهداف سياسية تخدمها هذه القوة. ان اولئك الذين يطرحون موضوعة " الدولتين الاعظم" عليهم ان يتأملوا قليلا فيما كان سيحدث لاستقلالهم ،واى اتجاه كانت ستتخذه التطورات في العالم فيما لو كان الاتحاد السوفييتي ضعيفا"

وكما على طريق الدفاع عن السلام كذلك هو الامر على طريق دعم حركات التحرر الوطني والاجتماعي ظلت ثورة اكتوبر .

انها اول ثورة في العالم تنتصر بقيادة للطبقة العاملة. وهذا ما اعطاها القوة والوفاء لاهدافها التي وضعتها امامها . ان جميع الثورات التي سبقتها كانت بقيادة طبقات مستغلة (بكسر الغين) ولهذا استغلها قادتها لصالح الطبقة التي يمثلونها . اما ثورة اكتوبر فقد كانت بقيادة المستغلين (بفتح الغين) ولهذا كانت من اجل رفع نير الاستغلال ، ولصالح كل الغاملين على قاعدة" من كل حسب طاقته ولكل حسب عملـــه ".

والشهادة الدامغة على ذلك هي الواقع السوفييتي المعاصر، مثلما هو واقع بلدان المنظومة الاشتراكية. فمنذ عام ١٩٥٠ مثلاً زاد الدخل القومي في الاتحاد السوفييتي حوالي عشرة اضعاف. وزاد الدخل للفرد الواحد بمعدل خمسة اضعاف ، وانتهى اى اثر للبطالة منذ عام ١٩٣٠.

Digitized by Birzeit University Library

ان واقع نجاحات الاتحاد السوفييتي في بناء الاشتراكية وتفوق الاشتراكيةعلى الرأسمالية يمكن استخلاصه من المعطيات الرقمية لتطور الانتاج، فضلا عن الجوانب الاجتماعية والثقافية وعن حقيقة ان هذا التطور يعود لصالح العاملين في البلدان الاشتراكية ، بينما يعود القسم الاعظم من مردوده الاعظم لصالح الرأسماليين في البلدان الرأسمالية .

وفي الجدول التالي ما يعطي فكرة عن ذلك :ـ

الانتاج الصناعـي العالمي ١٠٠٪

السنـة	البلدان الاشتراكية ٪	الولايات المتحدة ٪	السـوق المشتركـة ٪
١٩١٧	٣٪ (روسيا السوفييتية فقط)	—	—
١٩٥٠	٢٠	٤٤	٢٢
١٩٨٢	٤٠	٢٥	١٦

وقد جاء في مشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي التاكيد على انه " ينبغي قبل نهاية العام ٢٠٠٠ تحقيق مضاعفة قدرات البلاد الانتاجية مرتين في ظل تجديدها جذريا ونوعيا .

ولعل المرء امام هذه المعطيات لا يستطيع الا ان ينظر بسخرية الى ضيق الافق التاريخي لدى الامبريالية العالمية حينما كانت تمني نفسها بانهيار النظام الاشتراكي خلال وقت قصير . ويذكر "والتر ليمان" الذى كان عميد المعلقين السياسيين الامريكيين لفترة طويلة ان صحيفة نيويورك تايمز نشرت ٩١ تنبوءا بانهيار السلطة السوفييتية بين شهر تشرين ثاني عام ١٩١٧ وتشرين ثاني عام ١٩١٩ .

ان الامبريالية العالمية التي لم يعد بامكانها ان تنشر مثل هذه التنبوءات في الوقت الحاضر تسعى للحظ من ضخامة انجازات البلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفييتي. وهي تتحدث عن وجود "ازمة" وعن "تخلف تكنيكي". لكنها تعجز عن ايراد الامثلة والوقائع عن مثل هذه المزاعم. وهي تسيء عن عمد فهم الحاجةالى ادخال الاصلاحات والتعديلات الادارية والتنظيمية التي تتلاءم مع مستوى التطور الاقتصادى كي تصبح رافعة جديدة لحفز ونمو معدلات جديدة. وتحاول ايهام شعوب بلدانها ان ادخال هذه الاصلاحات مؤشر لوجود ازمة، بينماهي، في الواقع ، مظهر صحة، وعلاقة على حيوية نظام لا تقيده علاقات انتاج قائمة على الملكية الخاصة من ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بضمان التطور الشامل على مختلف الاصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

لقد كتب الكثير عن تاثير ثورة اكتوبر الثورى على مجرى العملية الثورية العالمية. وتكفي

Digitized by Birzeit University Library

الاشارة الى انه منذ انتصار تلك الثورة حدثت تغييرات كيفية على صورة العالم المعاصر تتمثل في انهيار النظام الكولونيالي، وفي تفاقم ازمة النظام الرأسمالي، وانتقال شعوب عديدة الى الاشتراكية، وانخراط عدة دول نامية في تنفيذ اصلاحات اقتصادية واجتماعية جذرية، وانتهاجها سياسة ذات توجه اشتراكي .

وقد عكس هذه الحقيقة، على طريقته، مكفارلين ، مستشار الرئيس ريغان لشؤون الامن القومي حينما اشار في مؤتمر صحفي في كانون الثاني عام ١٩٨٣ الى ان " الاتحاد السوفييتي والبلدان النامية حققت نجاحات بمعدلات اسرع فاسرع في السبعينات" واشار في معرض حديثه الى انغولا واثيوبيا ، واليمن الجنوبي، وبلدان الهند الصينية، وايران وافغانستان. وقال " لقد حلل الرئيس هذا الاتجاه، ودرس مسألة ما ينبغي عمله لعكس مجرى الاحداث " .

وبالفعل لا يتورع حكام واشنطن عن اتباع اكثر الاساليب دموية لعكس مجرى الاحداث، كما حدث في غرينادا ، ويحدث حاليا في نيكاراغوا والسلفادور وافغانستان وعلى حدود انغولا . لكن النتائج لم تكن في مستوى طموحات الادارة الامريكية. حيث فشلت في تحقيق اهدافها مثلما تجلى ذلك من خلال العدوان على لبنان، ويتجلى في صمود تلك البلدان المستهدفة بالتحرشات العسكرية الامريكية وقوى الثورة المضادة التي تمولها .

ويمكن القول استنادا الى تطور علاقات الاتحاد السوفييتي مع بلدان حركة التحرر الوطني في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، انه كلما توطدت هذه العلاقات كلما استطاعت تلك البلدان الصمود في وجه التحرشات الامبريالية، ومواجهة الضغوط السياسية والاقتصادية التي تمارسها عليها الامبريالية العالمية، ومواصلة تطورها الاقتصادي في نفس الوقت .

وقد عبر عن هذه الحقيقة رئيس جمهورية اليمن الديموقراطية، على ناصر محمد بقوله" ان حزبنا ينطلق كما يؤكد برنامجه، من ان وحدة حركة التحرر الوطني الديموقراطية وتلاحمها مع بلدان الاسرة الاشتراكية يشكلان ضرورة تاريخية وشرطا للتصفية النهائية لسيطرة الاستعمار والامبريالية في كافة اشكالها وجميع دعائمها العنصرية ." (٥)

واذا ما نظرنا الى التطور الاقتصادي السريع الذي حققه ويحققه الاتحاد السوفييتي، فاننا نجد له انعكاسا مباشرا على البلدان النامية التي تقيم علاقات اقتصادية مع الاتحاد السوفييتي، وهذا الانعكاس يكشف الوجه الامعي لنجاحات الاشتراكية .

ان هذه الحقيقة تتبدى في زيادة المبادلات التجارية، والمساعدات الاقتصادية للبلدان النامية التي لها علاقات تعاون مع الاتحاد السوفييتي مع نمو الاقتصاد السوفييتي، مثلما تتبدى ايضا في انجذاب بلدان نامية جديدة الى اقامة مثل هذه العلاقات .

فعلى سبيل المثال كان حجم المبادلات التجارية مع الهند في عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠ ما يساوي ١٨ بليون روبل واصبح يقدر في عام ١٩٨٤ – ١٩٨٥ بمبلغ ٤٦ بليون روبل. وبينما كان حجم هذه المبادلات مع ٣٩ بلدا ناميا يساوي ٤٩٫٣ مليون روبل في عام ١٩٥٥ اصبح يعادل ١٩٢٧٫١ مليون روبل في عام ١٩٨٠ . وتشكل البضائع الصناعية ٩٠ ٪ من الصادرات السوفييتية الى هذه البلدان وقد دخلت صناعة الصلب لاول مرة الى افريقيا بفضل المساعدة السوفييتية. فاصبحت مصر تسد

Digitized by Birzeit University Library

٦٠٪ من حاجتها منه، والجزائر تنتج حوالي مليوني طن من الصلب في السنة، بينما تصبح نيجيريا قادرة بعد الانتهاء من بناء مجمع الصلب بالمساعدة السوفييتية، على تصدير ٥ ملايين طن من الصلب في السنة .

ولا يقل عن هذه المساعدات اهمية، واقع كون المبادلات التجارية بين الاتحاد السوفييتي والبلدان النامية تتم وفق اسعار ثابتة لفترة طويلة، الامر الذى يحقق فائدة قصوى لهذه البلدان من خلال تحريرها من تقلبات الاسعار في السوق الرأسمالي. وهي تقلبات تميل الى خفض اسعار المواد الخام التي تصدرها البلدان النامية وارتفاع اسعار البضائع المصنعة في البلدان الرأسمالية.

وقد تحدث عن هذه الناحية فيدل كاسترو، في مقابلة اجراها معه البروفيسور جيفرى ايليوت، وعضو مجلس النواب الامريكي، ميرفين ديمالي، فذكر ان في عام ١٩٨٤ " نقلت امريكا اللاتينية من الموارد الاقتصادية الى البلدان الصناعية ما قميته ٧٠ بليون دولار". وقارن بين وضع هذه البلدان ووضع كوبا التي تبلغ تجارتها مع البلدان الاشتراكية ٨٥٪ من مجموع تجارتها فقال "نحن لسنا ضحايا قانون عدم المساواة في العلاقات التجارية، ولا الحماية، ولا زيادة الفوائد، ولا رفع سعر الروبل، ولا انحراف الاسواق. ولذلك لدينا اساس صلب لتطور البلاد الاقتصادى والاجتماعي . وهذا ما جعل كوبا البلد الوحيد في امريكا اللاتينية والبحر الكاريبي الذى لا يعاني من هذه الازمـــة ".

وقدر كاسترو خسارة دول امريكا اللاتينية في الفرق بين اسعار صادراتها في عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٤ بمبلغ ٢٠ بليون دولار .

ان شعوب دول امريكا اللاتينية لا تستطيع ان تتجاهل مظاهر النهب التي تمارس ضدها . او لا ترى البديل للتخلص من هذا النهب في اقامة علاقات تجارية متكافئة مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية مثلما تفعل كوبا . وهذا هو احد الاسباب الرئيسية التي تجعل ادارة ريغان تنشر المزاعم عن " التدخل السوفييتي" في شؤون امريكا اللاتينية. فهي لا تستطيع المجاهرة بأن طريقة التعامل المتكافئة التي يقيمها الاتحاد السوفييتي مع الدول النامية تعرى طريقتها، ولذلك فانها تلجأ الى ذرائع وافتراءات بعيدة عن السبب الحقيقي .

ولكن ليست العلاقات التجارية المتكافئة هي المظهر الوحيد لمساعدات المنظومة الاشتراكية للبلدان النامية .فهناك المساعدات العينية والخبرات الفنية الموجهة من الاساس لمساعدة البلدان النامية لبناء قاعدة صناعية لاستقلالها ، ولهذا فان المساعدات السوفييتية موجهة لتطوير الصناعات الاساسية في البلدان النامية. حيث يخصص مايعادل ٢٢ر٦ بالمئة منها للطاقة الكهربائية والاشغال الهندسية، و ٢٩ ٪ لصناعة الحديد والفولاذ ، و ٨ر٤٪ للمواد غير المعدنية، و ١ر٧ للمواصلات والاتصالات و ٥ر٨ ٪ للزراعة و ٣ر٤ ٪ لاستخراج وتكرير البترول .

ان هذا الاتجاه في نوعية المساعدة المقدمة للبلدان النامية يعرى ايضا حقيقة المساعدات التي تقدمها الدول الامبريالية لتلك البلدان . ففيما توجه مساعدات البلدان الاشتراكية لاقامة الصناعات الاساسية وتوطيد اركان الاستقلال السياسي، وتوفير مقومات النمو الاقتصادى المطرد لصالح التقدم ورفع مستوى المعيشة ، توجه الدول الامبريالية مساعداتها ، وهي بالمناسبة حصة تافهة مما تنهبه

Digitized by Birzeit University Library

الاحتكارات الامبريالية من تلك البلدان، الى تهيئة ظروف ملائمة لاستثمارات الشركات الرأسمالية ،وللمحافظة على مواقع الرأسمالية، وتأمين استغلال الرأسمالية العالمية للجماهير وثروات البلدان النامية التي تتلقى هذه المساعدات. وليست صدفة ان تؤدى ١٥٠ سنة من المساعدات" لدول امريكا اللاتينية، ولاقامة " المشاريع الفردية" ومايسمى" بالمبادرة الحرة" الى وجود اكثر من ١٣٠ مليون انسان في امريكا اللاتينية يعانون، في الوقت الحاضر، من سوء التغذية، والى وجود ٧٠ مليون امي. ولهذا السبب بالذات نصح جورج لودج، الاستاذ في مدرسة رجال الاعمال التابعة لجامعة هارفارد اجهزة الدعاية الامريكية بعدم استخدام كلمة" رأسمالية" عند التوجه الى بلدان امريكا اللاتينية .

ان ثورة اكتوبر تمارس تأثيرها، في الوقت الحاضر، من خلال انجازات وسياسات وممارسات بلدان المنظومة الاشتراكية. ولهذا السبب فان هذا التأثير يتعزز باستمرار لا في البلدان النامية فحسب من خلال قوة المثل للتطور السريع ولرفع مستوى المعيشة المضطرد وكما يتجلى داخل بلدان المنظومة الاشتراكية، ولا فيما يقدمه التعاون مع هذه المنظومة من افضليات على التعاون مع الدول الامبريالية وحسب ،بل وفي توفير فرص اكبر للبلدان النامية للتحرر من احتكار الامبريالية للعلاقات الاقتصادية مع بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وبينما كانت هناك في عام ١٩٧٠ اتفاقيات اقتصادية وتقنية للتعاون بين الاتحاد السوفييتي و ٤٠ بلدا ناميا، اصبحت في عام ١٩٨٠ مع ٦٤ بلدا ناميا . كما ارتفعت كمية المساعدة ، في نفس الفترة، بحوالي ثلاث مرات .

وهناك رابطة عضوية بين التقدم الذى تحرزه البلدان الاشتراكية وبين قدرتها على توفير المزيد من العون لشعوب البلدان النامية. ومن هنا تنبع حقيقة ان شعوب هذه البلدان لهم مصلحة مباشرة في كل تقدم تحرزه البلدان الاشتراكية. كما ان ازدياد عدد البلدان ، الذى اشرنا اليه من قبل، التي دخلت في اتفاقيات اقتصادية وتقنية مع الاتحاد السوفييتي يشير الى تعاظم خيبة امل تلك البلدان في التعاون مع البلدان الرأسمالية الكبيرة والى تزايد وضوح المردود الايجابي للتعاون مع الاتحاد السوفييتي .

ولا جدال في ان البرنامج الاقتصادى الجديد في الاتحاد السوفييتي الذى يضع هدفا له مضاعفة قدرات الاتحاد السوفييتي الانتاجية مرتين سيفتح افاقا جديدة لتوسيع دائرة التعاون المثمر لصالح البلدان النامية. ومع النمو المتزايد للانتاج ولتحسين مستوى المعيشة تبعا لذلك ، تتسع القدرة الاستيعابية للسوق الاشتراكي لمنتجات البلدان النامية، وتتنامى امكانياتها للتخلص من الغبن الذى تتعرض له من خلال اعتمادها على السوق الرأسمالي ، في اتجاهي التصدير والاستيراد ،وتتأمن لها فرص اكبر لتعزيز استقلالها عن سيطرة البنوك والاحتكارات الامبريالية .

وفي هذا المجال يحمل مشروع الخطة الاقتصادية الجديدة في الاتحاد السوفييتي، ومشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي بشائر جديدة للبلدان النامية. حيث ستتوفر بدائل في السوق العالمية ارخص وافضل نوعية من منتجات البلدان الرأسمالية. وقد اكد على هذه المسألة مشروع الصياغة الجديدة للبرنامج المشار اليه في معرض التشديد على تحسين نوعية

Digitized by Birzeit University Library

المنتجات السوقية بالقول" وان تكون قادرة على المنافسة في السوق العالمية ."

لقد دأبت الامبريالية منذ زمن طويل على ترويج الاكاذيب ضد المنتجات السوفييتية وكانت تستغل بعض المظاهر السلبية لتعميمها ،كما كانت تسعى ولا تزال لمنع الانظمة الموالية لها من اقامة علاقات تجارية وتعاون اقتصادي مع الاتحاد السوفييتي. وقد بلغ بها الامر ، ومن خلال عملائها في مصر، فترة حكم السادات، وكجزء من تبرير الارتداد من التعاون مع الاتحاد السوفييتي الى الادعاء بأن السعر العالمي الحق الضرر بمصر. ولكن هذا الزعم كان على درجة من السخف اضطر اصحابه الساداتيين الى سحبه فيما بعد خصوصا وقد اثبت واقع المجاعة الاخيرة في افريقيا انه لولا السد العالي لتعرضت مصر للمجاعة. ولم يكن هذا الزعم الاول من نوعه لعرقلة التعاون مع الاتحاد السوفييتي ففي العشرينات اغلقت السلطات المصرية تحت الضغط البريطاني المكتب السوفييتي لشراء القطن في الاسكندرية بزعم اشتراكه في الحركة الشيوعية المصرية وفي عام ١٩٢٥ حطم البوليس الفرنسي في بيروت فرع المؤسسة السوفييتية للتجارة" اركوس" وطرد موظفيها من لبنان بحجة" قيامهم بالدعايـــة ".

ان عددا من الباحثين البرجوازيين لم يعد بامكانهم انكار قوة تأثير المثل السوفييتي على البلدان النامية. وفي هذا الصدد يقول البروفيسور "شارل ويلبر" الاستاذ في الجامعة الامريكية بواشنطن ان " الاتحاد السوفييتي فتح فصلا جديدا في تاريخ العالم الاقتصادي. لقد اظهر للعالم المثل الاول للتطور الاقتصادي السريع ، المخطط والموجه مركزيا . وهذا المثل ، في الوقت الحاضر ،يمارس تأثيرا عميقا على جميع الامم النامية."

وهكذا انتقلوا من محاولة اخفاء "الطابع المحلي" لثورة اكتوبر الى الاعتراف بتأثيرها على البلدان النامية. لكنهم ظلوا يواصلون انكار تأثيرها في البلدان الرأسمالية المتطورة .

لقد تعرض جورج مارشيه، السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي الى هذه الناحية في المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي بقوله" هل يستطيع احد تصور قدرتنا على تحديد امكانية انتهاج الطريق الديموقراطي الى الاشتراكية في بلادنا لو ظل توازن القوى لصالح الرأسمالية ؟ بالتأكيد لا . نحن ندرك ذلك . ونقول باقتناع : اننا اذا كنا نعين لشغيلة فرنسا الطريق الاصيل للاشتراكية، الطريق الاقل كلفة، والمختلف عن الطريق الذي اتبعته البلدان الاشتراكية، فاننا مدينون، بشكل كبير ، في ذلك لوجود تلك البلدان ".

وهكذا بينما لم يبق شيء يذكر من تقاليد الثورة الامريكية في سياسة الاوساط الامريكية الحاكمة، ظلت مبادئ ثورة اكتوبر وتقاليدها حية متجددة في نشاط قائد هذه الثورة، الحزب ومجموع الحركة الشيوعية العالمية. وانه لامر يحمل دلالات بعيدة المغزى لهذه الحقيقة ما جاء في مقدمة مشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي. ان " البرنامج الثالث للحزب الشيوعي السوفييتي في صيغته الحالية هو برنامج استكمال الاشتراكية المنهجي والشامل، وتقدم المجتمع السوفييتي اللاحق نحو الشيوعية على اساس تعجيل التنمية الاجتماعية – الاقتصادية للبلاد . انه برنامج النضال في سبيل السلام والتقدم الاجتماعي ."

Digitized by Birzeit University Library

ولا جدال في انه على امتداد السنوات الثماني والستين منذ انتصار ثورة اكتوبر كانت كل اجيال الثوريين تجد في تجربة هذه الثورة مصدرا غنيا لا ينضب للاسترشاد في وضع الاستنتاجات، واستخلاص الدروس في نشاطهما الثوري. وفي هذا الكثير مما يحفز الاجيال الحاضرة من الثوريين لاستيعاب دروس تلك التجربة الثورية المتجددة باستمرار.

الهوامش

١) موريس ،ريتشارد، الامم الناشئة والثورة الامريكية، (بالانكليزية) نيويورك، ١٩٧٠، ص١٢٨.
٢) لينين، المجموعة الكاملة بالانكليزية، مجلد ٢٨، ص ٦٢.
٣) سورملي، الامبراطورية الامريكية، اخلاقيات السيطرة في القرن العشرين. لندن ١٩٧٠، ص٩٥
٤) لينين، المجموعة الكاملة (بالانكليزية)، مجلد ٣٠ الطبعة الثالثة، ص٣٦٥ – ٣٦٦.
٥) صحيفة ١٤ اكتوبر (اليمن الديموقراطية) ١٧ تموز ١٩٨٥.

Digitized by Birzeit University Library

مبادئ اكتوبر ومواقف الاتحاد السوفييتي إزاء القضية الفلسطينية في فترة 1917 - 1949

اعداد : تيسير العاروري

بينما كانت الحركة الصهيونية لا تزال في مرحلة التكوين، قام لينين بدحض اسسها نظريا، واتخذ مواقف عملية ضدها، ودحض منطلقاتها الفكرية، وفضح جوهرها الطبقي الرجعي ودورها التخريبي العدائي، وبشكل خاص تجاه الحركة العمالية وقد فضح لينين مقولة" شعب الله المختار " و" نقاء الجنس اليهودي"و" ازلية اللاسامية"، حيث كتب في رده على اتهام البونديين للبروليتاريا الروسية باللاسامية قائلا :

" لو أن البونديين، بدلا من غضبهم النبي المضحك على لجنة كاترينوسلافسكي، كلفوا انفسهم عناء التفكير ولو قليلا بهذه المسألة وصفّوا حسابهم من كراس كاوتسكي الذى اصدروه هم انفسهم منذ زمن قريب بلغتهم العامية حول الثورة الاجتماعية، لفهموا اذن، الصلة الاكيدة القائمة بين اللاسامية من جهة، ومصالح الفئات البرجوازية ـ لا مصالح الطبقة العاملة ـ من جهة اخرى ".

ودعا لينين الى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، وفضح الجهود الصهيونية لضمان عزلة اليهود وذلك من اجل استمرار السيطرة عليهم. وتساءل لينين:" "هل يمكن تفسير ذلك الواقع وهو : ان القوى الرجعية بالذات في اوروبا كلها، وخاصة في روسيا، تُتالب ضد اندماج اليهود وتحاول تكريس عزلتهم نهائيا بانه مجرد صدفة ؟!"

وشن لينين حملة ضد "البوند" ـ الاتحاد العام للعمال اليهود في روسيا وليتوانيا ـ واكد ان اندماج اليهود هو الحل الوحيد للمسألة اليهودية." تبرز المسألة اليهودية على هذا النحو : اما الاندماج او العزلة. ان فكرة" القومية اليهودية" تحمل طابعا رجعيا سافرا ليس عند انصارها (الصهاينة) فحسب، بل وعند اولئك الذين يحاولون جمعها مع افكار الاشتراكيين الديموقراطيين (البونديين) ان كارل كاوتسكي، اذ يعني اليهود الروس بصورة خاصة، يعبر عن ذلك بحيوية اكثر. ان

Digitized by Birzeit University Library

العداء للفئات الغريبة من السكان سوف يمّحي " فقط عندما تصبح الفئات اليهودية غير غريبة على السكان. بل تندمج مع الجماهير العامة . انه الحل الوحيد للمسألة اليهودية. وعلينا نحن ان نساعد كل ما من شانه ان يساعد في القضاء على العزلة اليهودية. وها هو حزب البوند يقف ضد هذا الحل الوحيد الممكن، فهو لا يعمل من اجل القضاء على عزلة اليهودية، وانما على تقويتها وتعزيز ثرعيتها ."

وكتب لينين مشيرا الى عملية اندماج اليهود في اوروبا قائلا :" ... في اوروبا كلها كان سقوط القرون الوسطى وتطور الحرية السياسية يسيران جنبا الى جنب مع رفع الوصاية السياسية عن اليهود ومع انتقالهم من لغتهم العامية الى لغة الشعب الذى يعيشون بين ظهرانيه، ومع التقدم الاكيد لاندماجهم مع السكان المحيطين بهم ".

وكتب قائلا ان " شعار الثقافة القومية اليهودية، انما هو شعار الحاخامات والبرجوازيين، شعار اعدائنا ... ولذا فان كل من يتبنى مباشرة او بصورة غير مباشرة شعار " الثقافة القومية" اليهودية، انما هو (مهما تكن نواياه حسنة) عدو البروليتاريا ، ونصير ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، انما هو شريك الحاخامات والبرجوازيين ..."

وقد عرى ستالين جوهر الصهيونية ووصفها بانها "مظهر للشوفينية الفجة". واضاف ان الصهيونية"حركة سياسية رجعية تجمع انصارها من اليهود من صغار ومتوسطي البورجوازيين والمثقفين ورجال الاعمال والفنيين واكثر القطاعات تخلفا من العمال اليهود ، وتهدف الى تنظيم دولة برجوازية يهودية في فلسطين كما تهدف الى فصل جماهير الطبقة اليهودية العاملة عن النضال العام للبروليتاريا ".

ولم تتوقف ثورة اكتوبر عند مجرد الفهم النظرى والعلمي لمضمون وحقيقة الحركة الصهيونية، بل وبالاستناد الى هذا الفهم خاضت نضالا دؤوبا ضد هذه الحركة ومؤامراتها .

ففي ١٩١٩/١٢/٢٨ نشرت المفوضية المؤقتة لشؤون اليهود القومية لدى مفوضية الشعب لشؤون القوميات في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية نداءا خاصا اشار باستنكار شديد الى ان الصهاينة يحاولون ازاحة العرب من فلسطين ويستعدون لانشاء دولة يهودية لهم هناك. وجاء في هذا النداء "... ان جماهير الشغيلة اليهود ترى في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية وطنها الاشتراكي الذى تدافع عنه في الجبهات مع عمال روسيا وفلاحيها ضد امبريالية دول الوفاق وجميع العملاء ... اننا لسنا بحاجة الى اية بلدان اخرى. ولا ندعي اية حقوق قومية لامتلاك فلسطين، ونحن نعترف بهذه الحقوق كاملة لجماهيرها الكادحة عرباويهودا"

ولعب المؤتمر الثاني للكومنترن (الاممية الشيوعية) الذى عقد في تموز ـ آب ١٩٢٠ دورا كبيرا في فضح دسائس الصهاينة في فلسطين، حيث طرحت في هذا المؤتمر، وباهتمام كبير، مسألة ضرورة فضح نظرية وتطبيق الصهيونية الرجعية ـ وخصوصا مسألة تأسيس دولة صهيونية في فلسطين تحت الحماية البريطانية. واثارت مندوبة المؤتمر مزومكيفا الى " ان السكان اليهود في فلسطين لا يشكلون اغلبية. فهنا اقلية تسعى الى اخضاع جماهير الشغيلة التي تشكل اغلبية

Digitized by Birzeit University Library

البلاد لتير دول الوفاق. وعلينا ان تناضل باشد ما يمكن من الحزم ضد هذا النوع من الميول. فالصهاينة يسعون الى كسب انصار لهم في جميع البلدان، وهم يخدمون بدعايتهم وتحريضهم مصالح طبقة الرأسماليين. ويجب على الاممية الشيوعية ان تكافح هذه الحركة باشد ما يمكن من الحزم".

وفي ٢٨ تموز ١٩٢٠ اقر المؤتمر الثاني المذكور للكومنترن الموضوعات اللينينية حول المسألة القومية ومسألة المستعمرات تلك الموضوعات التي جاء فيها: "... والدليل الواضح على خداع جماهير شغيلة الامة المضهدة بالجهود المشتركة لامبريالية دول الوفاق وبرجوازية هذه الامة يتجلى في عملية الصهاينة بشأن فلسطين. كما يتجلى في الصهيونية عموما التي تقدم الى الاستعمار البريطاني، وبحجة تأسيس دولة يهودية في فلسطين، قربانا هو السكان العرب الكادحون في فلسطين، حيث يشكل الشغيلة اليهود مجرد اقلية ضئيلة".

وتجاه مسألة الانتداب البريطاني على فلسطين، وقف الاتحاد السوفياتي بقيادة لينين، بقوة وحزم وعرى جوهرها الكولونيالي حيث قال: "نحن نعلم حق العلم انهم عندما يتحدثون عن توزيع الانتدابات على المستعمرات، فانما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب، واعطاء اقلية ضئيلة من سكان الارض حق استثمار الاكثرية من سكان الكرة الارضية".

وفي عام ١٩٢٠ اصدر مؤتمر الشعوب الشرقية المنعقد في مدينة باكو في اذربيجان السوفياتية قرارا بشجب الانتداب البريطاني على فلسطين. وفي ١٩٢٢/١٢/٣٠ نشر الوفد السوفييتي في مؤتمر لوزان مذكرة بشان المسألة الشرقية طالب فيها بالغاء نظام الانتداب، بما فيه بالطبع، الانتداب البريطاني على فلسطين.

ولقد انعكست مبادئ اكتوبر وتجسدت في مواقف الاتحاد السوفياتي اللاحقة ازاء القضية الفلسطينية، حيث لم يكتف الاتحاد السوفياتي بفضح الحركة الصهيونية وتسليط الاضواء على مؤامرة غزو فلسطين. فعندما اندلعت ثورة ١٩٢٩ ايدها الاتحاد السوفياتي ورأى فيها تعبيرا عن نهوض حركة التحرر الوطني الفلسطينية وبانها ثورة شعبية ضد الاستعمار البريطاني والصهيونية. وقد قيمها كبار المؤرخين السوفيات على النحو التالي:

"... اما الجماهير الشعبية في فلسطين فانها قد واصلت النضال النشيط ضد الامبريالية والصهيونية، وغير مرة اصطدم الفلاحون العرب بالعصابات الصهيونية المسلحة التي كانت تطردهم من الاراضي التي باعها الاقطاعيون العرب (في ناحية الغفولة في ١٩٢٤، وناحية قيسارية في ١٩٢٧، وناحية الخضيرة في ٢٧ – ١٩٢٩ وغيرها). وفي اواخر العشرينات، كان الوضع في فلسطين متوترا للغاية. وكان لهيب النضال الشعبي يشتد يوما بعد يوم الى ان تحول في آب ١٩٢٩ الى ثورة.

.. وفي العشرينات من شهر آب بدات مصادمات منفردة بين العرب واليهود، ولكن سرعان ما اخذت الحوادث تتخطى نطاق النزاع العربي اليهودي، وتتحول الى حركة وطنية شاملة موجهة ضد الامبريالية البريطانية وضد الصهيونية ....."

Digitized by Birzeit University Library

وبنفس الوضوح قيم الاتحاد السوفياتي ثورة ١٩٣٣ وثورة ٣٦ – ١٩٣٩ التي دعا الكومنترن الى تأييدها والوقوف الى جانبها ووصفها على انها " حركة التحرر الباسلة العربية ".

واكثر من ذلك فقد طالب الاتحاد السوفييتي بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين وباحتفاظ فلسطين بعروبتها. حيث انه عندما اثارت بريطانيا مسألة تقسيم فلسطين لاول مرة عام ١٩٣٦ اعترض الاتحاد السوفياتي عليها، باعتبار ان العرب سيفقدون بالتقسيم افضل اراضيهم، وفق مشروع لجنة بيل (بالنسبة الى اللورد بيل الذي ترأس اللجنة الملكية البريطانية التي اقترحت المشروع)، وان انشاء دولة يهودية لا يخدم سوى مصالح البرجوازية اليهودية وسيوجه ضربة الى الحركة الثورية العربية.

وبعد ان دخلت السياسة البريطانية في فلسطين عام ١٩٤٧ في مأزق كبير، وبعد ان لم يعد بوسع الامبريالية البريطانية ان تستمر في حكم فلسطين كما في السابق" وحسب الطريقة القديمة"، وبعد ان اوصلت السياسة البريطانية الازمة في فلسطين الى ذروتها، وبعد ان هيأت كافة الظروف الملائمة لتنفيذ وعد بلفور الذي قطعته على نفسها تجاه الحركة الصهيونية، فقد اضطرت الى طرح القضية الفلسطينية على بساط البحث امام هيئة الامم المتحدة.

وقد ناقشت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة القضية الفلسطينية في دورتها الاستثنائية في نيسان – ايار ١٩٤٧ وفي دورتها العادية الثانية في ايلول = تشرين الثاني ١٩٤٧ ومن ثم في دورتها الاستثنائية في نيسان – ايار – ١٩٤٨ وفي دورتها العادية الثالثة في ايلول – كانون الاول ١٩٤٨، بالاضافة الى انها كانت موضع بحث في العديد من جلسات مجلس الامن وغيره من الهيئات التابعة للامم المتحدة.

وفي كل هذه الجلسات والمنابر تجلى اتفاق الدول الاستعمارية جميعها، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، ضد العرب عامة والشعب الفلسطيني خاصة. في حين تصدى الاتحاد السوفياتي للدول الامبريالية وفضح تآمرها واطماعها البترولية والاستراتيجية في العالم العربي، ووقف الى جانب الشعب الفلسطيني وحقه في الحرية والاستقلال الوطني.

وقال المندوب السوفييتي في جلسة ١٩٤٧/٥/١٥" .. لا يمكن ضمان مستقبل شعب فلسطين الا باستقلالها، ذلك الاستقلال الذي يضع اسس التعاون بين العرب واليهود في فلسطين" واقترح على الجمعية العمومية صيغتين لحل القضية الفلسطينية. كانت الاولى تنص على انشاء دولة عربية يهودية ديموقراطية اتحادية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية، في حين اقترحت الصيغة الثانية تقسيم فلسطين الى دولتين ديموقراطيتين مستقلتين عربية ويهودية.

ان موضوع قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وموقف الاتحاد السوفياتي منه ،قد يكون اكثر موضوع في تاريخ القضية الفلسطينية منذ نشأة هذه القضية حتى الان تعرض ولا زال للتشويه واتخذ مادة للتحريض والتضليل سواء من قبل الرجعية العربية والبرجوازية العربية او من قبل القوى القومية العربية، عدا عن انه اتخذ ذريعة في حينه

Digitized by Birzeit University Library

من قبل الرجعية العربية للقيام باوسع حملة دموية ضد الحركة الشيوعية في المشرق العربي في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين كان من بين ضحاياها القائد الشيوعي العراقي فهد ورفاقه. ولذلك فاننا سنحاول معالجة هذه القضية ، بشيء من التفصيل محاولين تقديم صورة للوضع السائد آنذاك ، الذى جعل الاتحاد السوفياتي وقوى التحرر والتقدم في العالم تجمع في حينه ، عن قناعة وحق ، على تأييد هذا القرار .

xxxxx

نحو نهاية الحرب العالمية الثانية ، اى منذ ربيع عام ١٩٤٥ ، وبوصول ترومان الى البيت الابيض بعد وفاة الرئيس روزفلت ، بدأت الصهيونية تعطي وزنا اكبر في حسابات تحالفاتها الدولية الى حليفتها الجديدة الولايات المتحدة الامريكية ، وادركت الصهيونية بانها تستطيع الاعتماد على دعم الحليف الجديد. وقد دخلت في سنوات ٤٥ – ١٩٤٧ في "صراع" مع المستعمرين الانجليز لدفعهم بالتدريج للخروج من فلسطين. وقد اعتمدت الصهيونية في المرحلة الاولى على فصائل" الايرغون" و"شتيرن" التي بدأت " ازعاج" ادارة الانتداب البريطانية بشعاراتها المتطرفة وبعض الاعمال الارهابية. وفي تطور لاحق ، جرى في شهر تشرين الثاني ١٩٤٥ توحيد قوى الوكالة اليهودية ، و" الهاغانا" و" الايرغون" و"شتيرن" في جبهةموحدة لديها قرابة ٦٣ الف مسلح ، وتبدأ ،وفق التسمية الصهيونية ، " الحرب البريطانية ــ اليهودية " التي حاولت ولا زالت تسويقها على انها حرب تحررية وطنية .

لقد بذل الصهاينة جهودا كبيرة من اجل تضليل المجتمع الدولي تجاه الطبيعة الدنيئة الخفية لصراعهم مع المستعمرين الانجليز في سنوات ٤٥ – ١٩٤٧ .

لقد صوروا الوضع كما لو كانوا يخوضون نضالا عادلا ضد الامبريالية والاستعمار البريطاني. وقد خاطب حاييم وايزمن، اجتماعات اللجنة الخاصة بالمسالة الفلسطينية المنبثقة عن الامم المتحدة في ١٩٤٧/١٠/١٨ محاولا بقوةتسويق هذا المراع على انه" حركة التحرر الوطني اليهودية". وفي ذلك الحين بدا ذلك كما لوكان حقيقة .

ففي فلسطين ، كانت تجرى فعليا صدامات مسلحة بين الفصائل الصهيونية المسلحة والقوات البريطانية . وقد استخدمت هذه الفصائل تعاطف قسم منالسكان العرب انطلت عليهم ادعاءات قادة الحركة الصهيونية الذين صوروا مصالح السكان العرب بانها مصالحهم انفسهم ايضا. حتى ان العرب قد زودوا فصائل " الايرغون" بالسلاح، دون ان يخطر ببالهم بان هذا السلاح نفسه سيشهر ضدهم فيما بعد ،كما اتضح لاحقا. اما في ذلك الوقت ، فكان قد خلق انطباع بان ما يجرى هو " حرب اهلية" ضد المستعمرين الذين ردوا بدورهم الرد المناسب – بدءا بالتصريحات اللاسامية وحتى ممارسة الاضطهاد وعندما نفذ" المتطرفون" اليهود بعض الاعمال الارهابية ردت عليها السلطات العسكرية البريطانية بحملة اعتقالات واسعة.

وبالسرعة والوقت المناسبين تحرك الصهاينة "المعتدلون" لينتقلوا من حالة مقاطعة "المتطرفين" الى التعاون معهم، وتشكيل الجبهة الموحدة التي اتخذت في

Digitized by Birzeit University Library

مجال السياسة الخارجية، لدرجة معينة، موقف رفض اقتراحات الدول الامبريالية باستمرار "الوجود" البريطاني في فلسطين او استبداله بوصاية مشتركة انجلو ـ امريكية. لقد اجمعت كافة المؤسسات الصهيونية جميعها على رفض خطة استبدال الانتداب بالوصاية، من حيث المبدأ تلك الخطة التي عرضتها اللجنة الانجلو ـ امريكية في ١٩٤٦/٤/٢٢. حيث ان تلك الخطة لم تستجب تماما لمطالب الصهيونية بتحويل فلسطين الى منطقة تحت الوصاية التي يجب ان تضمن بدورها تحقيق الهجرة الواسعة "تسهل الاستيطان اليهودي المكثف للبلاد". خاصة وان التقرير انطلق من بعض التحديدات على عدد المهاجرين وبالتالي لا يحقق الهيمنة الصهيونية المكثفة على فلسطين. ولم يناسب الصهيونية ايضا مشروع اقامة" مناطق حكم ذاتي" في البلاد تجسدها حكومة فيدرالية تحت الرقابة الشديدة لسلطات الانتداب التي تشرف ايضا وبشكل مباشر، على القدس وبيت لحم والنقب بالاضافة الى قطاعات الدفاع والسياسة الخارجية والمالية وبناء السفن والهجرة. ان هذا المشروع انجلو ـ امريكي ايضا، وقد قدم في تموز ١٩٤٦ .وعرف باسم " مشروع مورسون ـ جريدي" وقد رفضته الوكالة اليهودية .

وهذا كان ايضا مصير " مشروع بيفن" (وزير خارجية بريطانيا) في عام ١٩٤٧، الذي اقترح بموجبه تحويل فلسطين الى كانتونات عن طريق اقامة عدد غير محدود من مناطق "الحكم الذاتي" القائمة على اساس اثني ـ عرقي، تحت قيادة "حكومة فيدرالية تتكون في غالبيتها من موظفين انجليز .

ان الوكالة اليهودية، وكما يتضح من خطاب اللجنة الخاصة بالمسألة الفلسطينية بتاريخ ١٩٤٧/٩/٣، كانت ، وكما في السابق ، تحاول ان تحول كل فلسطين الى دولة يهودية. ولكن، ومن حيث المظهر الخارجي فقط، كانت تبدو على انها تقاوم المخططات الانجلو ـ امريكية .

ومن المفيد اضافة الى كل ما ذكر اعلاه ، ما تسرب آنذاك الى الصحافة من مخططات صنائع بريطانيا في الشرق الاوسط : فسيء الصيت، نوري السعيد، رئيس الوزراء العراقي آنذاك، و" الصديق الكبير"لبريطانيا، تبين انه كان قد وجه في عام ١٩٤٣ مذكرة سرية الى بريطانيا يعرض فيها حل المسألة الفلسطينية من خلال توحيد سوريا ولبنان وفلسطين تحت حكم التاج العراقي، واعطاء ("حكم ذاتي موسع " لليهود فلسطين ومسيحيي لبنان . وقد انطلقت هذه الخطة بالطبع من ضرورة اقصاء الفرنسيين عن سوريا ولبنان، الامر الذي لاحظه الفرنسيون. وقد حمل نفس الطبيعة كذلك مشروع حليف بريطانيا وامير شرق الاردن آنذاك ـ الامير عبدالله، الذي دعا الى اقامة " سوريا الكبرى" بزعامته، سوريا ولبنان وقسم كبير من فلسطين، تتحد جميعها مع شرق الاردن ـ الواقعة تحت الحماية البريطانية في حينه . اما " المسألة اليهودية" فتحل باعطاء الصهاينة شريطا ساحليا يمتد من حيفا وحتى يافا . ان الطبيعة الامبريالية لكل هذه المشاريع تبدو واضحة للعيان مثلها مثل مصدر الالهام البريطاني لاصحابها .

ان كل ذلك، وبدون شك، ساهم مساهمة فعالة في تشكيل مزاج سيكولوجي لصالح "

Digitized by Birzeit University Library

شعب فلسطين اليهودى المكافح" ضد الاستعمار "!! في اوسع دوائر المجتمع الدولي والتقدمي، وبالتالي لعب دورا هاما ومعروفا في تحديد موقف العديد من الدول عندما عرضت القضية الفلسطينية للنقاش في الامم المتحدة .

ان التطور اللاحق للمجتمع والدولة التي اقامها الصهاينة على ارض فلسطين هي فقط التي وضحت الطبيعة الحقيقية "لصراعهم" مع السلطات البريطانية، الامر الذى لم يكن بالنسبة للصهاينة، حقيقة، حربا ضد الامبريالية والاستعمار، على الرغم انهم" اصطدموا" مع المستعمرين ـ الامبرياليين . اذ انه كان مجرد تمرد للمستوطنين الصهاينة ضد اولي امرهم، الاوصياء عليهم بفعل تناقضات ثانوية ومؤقتة تتعلق بامكانيات تحقيق استقلالية اكبر في نشاطهم الكولونيالي في فلسطين وتوسيعه وتكثيفه .

ولكن في ذلك الوقت، وعندما كان يجرى بحث مصير فلسطين في الامم المتحدة، قليلون جدا من ساورتهم الشكوك بشأن طبيعة نشاط الصهاينة " المعادية للامبريالية" في هذه البلاد. اضف الى ذلك بعض خطوات بريطانياوالولاياتالمتحدة الموجهة نحو " كبح جماح الصهاينة "، وتحت هذه الذريعة من اجل احباط قرار الامم المتحدة، وذلك بهدف تمديد فترة السيادة الامبريالية على فلسطين! كل ذلك، عمل بشكل واضح على تدعيم ذلك الانطباع. وهذا ما كان من الممكن ان لايؤثر على موقف العديد من الدول اعضاء الامم المتحدة ، التي كان يحركها مزاج ومشاعر العداء للامبريالية .

ان المناخ العام الذى ولد فيه قرار الامم المتحدة الاول بشأن المسألة الفلسطينية، تكون ايضا تحت تأثير عوامل عاطفية عديدة اخرى، لعبت دورا غير قليل في مجرى تشكل موقف العديد من اولئك الذين اعتمد القرار على اصواتهم. وفي مقدمة هذه العوامل، التعاطف مع ضحايا الفاشية والنازية، ومن بين اولئك كانيـــهود اوروبا . فبالاضافة الى ملايين القتلى، كان هناك مئات الالاف من الناجين من غرف الغاز والمحارق ممن اصبحوا بدون مأوى ووسائل للحياة ووجدوا ملجا مؤقتا لهمفي المعسكرات التي اقيمت للاشخاص المهجرين. وفيصفوف هؤلاء نشطت الصهيونية بنجاح لاقناعهم بالهجرة للعيش في " ارض الميعاد" التي بدت تظهر افاق تحويلها الى دولة. اما حقيقة شعور وموقف العرب الفلسطينيين تجاه هذه المسألة ،فقد فضل الصهاينة السكوت عليه واخفائه. وهكذا اصبحت فلسطين في عيون هؤلاء المهجرين الذين عانوا من الاضطهاد النازى لسنوات مصدر قوة جذب كبيرة وبدت لهم بفضل جهود الصهاينة، وكأنها المخرج الوحيد من محنتهم ،وقد استثمرت الصهيونية ذلك بدهاء كبير محاولة اقناع الجميع وفي كل مكان، بان لا سبيل لمساعدة اولئك الذين عانوا من الاضطهاد النازى، وتعويضهم عن ذلك، سوى باقامة دولة لليهود في فلسطيـــن .

ومن اجل طمأنة المجتمع الدولي الذى كان يقلقه مصير سكان فلسطين الاصليين ـ العرب، لم يبخل قادة الصهيونية من طرفهم بتقديم الوعود بانهم سيحترمون حقوق هؤلاء ومصالحهم .

فاعلن ممثلو الوكالة اليهودية بانهم على كامل الاستعداد للتعايش بصداقة مع العرب.

Digitized by Birzeit University Library

وقال حاييم وايزمن – المرشح لرئاسة الدولة اليهودية – مؤكدا : " لا مكان حتى للحديث عن سيادتنا على العرب، بمعنى حرمانهم من حقوقهم الطبيعية او لغتهم او اى شكل من اشكال التدخل في حياتهم الثقافية". وكرر نفس الكلام بن غوريون – المرشح لرئاسة الوزراء – قائلا : "سيكون موقفنا تجاه جيراننا من العرب ومن غير اليهود، مثل موقفنا من اليهود . وسنبذل قوانا من اجل ان يحافظوا على طابعهم العربي، ولغتهم، وثقافتهم العربية، وديانتهم، ونمط حياتهم . وفي نفس الوقت سنفعل كل ما في استطاعتنا من اجل ان نرفع من مستوى الحياة تدريجيا ..." . كما كتب ناحوم جولدمان، عضو هيئة رئاسة الاتحاد العالمي للمنظمات الصهيونية، في مذكرة الى دين اشيسون – مساعد وزير الخارجية الامريكي قائلا : " يسعدنا شرف انضمام فلسطين الى فيدرالية دول الشرق الاوسط ". والامثلة على مثل هذه الاقوال والتأكيدات كثيرة .

ان مثل هذه الوعود والتأكيدات التي انتفخ طابعها الديماغوجي المنافق فيما بعد، قد ساعدت ولا شك في تشكل انطباع خدم الصهاينة في اخفاء نواياهم الحقيقية. فان من صوت لمصلحة قرار التقسيم وقيام الدولة اليهودية على جزء من ارض فلسطين كان على قناعة بانها ستحاول ايجاد لغةتفاهم مشتركة مع مواطنيها العرب، ومع الدولة العربية التي ستقام على الجزء الاخر من ارض فلسطين ومع باقي شعوب ودول المنطقة.

وبالطبع ، كان معروفا لكل المشاركين في نقاش القضية الفلسطينية في الامم المتحدة، الاعتراض ضد تقسيم فلسطين الذى قدمته الهيئة العربية العليا، التي كانت تتحدث باسم السكان العرب في هذه البلاد، وممثلي الدول العربية الاخرى الذين اجمعوا على تأييد وجهة نظر الهيئة العربية العليا. ولكن كان معروفا لهم ايضا الوجه الحقيقي لهكذا ممثلين للعرب آنذاك. وهو ما اثر بالضرورة على الموقف تجاه محاججات ومطالب الطرف العربي. فغالبية الدول العربية كانت في ذلك الوقت مستعمرة او في تبعية شبه استعمارية ، على الرغم ان العديد منهاكان عضوا في الامم المتحدة. وكانت الانظمة الملكيةالرجعية لا تزال تلعب الدور القيادى بينالدول العربية. ولذلك فان القليلين فقط كانوا ميالين لتصديق حقيقة اهتمام هؤلاء بحل عادل وشامل للقضية الفلسطينية . ويكفي القول بان ممثلي الوفود العربية في لجنة الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية كانا، نورى السعيد، رئيس وفد المملكة العراقية والامير فيصل بن سعود من العربيةالسعودية .

لقد قدم الممثلان العربيان ، دفاعا عن وجهة نظرهم العديد من الدلائل المدعمة والمحاججات ،ولكن كان يبدو واضحا وصارخا في ما قدموه من مقترحات للحل هدف خدمة مصالح الامبريالية البريطانية، والتيبدورها حاولت استغلال ذلك للمحافظة على سيطرتها على فلسطين ، ولكن تحت علم الامم المتحـــدة .

لقد لعبالاتحاد السوفياتي دورا حاسما في ان يكون اساس حل المسألة الفلسطينية مصاغا بحيث يراعي الحد الاقصى من اعتبارات المصالح الشرعية والحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني، بقدر ما سمحت

Digitized by Birzeit University Library

بذلك الظروف الموضوعية .

فقد رفض الاتحاد السوفياتي في حينه "وعد بلفور" كونه فعلا متحيزا واحادى الجانب من طرف الدولة البريطانية المستعمرة. كما اكد الاتحاد السوفياتي في عصبة الامم عدم اعترافه بالمادة ٢٢ من نظام العصبة وكل ما بني عليها ، وبذلك رفض وبشكل مبدئي نظام الانتداب كافراز للاقانونية الاستعمار الكولونيالي نفسه، وبالتالي رفض الانتداب البريطاني على فلسطين، وما حمله من الام ومآسي للشعب الفلسطيني . وقد اكد الاتحاد السوفياتي من جديد موقفه تجاه فرض نظام الانتداب على فلسطين في الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة المخصصة للمسألة الفلسطينية والتي افتتحت في نيسان ١٩٤٧. وخلال نقاش نفس المسألة في الدورة الثانية العادية للجمعية (ايلول ـ تشرين ثاني ١٩٤٧). وقد عكس هذا الموقف نفسه في قرار الجمعية العام رقم ١٨٢ (المعروف بقرار التقسيم) المتخذ في ١٩٤٧/١١/٢٩ ،حيث لم يرد ذكر"وعد بلفور" في هذا القرار، كما ان الاشارة الى الانتداب البريطاني ترد فقط في معرض الحديث عن الغائه. وبكلمات اخرى، لا علاقة اطلاقا بين تلك الوثائق وقرار ١٩٤٧ بما في ذلك من وجهة النظر الحقوقية الشكلية. فقرار ١٩٤٧ ومن خلال تجاهله، ينطلق من النفي الكامل" للحق" الاستعماري الذى هو اساس" وعد بلفور" والانتداب اللذين اعتمد عليها الصهاينة فيما قدموه من ادعاءات بحقهم في فلسطين .وينفي القرار كذلك المقولة الصهيونية عن "عدم وجود" شعب عربي فلسطيني التياعتمد عليها بعض الحقوقيين، من امثال ارنست فرانكشتاين، الخبير الامريكي في حقل القانون الدولي عندما استنتج بان " مطلب اليهود في حق تقرير المصير له اساس قانوني متين، في حين ان مطلب العرب الفلسطينيين ليس له اى اساس قانوني ". فالقرار لا يكتفي بالاعتراف بوجود اساس قانوني لمطلب الشعب العربي الفلسطيني بحق تقرير المصير، وانما يضع تنفيذ هذا المطلب في المقام الاول عندما يتحدث عن الدولة العربية والدولة اليهودية وليس الدولة اليهودية والدولة العربية. وفي التفاصيل ، يحدد القرار في المقام الاول حدود الدولة العربية، وتحديدها هو اساس التقسيم. واخيرا يجب ملاحظة حقيقة ان القرار يتعمد الحديث عن المساواة المطلقة للشعبين، ويحظر على اى من دولتي المستقبل القيام باية اجراءات تتضمن تمييزا تجاه الاقلية التي ستكون على اراضيها . ويحدد الاسس الرئيسية لدستورى الدولتين ليكونا ذوي طبيعة ديموقراطية، ويفرض على حكومتي الدولتين تبني سياسة خارجية محبة للسلام .

ان ممثلي الاتحاد السوفياتي الذين اشتركوا في حل المسألة الفلسطينية، لم يروا مطلقا في تقسيم فلسطين الحل الامثل . وقد اعطى الوفد السوفييتي الافضلية وابد منذ البداية اقامة ـ دولة عربية ـ يهودية موحدة وديموقراطية في فلسطين . وهذا ما اعلنه الوفد السوفياتي بدون لبس ومن البداية وليس ذنب الاتحادالسوفياتي ان كانت مجمل الظروف الموضوعية القائمة آنذاك، قد منعت الاخذ بهذا الرأى. وفقط، بعد ان توصل الاتحاد السوفياتي الى قناعة استحالة تحقيق

Digitized by Birzeit University Library

ذلك، ايد تقسيم فلسطين الى دولتين: عربية ويهودية، وابقاء مدينة القدس وحدة مستقلة لها نظام دولي خاص تحت ادارة هيئة الامم المتحدة. وضمن ذلك بذل الاتحاد السوفياتي اقصى قواه من اجل ضمان حقوق كل سكان البلاد وضمان التطور الديموقراطي لكل اجزائهـــا .

وليس هناك اى اساس للشك، وكما اثبت التطور اللاحق، في حقيقة انه فيما لو تم تنفيذ قرار عام ١٩٤٧ بكافة بنوده، لقاد الى تطبيع الاوضاع في فلسطين، ولجنب الشعب الفلسطيني ما حل به من مآسي وعذابات وتشرد لا تزال مستمرة حتى اليوم، ولحال دون نشوء بؤرة التوتر الخطرة في الشرق الاوســط .

اما بريطانيا، وهي الدولة الوحيدة التي كان يعتمد عليها الكثير في الفترة الانتقالية من اجل تنفيذ القرار، فلم يدخل ضمن حساباتها مثل هذا الموقف -تجاه القرار. وكما لاحظ المستشرق السويسرى سيمون جارجي بان: "هناك العديد من الدلائل تبين بان قرار الامم المتحدة لم يكن مصدر سرور للبريطانيين. وقد نظم عملاء بريطانيا في البلاد حملة الاضطرابات املين حشر الامم المتحدة في الزاوية ودفعها رغم انفها لتتوجه بالرجاء الى بريطانيا طالبة منها البقاء والاستمرار بالقيام بمسؤولياتها التي كلفت بها، ولكنها وبالطبع لم تحسن استخدامها حتى الان ".

وقد سلم البريطانيون للصهاينة قواعدهم العسكرية، وذخائرهم، وشجعوا سكان فلسطين العرب على ترك مواطن سكناهم. وفي نفس الوقت دفعوا الدول العربية للصدام العسكرى مع الصهاينة، دون ان يتركوا لمثل هذه العملية اية فرصة في ان تخرج السيطرة عليها من ايديهم. وفي الوقت نفسه ايضا، اعاقوا عمل لجنة الامم المتحدة بخصوص فلسطين، وحالوا دون ان تباشر القيام بمهامها في الوقت المناسب، لادارة فلسطين في الفترة الانتقالية. ومنعوها بذلك من تنفيذ جميع الاجراءات الرئيسية التي نص عليها قرار عام ١٩٤٧ الضرورية للمرحلة الانتقالية، والتي عليها بالذات كان يعتمد تنفيذ القرار كاملا، وبالتالي كل قضية تطبيع الوضع في فلسطين ومستقبل تطور اجزائها .

كما ان الموقف المتميز للصهيونية الذى اتخذه الرئيس الامريكي آنذاك، ترومان، لعب دورا هاما في اعاقة تنفيذ قرار عام ١٩٤٧، لدرجة وصلت بالامريكيين ان تقدموا في ربيع عام ١٩٤٨ باقتراح يطلبون بموجبه الغاء قرار التقسيم. وبالطبع لم يكن ضمن اهداف الصهاينة السعي لتنفيذ ذلك القرار، بالرغم من انه وحتى الان لا زال الاساس الحقوقي والسياسي الوحيد لقيام الدولة اليهودية التي اتخذت اسم اسرائيل عند قيامها .

ان قرار ١٩٤٧ لا يعترف لإسرائيل باية "حقوق تاريخية" في فلسطين وفق الادعاءات الصهيونية عن حقها في الوجود، كما هو الامر بالنسبة" لوعد بلفور" والانتداب البريطاني. ان حق الدولة اليهودية في الوجود حصلت عليه من الامم المتحدة. اى انه حق ممنوح وبالتالي ليس حقا مطلقا وبدون تحديدات. بل انه مشروط بشكل دقيق وصارم. وقد حددت هذه الشروط في قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ وفي عملية الاجراءات لقيام الدولة ودستورها .

Digitized by Birzeit University Library

ويجب ملاحظة ان مسألة الاجراءات التي وجب ان تقود الى قيام دولتين مستقلين على ارض فلسطين بالاضافة الى منطقة القدس الدولية، لها اهمية كبيرة وليست شكلية. فهذه الاجراءات حددت لتقود الى خلق المقدمات الضرورية، الحقوقية والسياسية للدولتين المستقلتين العربية واليهودية وتطورهما الدستوري اللاحق على اسس ديموقراطية .واخذا بعين الاعتبار صعوبة هذه العملية، فقد اخذ واضعو القرار بعين الاعتبار تقليص الفترات الزمنية الى الحد الاقصى على ان تبقى كافية للانتقال التدريجي بالدولتين العتيدتين حتى حصولهما على استقلالهما الكامل. وهذه العملية، كان يجب ان تتم تحت قيادة لجنةالامم المتحدة الخاصة بفلسطين خلال مدة شهرين ابتداءً من انتهاء انسحاب القوات البريطانية الذى يجب ان يتم حتى ١٩٤٨/٨/١ كحد اقصى وبالتالي فان الحد الاقصى لاتمام عملية اقامة الدولتين حددت بتاريخ ١٩٤٨/١٠/١ .

وقد خولت اللجنة تشكيل اجهزة ادارة مؤقتة للدولتين في المناطق المخصصة لكل منهما على ان يتم نقل السلطة اليها تدريجيا وقد اشترط ان تقوم الادارات المؤقتة خلال مدة الشهرين باجراء انتخابات ديموقراطية حرة ودون اى تمييز لاختيار مجلسين تأسيسيين يقوم كل منهما بدوره بوضع دستور للبلاد واختيار حكومة مؤقتة، ولم يكتف القرار بان انشأ بوضوح بعض المواد الدستورية التي يجب ان يتضمنها الدستور وانما تضمن ايضا النص الكامل للبيان الذى يجب ان تتقدم به كلا الحكومتين المؤقتتين الى هيئة الامم المتحدة وبشكل ملزم " قبل نيل الاستقلال ".

ومن كل هذا يتضح بجلاء ان واضعي القرار قد اخذوا بعين الاعتبار وجود ضمانات حقوقية محددة تماما ضد تعسف او استبداد اجهزة الادارة المؤقتة المكونة من ممثلي المواطنين x .

ولو جرى تحقيق هذه الضمانات ، لتطور الوضع على الاغلب بشكل مختلف عما تم في الواقع . وفيما يتعلق بالدولة اليهودية (فنحن نستطيع التحدث عنها فقط، طالما ان الدولة العربية لم تقم) يمكن الافتراض اننا ما كنا لنواجه الان دولة عنصرية توسعية عدوانية فيما لو تم في فترة الانتقال تحقيق شروط الامم المتحدة تجاه الاسس الدستورية الملزمة لكلا الدولتين اللتين جرى التخطيط لاقامتهما .

اما فيما يتعلق بالاسس الدستورية التي يجرى الحديث عنها ، فقد نص القرار اولا على ضرورة اقرار الدستور نفسه بطريقة ديموقراطية من قبل المجلس التأسيسي وتضمين الدستور التزاما باتباع سياسة خارجية محبة للسلام وترفض التوسع والعدوان. وينص القرار بشكل ملزم ان يتضمن الدستور موادا تضمن حقوق

---

* لقدجاء في القرار "... الاستقلال يمنح لكل من الدولتين بناءا على طلبها وفقط بعد ان تضع دستورا يحقق الشروط المنصوص عليها في الفقرة ٤ (من "خطة التقسيم") وان تقدم للامم المتحدة البيان المتضمن ضمانات محددة، وتوقع على اتفاقية لاقامة الاتحاد الاقتصادى الفلسطيني وتأسيس انظمة التعاون بين كلا الدولتين ومدينة القدس ".

Digitized by Birzeit University Library

الاقليات القومية والدينية، وتساوى المواطنين في كافة ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية، ومنع اى شكل من اشكال التمييز العرقي او الديني او الجنسي. واخذا بعين الاعتبار ،كما يبدو، الخبرة تجاه سياسة الصهيونية في "الاستيلاء على الاراضي"، الزم ان يتضمن الدستور مادة او موادا بالمحتوى المحدد التالي: "يمنع نزع الاراضي التي ملكها العرب في الدولة اليهودية(او اليهود في الدولة العربية) باستثناء تلك الحالات التي تقتضيها المصلحة الاجتماعية. وفي كل الاحوال، التي تقتضي نزع ملكية الاراضي، يتم دفع تعويضات كاملة تحـددها المحكمة العليا وتدفع قبل تنفيذ نزع الارض).

وقد نص القرار ايضا على عدم جواز اجراء اية تغييرات دستورية في المواد التي نص القرار على وجوب تضمينها الدستور بدون موافقة الجمعية العامة للامم المتحدة. وعدم جواز اضافة اية مواد دستورية او تعديلات تتعارض مع هذه المواد ، كما ان اية اجراءات حكومية او مراسيم او غيرها لايمكن ان يكون بها قوة تفوق قوة هذه المواد .

وأخيرا من الضرورى الاشارة الى -انه عندما تقدمت اسرائيل بطلب عضوية الامم المتحدة وقبل البحث في موضوع قبولها او رفضه طلب منها اقرارا بموافقتها على قرار التقسيم رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ وكذلك قرار هيئة الامم رقم ١٩٤ بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ الذى يؤكد على ان القدس مدينة دولية وعلى حق اللاجئين الفلسطينيين (حيث كانت الصهيونية قد خلقت هذه القضية قبل ذلك) فيالعودة الى ديارهم او قبول التعويضات كشرطين اضافيين خاصيين باسرائيل الى جانب الشرط العادى الذى يطلب من اى دولة اخرى وهو مايتعلق بالتقيد بميثاق هيئة الامم المتحدة. وقد اضطرت اسرائيل للموافقة على هذه الشروط التي فتحت لها بالتالي ابواب الامم المتحدة .

xxxxxxx

والان ،وعلى ضوء كل ما اوردناه اعلاه بخصوص قرار التقسيم ، لنواجه مباشرة السؤال التقليدى، الذى لم يعد له سوى اهمية تاريخية ، وبالتالي منهجية وتربوية بعد ان فقد اهميته العملية: هل كان قرار التقسيم عادلا ؟ وهل كان على الشعب العربي الفلسطيني قبوله ؟.

اننا نعتقد اولا بانه لا يجوز استخلاص الجواب على الشق الثاني كنتيجة منطقية للجواب على الشق الاول، لان في ذلك خضوعا وارتكازا للمنطق الشكلي في قضية سياسية معقدة تتطلب اخضاعها للمنطق الديالكتيكي منهج التحليل والتفكير السياسي العلمـــي .

فقضية العدل، قضية حقوقية خاضعة للقوانين والاعراف السائدة في مجتمع محدد تتغير من بلد لاخر ومن زمن لاخر . ومن هذا المنطلق ودون الخوض في الارقام المتعلقة بمساحة الدولتين العربية واليهودية وحدودها وغيرها من التفاصيل المعروفة يمكننا القول بان قرار التقسيم كان قرارا مجحفا بحق الشعب العربي الفلسطيني اجحافا كبيرا، وبالتالي فهو غير عادل .

اما الاجابة على الشق الثاني، اى هل كان على الشعب العربي الفلسطيني قبول القرار، فيتطلب الاجابة اولا على سؤال آخر: هل كان من مصلحة الشعب العربي الفلسطيني ومصلحة نضاله وتطوره اللاحق ومستقبله

Digitized by Birzeit University Library

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبول القرار ام رفضه ؟ اي الخيارين يخدم ذلك بشكل افضل وبفعالية اكبر ؟ لا شك بانه الحياة، وتجربة ٣٨ عاما مرت منذ اتخذ القرار قد اجابت على هذه الاسئلة بشكل قاطع ومحدد لا مجال فيه للمغالطة او للاجتهاد .

ولكن الحقيقة هي ان الشعب العربي الفلسطيني لم يقل كلمته في القرار عام ١٩٤٨، ٤٧ او بل قالتها عنه القيادات العربية الرجعية المرتبطة بالاستعمار وقيادته الاقطاعية التقليدية المرتبطة بالانظمة العربية. ولم يتح للشعب الفلسطيني ان يقول كلمته كما لم تتح له فرصة معرفة الحقيقة، كل الحقيقة المتعلقة بالقرار . ومع ذلك، فقد كان عليه هو وحده ان يدفع الثمـــن .

المراجـــع :

١) لينين، مسائل السياسة القومية والاممية البروليتارية، دار التقدم موسكو .
٢) بوندارينكو، سياستان ازاء العالم العربي، دار التقدم موسكو .
٣) فوبليكوف واخرون : تاريخ الاقطار العربية المعاصر، دار التقدم موسكو، ١٩٧٥.

4) Юрий Иванов. Осторожно Сионизм. И. П. Л. Москва 1970.

5) Г. С. Никитина. Государство Израиль. Наука, Москва 1968.

6) В. П. Ладейкин, Источник Опасного Кризиса И. П. Л. Москва 1973.

7) Deam Acheson , Present at the creation ..My Years in the State Department, New York , 1969 .
8) Don Peretz, Israel and the Palestine Arabs, Washinyton, 1958 .

Digitized by Birzeit University Library

ثورة اكتوبر مهدت الطريق أمام تبلور الأدب الإنساني والتقدمي

أسعد الأسعد

اذا كانت الرأسمالية قد بلغت اعلى مراحل تطورها مع مطلع القرن العشرين، فان ذلك يعني ان ثورة اكتوبر، جاءت في وقت نضجت فيه الثورة موضوعيا وذاتيا، وكان من غير الممكن تأجيلها ،كما كان من غير الممكن التبكير بموعدها، كما ان نجاح الثورة جاء ليؤكد ان مرحلة جديدة من مراحل التمهيد للظروف الموضوعية المؤدية الى درجة اعلى في حياة البشرية قد بدأت فعلا، مرحلة بناء الاشتراكية بصفتها المرحلة الاولى التي لا بد منها على طريق بناء المجتمع الشيوعي .

واذا كانت العلاقة الجدلية بين كافة نواحي الحياة، قد تلاحمت على خلفية التحضير للثورة، فان من اهم هذه النواحي، تبرز الثقافة كعامل هام، في خلق التربة الصالحة لبناء الانسان العفيّ، القادر على التغيير، وعلى صنع الثورة، والانطلاق بها الى عالم ارحب، عالم اكثر اشراقا وتوهجا .

وحتى تستطيع الثقافة والفن القيام بهذا الدور ،فقد اكد لينين على ضرورة توظيفها لخدمة الاهداف الحيوية للثورة، اكثر من تحليل العملية الابداعية من الداخل، بمعنى آخر ،رأى لينين ان وظيفة الادب في مراحل الثورة الاولى يجب ان تنصب باتجاه دفع الجماهير نحو الثقة بالمستقبل، وعدم الاستسلام لليأس، وقد اهتم لينين بتوضيح دعوته هذه بعد سحق ثورة ١٩٠٥ حرصا على عدم سقوط الادباء والفنانيين واستسلامهم لليأس والاحباط،وقد كرس لينين العديد من خطاباته ورسائله لتحليل تلك الثورة، واسباب فشلها (١)، موضحا ان الوقت لم يحن بعد، والظروف لم تنضج، غير ان الفشل لا يعني التوقف عنده سلبا على انه نهاية العالم ،بل يجب التوقف عنده ودراسته وتحليله ثم

Digitized by Birzeit University Library

الانطلاق ،متسلحين بتجربة جديدة، وقد كان لتحليلات لينين،الدور الكبير في تجاوز نكسة ١٩٠٥، وعدم الاستسلام لاحباطاتها. وهذا

الموقف يتطلب التمسك بالمفهوم الجماهيري والشعبي للادب والدفاع عن مبدأ تحزب الادب والتزامه بأوسع قاعدة جماهيرية وقضاياها وهمّها العام، وهذا بدوره يتطلب التوجه الى الجماهير بلغة مفهومة وواضحة، حتى يتسنى للادب ان يقوم بوظيفته ، وأن يلعب دوره، وقد استدعى ذلك فيما بعد، وعلى اثر نجاح الثورة واستلام السلطة من قبل العمال بقيادة حزبهم، حزب الطبقة العاملة، استدعى ذلك العمل على تمكين الجماهير من امتلاك الثقافة، وبالتالي امتلاك الاداب والفنون، وقد طرح لينين القضية على الشكل التالي، " لكي تستوعب الجماهير العمل الفني

،لا ينبغي ان يسير هذا العمل نحو هدف التوضيح الى درجة التبسيط ، بل ان هذا يقتضي رفع المستوى الثقافي والتعليمي العام للجماهير حتى تستوعب الادب والفن(٢) " اذن، فان العلاقة بين الجمهور والفن عموما، علاقة جدلية لا يمكن فصلها، بل ان لينين طرح هذه القضية، كاحدى المهام الاساسية في الميدان الثقافي بعد انتصار ثورة اكتوبر حيث قال "لكي يكون في وسع الفن ان يقترب من الشعب وفي وسع الشعب ان يقترب من الفن، ينبغي لنا ان نرفع في البدء مستوى التعليم والثقافة العام "(٣). بمعنى آخر فان من العبث الفصل بين وجهي القضية " فحتى يكون بمقدور الفن ان يقترب من الشعب ، علينا ان نمكن الشعب من امتلاك القدرة على فهمه واستيعابه (٤).

الموقف من التـــراث:

ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى حملت معها المفاهيم الجديدة تجاه كافة القضايا، ومنها القضية المتعلقة بالتراث، غير انها لم تدع قط الى القطع التعسفي مع التراث " روح الامة" الذى يجب ان تستمد الجماهير منه نسغ الحياة، بل ان الماركسية ـ اللينينية ، دعت وبشكل واضح الى "نبش" التراث ودراسته بتمعن وتمحيص واستجلاء العبر منه، وقراءته قراءة جديدة، تعتمد المنهج المادي التاريخي لدراسة التراث، والذى يتمسك بعدم نفي التراث نفيا مطلقا، بل تطوير الاسس الديموقراطية التي لم يخل منها التراث.

والماركسية، لم تأت من نفسها، بل اعتمدت تطوير الومضات الديموقراطية والتقدمية في المذاهب الفلسفية القديمة، الامر الذى يدفعنا الى التأكيد على الديالكتيك الذى هو اساس الفلسفة الماركسية، والتي زادها لينين غنى وعمقا، حتى اصبحت الماركسية اللينينية اليوم بحق راية العصر، وطريق التطور وعنوان سعادة البشرية جمعاء، والتي لا طريق ولا عنوان غيرها.

ومن هنا ايضا نشير الى القضية الاساسية في الثقافة والادب ، والمتعلقة بالناحية الجمالية والابداعية في الادب والفن، ولا اقول جديدا حين اشير الى ان ماركس وانجلز لم يضعا نظريتهما المتكاملة في علم الجمال دون الاستفادة والاتكاء على الرصيد التراثي الجمالي الضخم ، الذى ورثاه عن البشرية عامة وتاريخها الطويل، ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد ومرورا بعظماء الرومان واليونان امثال هوميروس، وهوراس،

Digitized by Birzeit University Library

وهيراقليط، وديمقريط وسقراط، افلاطون، وارسطو طاليس وغيرهم، وكذلك تراث الحضارات القديمة في الصين والهند، ثم الفلسفة العربية والاسلامية، وحتى ما ظهر في العصور الوسطى وعصر النهضة.

ان تراكم وتطور النظريات الجمالية عبر التاريخ الطويل للبشرية وحضاراتها المختلفة، افاد ماركس وانجلز في التوصل الى نظريتهما الجمالية، حيث صاغا لاول مرة نظرية جمالية تستند الى المذهب المادي العلمي المنسجم، بحيث ربطا ـ لاول مرة ـ بين النشاطات الجمالية الانسانية، وأشكال النشاطات الاجتماعية الاخرى، يقول ماركس" لا يمكن انقاذ الفن الا عن طريق تركيب العلاقات الاجتماعية بشكل ثوري، ان الثورة الاجتماعية وحدها لقادرة على خلق امكانات غير محددة لتقدم الحضارة الفنية الانسانية وتطورها الى ما لانهاية "(٥).

ان الاساس الذي دعا اليه ماركس وانجلز لخلق فن رفيع، يتلخص في الابتعاد عن السطحية، ونبذ كل ما هو غير جوهري والتأكيد على ان من شأن هذه النزعات ان تسبب وتلحق الضرر بالفن الحقيقي، اذ ان الواقع الذي على الفنان ان يعبر عنه ليس باليد الصدفة، بل هو جوهري واصيل.

ان تطور الاحداث، وتراكم التجربة النضالية والفكرية، ادت الى ان يقوي لينين فيما بعد دعائم نظرية ماركس وانجليز الجمالية، حيث ادى ذلك الى صياغة نظرية علم الجمال الماركسي ـ اللينيني وقد لخص لينين المبدأ الاساسي الذي يجب على الفن عموما ان يستند اليه حيث قال" ان حقيقة الحياة تتطلب النظر الى الواقع من خلال حركته الثورية وتطوره "(٦).

ان مشاغل لينين الكبيرة والكثيرة، لم تمنعه عن الاهتمام بالفن والادب عموما، ولعل اعظم ما خلفه لينين في هذا المجال تحديده اسس ومعالم الادب الثوري، مشيرا الى ان المعيار الوحيد لثورية الادب وعظمته، انما تتحدد بمدى ارتباطه بالشعب، وبقضاياه الاساسية، ومن خلال ذلك وذلك فقط، يجب الحكم عليه.

وقد اعتبر لينين الادب والفن موضوعا اساسيا في حياة الحزب والدولة، ولذا فقد كان يخصص وقتا مهما لدراسة اهم الاعمال الادبية الكلاسيكية منها والحديثة(٧)، ويكتب احيانا محللا ومستعرضا، بعمق وقوة تحليل، قلّما نجد له مثيلا، ولم يبخل قط في تسجيل ملاحظاته الانتقادية، وطرح وجهة نظره، داعيا الى نقاش كافة الملاحظات للخروج بأفضل النتائج.

لقد كان ادراك لينين وايمانه الذي لا يتزعزع، بقدرة الجماهير على صنع الثورة يدفعه الى التأكيد على اهمية الثقافة لهذه الجماهير، ادراكا منه بأن الجماهير غير الواعية وغير المثقفة، لن يكون بمقدورها تحقيق طموحاتها الثورية، ان الجماهير الواعية والمتسلحة بالثقافة والمعرفة، هي القادرة على صنع الثورة وحمايتها، وعليه فقد رأى اهمية تعزيز وتكريس مبدأ شعبية الادب، والذي يعني اول ما يعني، التصاق الادب بالهم العام، وتوظيفه لخدمة الاهداف الاساسية للشعب.

من جهة اخرى فان اسهامات بليخانوف في هذا الصدد لا يمكن اغفالها فقد لعب دورا

Digitized by Birzeit University Library

كبيرا في صياغة علم الجمال الماركسي ـ اللينيني وقد اشار لينين الى ذلك في العديد من المناسبات .

من جهة اخرى فان الفضل يعود لثورة اكتوبر ، في المحافظة على العديد من القوميات التي ذاقت الامرين في عهود القياصرة، وحرمت من التعبير عن نفسها ، ويذكر في هذا الصدد ،ان ثورة اكتوبر عملت على احياء العديد من اللغات لشعوب وقوميات لا يزيد عدد افرادها عن عشرات الالاف ـ ومن هؤلاء الشعب "الافاري" الذى ينتمي اليه الشاعر السوفييتي المعروف وعضو مجلس السوفييت الاعلى رسول حمزا توف ـ فاقامت ورشات عمل لاحياء الفنون الشعبية لهذه القوميات ، واقامت المعاهد والمدارس والجامعات ، وطبعت الكتب الثقافية والعلمية بلغاتها المختلفة، الى جانب اللغة الروسية التي اختارتها شعوب الاتحاد السوفييتي، لغة رسمية مشتركة، الى جانب لغاتهم القومية .

الواقعية الاشتراكية المنهج الفني للادب الثـــورى والانسانـــي :

" ان الماركسية استوعبت واعادت صياغة كل ما كان ذا قيمة في تطور الفكر البشرى والثقافة البشرية خلال اكثر من الفي سنة " (٨) .ليس ذلك فحسب ، بل ان الفضل في ابراز الادب الانساني الكلاسيكي، يعود لثورة اكتوبر وللمبادئ الماركسية ـ اللينينية ، التي رأت في هذه الاعمال العظيمة، بذور الفكر الانساني الذى يمكن ان يشكل ـ وقد شكل بالفعل ـ البدايات والمحطات المهمة التي كان لا بد منها للوصول الى ادب الواقعية الاشتراكية الذى اصبح اليوم الادب الاكثر احتراما وتقديرا بشكل لا يقبل التأويل مطلقا.

فبيتروف ،احد كبار الباحثين في مسائل الواقعية الاشتراكية يرى ان بداية تشكل الواقعية الاشتراكية، كان في نهاية القرن التاسع عشروبداية القرن العشرين، اذ لعب كتاب الرومانسية الثورية والواقعية ،وخاصة اولئك الذين عكسوا في ابداعاتهم جوانب حياة الانسان ومعاناته،دورا مهما في التحضير لظهور الواقعية الاشتراكية . (٩) .

ومن الضرورى ان ننوه الى ان ظهور الواقعية الاشتراكية كمنهج فني واضح الملامح، واكب ظهور الطبقة العاملة وتطورها ،وتطور بشكل مواز لتطور وتقدم القوى السياسية ، والفكرية للطبقة العاملة، والذى توجته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بقيادة حزب الطبقة العاملة لشعوب الاتحاد السوفييتي ،على اختلاف وتعدد قومياته، الحزب الشيوعي السوفييتي .

ان التطور الذى احدثته ثورة اكتوبر على كافة مناحي الحياة والمجتمع ، انسحب على الثقافة والادب بشكل كبير، وقد تبلورت الواقعية الاشتراكية ، كمصطلح محدد ومتعارف عليه، بعد عام ١٩٣٢ ، وكانت مصطلحات مثل الواقعية البروليتارية، والواقعية البطولية قد شاعت قبل ذلك ، واستخدمت للدلالة على التزام الادب بقضايا الجماهير العالمية والكادحة . وبالقضايا الوطنية عموما .

فيما بعد ـ وخاصة ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها ـ تحددت اكثر، الرؤية الشيوعية لمبدأ الواقعية الاشتراكية في الادب والفن ،حيث اصبح الحديث عن واقعية تحمل

Digitized by Birzeit University Library

في ذاتها فكرة تجديد الحياة وتغييرها لخير الانسان (١٠).

ومع ان مبدعي الواقعية الاشتراكية يلتقون في منهجهم الفني ، الا انهم يختلفون في اساليبهم ، فلكل اسلوبه الخاص، المعبر عن شخصيته ضمن المنهج الواقعي الاشتراكي ، الذي يلتقي عنده شولوخوف ، غوركي ، حمزاتوف ، ايتماتوف ، راسبوتين، يسنين ، بوشكين ، مايكوفسكي وغيرهـــم .

واليوم ، وبعد مرور نصف قرن على تبلور مصطلح الواقعية الاشتراكية ، يستطيع ممعن النظر ، ان يدرك حقيقة لا يمكن التغاضـــي عنها او اغفالها ، الا وهي ان هذا المنهج الفني اصبح اليوم العنوان الرئيسي للاداب الانسانيةوالتي يكتسب دعاتها احترام الغالبية العظمى من سكان العالم ، لانها المعبّر الوحيد عن معاناة البشرية ، والناطق الرسمي الوحيد باسمهـــم .

ثورة اكتوبـــروالادب العربـــي :

اذا كان الادب عموما قد تأثر بثورة اكتوبر الى حد التسريع في تطور هذه الاداب والفنون باتجاه اعتماد المنهج الواقعي ثم الواقعي الاشتراكي في الادب ، فان من غير الممكن ان لا ينسحب ذلك على الادب العربي خاصة وان علاقة ثورة اكتوبر بالعالم العربي بدأت منذ الايام الاولى لانتصار الثورة ، هذا الانتصار الذي ادى الى فضح المؤامرات التي حاكتها الدوائر الاستعمارية مع القياصرة فيما عرف في التاريخ الحديث باتفاقية سايكس ـ بيكو، والتي فضحتها ثورة اكتوبر واعلنت الغاءها ،الا ان الدول الاستعمارية الغربية نفذتهـــا .

من هنا فقد رأت ثورة اكتوبر في شعوب العالم العربي واقع الاضطهاد والظلم ، الجاثم على صدور العرب،التقاء مصالح حكامه بمصالح الاستعمار الغربي ودوائره ، فسعت منذ اللحظة الاولى الى تعزيز العلاقات الكفاحية مع الشعوب العربية ، وتكرست هذه العلاقات عبر سنوات الكفاح الطويلة ، وفي خضم ذلك ، كان الادب الوطني يبني جسور التعاون والصداقة مع الادب السوفييتي .

وقد عكست ثورة اكتوبر مبادئها العظيمة على الادب العربي في وقت مبكر ،حيث كان بعض الادباء العرب وخاصة في فلسطين قد اقاموا جسورا هامة مع الادب الروسي بدءا من عام ١٨٩٨ حين قام خليل بيدس ونجاتي صدقي وبندلي الجوزي وكلثوم عودة بترجمة العديد من الاعمال الادبية الروسية وخاصة لبوشكين ، ثم فيما بعد واصل محمود سيف الدين الايراني ، عارف العزوني وغيرهم تعريف القارئ العربي بالادب الروسي ، اما في الاقطار العربية فقد كان ميخائيل نعيمة اكثر المتحمسين للادب الروسي واطلاع القارئ العربي عليه ،(١١) وفي سوريا كان فرنسيس المراش اول الداعين الى الفكر الاشتراكي في ادبه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٢) بالاضافة الى مصطفى السباعي مع عدم اغفال الفارق الكبير بين اشتراكية هؤلاء السطحية والساذجة والاقرب الى الدعوة الى تحقيق " العدالة الاجتماعية" وبين الاشتراكية العلمية ومبادئها .

لقد شكلت هذه الومضات ، اللبنات الاولى للعلاقة بين الادبين .

Digitized by Birzeit University Library

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كانت بذور هذه العلاقة والتأثر قد ازدادت عمقا وتفاعلا حيث ظهرت بوادر التأثر بمنهج الواقعية والواقعية الاشتراكية، وخاصة في سوريا حيث ظهرت في مطلع الخمسينات "١٩٥٤" رواية حنا مينة المصابيح الزرق، والتي شكلت علامة فارقة في تاريخ الادب العربي الحديث (١٣) .

ثم تتالت الاعمال الادبية التي انطبعت بطابع الواقعية الاشتراكية، الى حد اننا نستطيع الجزم اليوم، ان تيار الواقعية الاشتراكية في العالم العربي، اصبح واضح المعالم، وليس ذلك فحسب، بل ان كتاب الواقعية الاشتراكية هم الاكثر احتراما واعمالهم الاكثر رواجا واقبالا من قبل الجمهور العربي، امثال جمال الغيطاني، حنا مينة، الطاهر وطار، زكريا تامر، محمود أمين العالم، عبد الرحمن الشرقاوي، يوسف ادريس، عبد العظيم انيس، احمد فؤاد نجم، اميل حبيبي، رجاء النقاش، سميح القاسم، محمود درويش، معين بسيسو، غسان كنفاني، عبدالرحمن منيف، توفيق زياد، عبد الكريم الكرمي، الطيب صالح، محمد دكروب، سلامة موسى، محمد ذيب، عبداللطيف اللعبي، بدر شاكر السياب، وغيرهم كثير .

ان تيار الواقعية الاشتراكية، هو تيار الادب الثورى والانساني، ليس في العالم العربي فحسب، بل وفي العالم اجمع، وهو التيار الذى من شأنه ان يجعل من الفن اداة للتغيير، وحافزا للجماهير على صنع الثورة وان نظرة الى الاسماء العظيمة في عالمنا امثال لوركا، اراغون، ناظم حكمت، بابلونيرودا، ماركيز، وغيرهم، ندرك كم هي عظيمة هذه المبادئ والافكار التي انصهرت في قلوب هؤلاء، فحولتهم الى مشاعل تضيء الطريق للبشرية نحو المستقبل المشرق المفعم بالمحبة والامل، وستظل ثورة اكتوبر بمبادئها العظيمة تلهم الكتاب، وتشحذ هممهم من اجل الدفاع عن كرامة الاديب، وتعزيز عرى العلاقة بين الاديب وشعبه، والتي لا يجوز ان تضعف ابـــدا .

ان المبادئ العظيمة التي نادت بها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، والافكار النيّرة جعلت من حلم البشرية في عالم يسوده العدل والمساواة الحقيقية، واقعاً، واذا كان من الصعب ان نتخيل عالمنا اليوم بدون الجبهة المعادية للامبريالية، وان كان لثورة اكتوبر شرف قيادة معسكر السلام والتقدم والاشتراكية في العالم، فان ذلك كان له فضل لجم الامبريالية واعوانها، بحيث شكلت رادعا قويا أفشل العديد من خطط الامبريالية واهدافها الرامية الى اخضاع العالم لهيمنتها والسيطرة عليه، ليس ذلك فحسب، بل ان من شأن البرامج التي وضعتها ثورة اكتوبر ان تغير العالم، وتبني عالما من نوع جديد، ينتفي فيه الاستغلال والتسابق من اجل السيطرة على مقادير الشعوب، وان كان بمقدورنا ان نلخص اهداف ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، نقول: بناء مجتمع خال من الطبقات، تتوحد فيه مصلحة الفرد بالمصلحة العامة، حيث يحقق الفرد انسانيته، ويبني شخصيته الكريمة، فيتخلص من الخوف والقلق، وفي ذلك تكمن السعادة الحقيقية والسلام .

Digitized by Birzeit University Library

الهوامـــــش:

١) موجز تاريخ الحزب الشيوعي السوفييتي ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧٥ .
٢) محمد دكروب ـ الادب الجديد والثورة ـ كتابات نقدية ـ دار الفارابي بيروت ١٩٨٠ ص ٣١.
٣) لينين ـ في الثقافة والثورة الثقافية ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٦٨ ـ ذكريات عن لينين ـ كلارا زيتكين ـ ص ٢٢٩ .
٤) محمد دكروب ـ مصدر سبق ذكره .
٥) م . اوفسيانيكوف ، ز . سمير نوفا ، موجز تاريخ النظريات الجمالية ـ تعريب باسم السقا ، دار الفارابي ـ بيروت اذار ١٩٧٥ ص ٤٣٤ .
٦) المصدر السابق ص ١٣٨ .
٧) لينين ـ في الثقافة والثورة الثقافية ـ مصدر سبق ذكره ـ ناديجدا كروبسكايا ـ اى ادب كان يعجب ايليتش ص ٢١٥ .
٨) لينين ـ في الايديولوجية والثقافة الاشتراكية ـ مصدر سبق ذكره ـ ص ١٥٢ .
٩) مجلة الكاتب ـ الواقعية الاشتراكية ودور شولوخوف ـ العدد ٥٩ ص ٥٠ .
١٠) مجلة الكاتب ـ المصدر السابق . ص٥٢.
١١) د . عبد الرحمن ياغي ـ حياة الادب الفلسطيني الحديث ـ من اول النهضة .. حتى النكبة منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .
١٢) د . عمر الدقاق ـ تاريخ الادب الحديث في سوريا ـ منشورات جامعة حلب ص ٤٥ ، ٤٧.
١٣) المصـدر السابـــق .

Digitized by Birzeit University Library

الروح الاشتراكية وسر التقدم العلمي الثقافي السوفياتي

قبل حوالي سبعين عاما، وعلى اعتاب ثورة اكتوبر الاشتراكية، كانت نسبة الامية في روسيا تصل الى ٩٠ ٪ ، وكان تخلف الامبراطورية الروسية بالمقارنة مع البلدان الرأسمالية المتطورة يقاس بما لا يقل عن مائة عـــام .

وقبل خمسة وستين عاما، وصف الكاتب البريطاني الشهير ج.ويلز لينين بعد ان قابله واطلع منه على خطة كهربة البلاد السوفياتية، وصفه انذاك بالحالم الكبير .

وخلال اقل من ثلاثين عاما منذ نجاح الثورة الاشتراكية في اكتوبر ١٩١٧، اضطر الشعب السوفياتي لخوض حربين عارمتين، اولهما حرب التدخل والحرب الاهلية والتي واجه خلالها اعتداءات شاركت فيها قوات من (١٤) بلدا رأسماليا وثانيهما الحرب الوطنية العظمى ضد الغزو الفاشي والتي كان فقد خلال سنواتها الاربع ما معدله ١٤،٠٠٠ شخصا في اليوم، او ٢٠ مليون انسان خلال ٤ سنوات.

ان الاعلام البرجوازي يسعى دوما الى التغطية على هاتين الحقيقتين الاساسيتين عند الحديث عن التطور العلمي والاقتصادي والثقافي السوفياتي. كونه قد انطلق من نقطة متخلفة للغاية بالمقاييس العالمية، وانه واجه اعباء الدفاع عن النفس طوال الوقت في عالم كانت تتنافس فيه الضواري الامبريالية على محاولة نهش وتحطيم الاشتراكية. ومع ذلك، فبفضل الثورة الاشتراكية، واساليب البناء الاشتراكي، امكن للعلم والصناعة والتكنولوجيا السوفياتية خلال سنوات قليلة ان تعبر هوة التخلف وان تنطلق الى الصفوف الاولى في التطور العالمي. ولم يكن تحقيق ذلك ممكنا، لو ان روسيا سارت في غير طريق التطور الاشتراكـــي .

لقد شق الطريق بكثير من الالام والتضحيات، بكثير من النجاحات والاخطاء ايضا، التي ما كان من الممكن اجتناب معظمها بالنسبة لاولئك الذين كانوا يتقدمون عمليا في طريق مجهول بالنسبة للبشرية، والذين قدر لهم ان يصبحوا رواد التطور الاشتراكي وصانعي خبرته بالنسبة للعالم اجمع .

وخلال عقد ونصف، انجز السوفيات ما احتاجت البلدان الرأسمالية الى قرن ونصف من اجل انجازه .

واليوم، فان الاتحاد السوفياتي، يشغل المرتبة الاولى في العالم من حيث :

- انتاج الفولاذ .
- صنع الجرارات وانتاج الاسمدة المعدنية.
- حجم التوظيفات، الاقتصاد الوطني .

Digitized by Birzeit University Library

- استخراج النفط .
- حجم المساكن الجديدة .
- استقرار وتائر نمو الانتاج .
- غزو الفضـــاء .

في عام ١٩١٣ ،كانت روسيا تستورد ٦٠٪ من احتياجاتها التكنيكية واليوم فان استيرادها في هذا المجال لا يتجاوز ٥ر١ ٪ ومنذ مطلع الثلاثينات زالت من القاموس السوفياتي كلمة البطالة .

فكيف تحقـق كـل ذلك ؟.

قبل ان نخوض في الاسباب دعونا ، نورد هذه الحادثة. في عام١٩٣٠ كان الاتحاد السوفياتي بحاجة ماسة لبناء مدلفنات لاغراض الصناعة الثقيلة، وذلك في اطار العمل ضمن الخطة الخمسية الاولى. ولم يكن في العالم بأسره في تلك الفترة سوى ١٢ مدلفنة جميعها من انتاج شركة المانية كانت تسمى شركة "ديماج" وكانت هذه الشركة هي الوحيدة في العالم التي تمتلك الخبرات والتصاميم العلمية والامكانيات لانشاء مثل هذه المدلفنات. وطلب الاتحاد السوفياتي من الشركة الالمانية ان تبني مدلفنة في الاتحاد السوفياتي .غير ان عمال مصنع ايغورسك الواقع قرب لينينغراد قرروا خوض تجربة قد تبدو جنونية بالمقاييس الرأسمالية، اذ بدون توفر اية خبرة سابقة، فانهم قرروا منافسة الشركة الالمانية وانتاج مدلفنة سوفياتية خلال وقت اقصر . وطوال عامي ١٩٣٠ ــ ١٩٣٥ لم تختف من الصحف كلمة مدلفنة " وتابعت البلاد بأسرها تلك المنافسة الوطنية .

وأطلق العاملون في" ايجورسك" على تكليفهم بناء المدلفنة تسمية" طلب الثورة" وتعهدوا بانجازها في اول ايار ١٩٣١.

وطوال الايام والليالي الثلاث السابقة لذلك التاريخ، لم يخرج العمال والمهندسون من عنابرهم ، ليعلنوا مع تباشير الاول من ايار انجازهم للمهمة، " لقد تم تصنيع المدلفنة السوفياتية الاولى من المعادن السوفياتية، وبأيد سوفياتية، ودون اية مساعدة اجنبية " وسبقوا بذلك الشركة الالمانية بثلاثة اشهر بالتمام والكمال .

عن هذه الروح ذاتها، روح الثورة الاشتراكية، التي تضاعف امكانيات العقل والجسد ، كتب الكاتب الشهير مكسيم جوركي يصف عمال محطة دنيبر الكهربائية، والتي كانت في حينها (١٩٣٢) اضخم محطة في العالم "انها جرأة فائقة لكنها ستتحقق، يجب ان تتسلحوا بالمعارف وسوف تحققون عملكم العظيم بنجاح. فما مغزى هذا النصر ؟ ان كدح الانسان المتحكم فيه على نحو رشيد قد نظم هذه الطاقة واجبرها على ان تخدم بابداع قضية اغناء ارضنا ،وثبت انه ما من هدف لا يمكن بلوغـــه ".

وليس في الامر اذن ، سر رومانسي ، بل ان الثورة الاشتراكية، بالغائها التناقض بين الطابع الجماعي للانتاج والملكية الخاصة لوسائل الانتاج تطلق طاقات الانسان بصورة لا حصر لها فاتحة لكل الافاق امام انتاجيته لتصل ارفع المستويات، ومحررة اياه من الشعور بالتناقض بين مصلحته الخاصة والمؤسسة او المصنع الذي يعمل فيه، ليضع بصورة خلاقة كل قواه وطاقته في العمل حيث تتضافر مصالح العاملين الخاصة في مصلحة المجموع والمجتمع بأسـره .

والبوم فليس سوى الاحمق ، او الجاهل، من يستطيع تجاهل مستوى التقدم العلمي

Digitized by Birzeit University Library

والصناعي الذى حققه الاتحاد السوفياتي بعد ٦٧ عاما من الثورة الاشتراكية. وبفضل هذا التقدم امكن ليس فقط ارسال اول انسان للفضاء والانتقال بالاتحاد السوفياتي الى مصاف اقوى دولة في العالم، بل وكذلك بناء الجهاز الدفاعي الذى استطاع ان يلجم عدوانية الامبريالية، ويضمن لعالمنا ٤٠ عاما من السلام، وامكن كذلك ضمان التطور الاقتصادى المستقل لعشرات من البلدان المتحررة التي خاضت بنجاح نضالها ضد الاستعمار والامبريالية.

ومع ذلك، فان الدعوات في الغرب لا تنقطع حول تخلف الاتحاد السوفياتي التكنولوجي العلمي. وقبل فترة كتب احد العلماء الامريكان منتقدا هذه الظاهرة في الصحافة الامريكية، وتساءل، كيف يمكن الادعاء بتخلف الاتحاد السوفياتي تكنولوجيا في حين انه قد استطاع بناء غواصات من التيتانوم قادرة على السير بسرعة ٤٠ ميلا في الساعة تحت الماء، وهي بذلك اسرع من اية غواصة غربية على الاطلاق.

وأضاف، واذا كان الاتحاد السوفياتي متخلفا، فلماذا تضطر بعض اكثر الشركات الغربية تطورا مثل بريستول مايرز وديبونت، الى شراء ادوية حديثة التصنيع واجهزة جراحية عالية التطور من الاتحاد السوفييتي؟ وكيف امكن لعلماء ابحاث الجراحة الدقيقة في موسكو، ان يطوروا اساليب زراعة العدسية الاصطناعية في العين باستخدام الميكروسكوبات، بالاضافة الى منظومة كاملة من اساليب جراحة العيون، مثل اسلوب نيودروف في تشقيح القرنية لعلاج قصر النظر، يتسابق لتعلمها اطباء الولايات المتحدة والمانيا وبريطانيا وايطاليا ؟.

ان احدا لا يدعي بالطبع ان الاتحاد السوفياتي يتفوق على الغرب في كل ميدان، غير ان الحديث عن التخلف التكنيكي السوفياتي لن يكون في مواجهة الحقائق سوى ضرب السخافة والديماغوجية التي تنم عن الجهل قبل كل شيء.

وليس المجال هنا لتعداد مجمل المنجزات السوفياتية الحديثة بقدر ما يبدو ضروريا التأكيد على ان هذه المنجزات انما تحققت بالاستناد الى تطوير عالي وتفان شامل ومبرمج شمل المجتمع بأسره.

وعلى ذلك تدل بعض الارقام.

ففي اوائل الثمانينات مثلا، كان هناك ٥ ملايين طالب في الجامعات والمعاهد العليا، وكان هناك حوالي ٥٠ مليون طالب في المدارس في حين تواجد ٤٫٥ مليون طالب في الكليات الصناعية المختلفة.

وتشير احصائيات اليونسكو، الى ان السوفيات يطالعون الكتب اكثر مما يطالعه سائر سكان العالم.

وتشير هذه الاحصائيات الى ان ٩٥ ٪ من العائلات السوفياتية تمتلك مكتبات خاصة يبلغ مجموع ما فيها من كتب حوالي ٣٠ مليار كتاب

وتصدر في الاتحاد السوفياتي ٨٠٠٠ جريدة تطبع يوميا ١٧٠ مليون نسخة، في حين تصدر ٥٠٠٠ مجلة ودورية مختلفة يبلغ عدد نسخها ٣ مليار سنويا. ويوجد في الاتحاد السوفياتي ٣٣٠٫٠٠٠ مكتبة عامة، و ٦٠٠ مسرح و ٢٠٠ قاعة كونسرت، و ١٥١٫٠٠٠ دار للسينما.

وقد قفز عدد العلماء والمختصين في البحث العلمي من ١١٦٠٠ عام ١٩١٣ ليصل الى ١٫٣٤٠٫٦٠٠ عام ١٩٧٩.

Digitized by Birzeit University Library

وينشر الاتحاد السوفياتي ما مجموعه ٢٥٪ من مجمل المجلات والدوريات العلمية في العالم . ويشغل الاتحال السوفياتي المركز الاول في العالم من حيث عدد الاطباء الذى يصل الى ٤٠ لكل عشرة الاف نسمة في حين لا يتجاوز هذا الرقم ٢٢ر٥ بالنسبة للولايات المتحدة، و٢٠ بالنسبة لبريطانيا .

وفي الاتحاد السوفياتي يوجد ١٢٥ سرير طبي ـ لكل ١ر٠٠٠ نسمة مقابل ٦٥ في الولايات المتحدة و ٨٤ في بريطانيا .

وتشير الاحصائيات الى ان المواطن السوفياتي يذهب للمسرح والسينما ثلاث اضعاف المواطن الامريكي وستة اضعاف المواطن الفرنسي .

ولا يقتصر النشر العلمي والادبي على انتاج المؤلفين السوفيات ، فعلى عكس ما يدعي رجال الدعاية الغربيون ، فان الاتحاد السوفياتي يشغل المكانة الاولى في العالم من حيث نشر مؤلفات كتاب اجانب في سائر الميادين ..

وخلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية نشر في الاتحاد السوفياتي مؤلفات لـ ٧٣٧٧ كاتب امريكي ، و٤٦٦٤ كاتب فرنسي و ٤٥٩٠ كاتب بريطاني ، ٩٠١ كاتب ايطالي و ٤١٨ سويدى و ٤٨٢ دنماركي .. الخ . وخلال هذه الفترة طبع في الاتحاد السوفياتي ما مقداره مليار نسخة لمؤلفين غربيين .

وقد شملت سلسلة مكتبة الادب العالمي التي صدرت في السنوات الاخيرة ٢٦٠ مجلدا ضمت كتابات لـ ٢٦٠٠ من خيرة كتاب العالم . وكثيرا ما يحلو للدعاية الامريكية الادعاء بأن الاتحاد السوفياتي يفرض حصارا ثقافيا على مواطنيه . اما الحقائق فتشير الى غير ذلك مثلا ان التلفزيون السوفياتي يعرض مواد وافلاما امريكية تبلغ ٣ اضعاف ما يعرض من برامج سوفياتية في أى بلد من بلدان الغرب .

واذا تحدثنا عن تبادل الصحف مثلا، فان المواطن الامريكي يحتاج الى ما بين ١٢ ـ ١٥ دولار للاشتراك في اية صحيفة سوفياتية بالبريد الجوى. في حين ان الاشتراك في صحيفة نيويورك تايمز مثلا يكلف ٢٩٨ر٢ دولارا بالتمام والكمال. واذا استخدم البريد العادى فان الاشتراك يصل الى ٢٢٠ دولار، غير ان الصحيفة لن تصل قبل مرور شهر على صدورها مما يفقدها كل اهمية اخبارية.

ان قلة اسعار الكتب والنشاطات الثقافية اجمالا هي ايضا احد اسرار ذلك التطور المذهل والخارق للعلم والثقافة السوفياتية فهذات الكتاب العلمي السوفياتي، المكافئ من حيث المعلومات لكتاب امريكي يكون سعره في المتوسط اقل بعشرة اضعاف على الاقل من الكتاب الامريكي.

ومن المعروف جيدا ان التعليم السوفياتي مجاني على كافة مستوياته، بما في ذلك الجامعي وان طلبة الجامعات والمعاهد العليا يتلقون، منحا من الدولة التي توفر لهم كل المقومات اللازمة للتطور الخلاق.

ومرة اخرى فان السر في كل ما تحقق انما يرجع الى مبادئ الثورة الاشتراكية التي تحرر الانسان من كل اشكال الاضطهاد وتفتح امامه ابواب التطور والتقدم دون كوابح وتردد .

وذلك هو ما جعل بلدا متخلفا بالمقياس العالمي يقفز خلال اقل من سبعين عاما ليشغل المكان الاول في العالم من حيث وتائر التطور العلمي والثقافي المنطلق قدما الى الامام ، لما لما فيه خير الشعب السوفياتي والبشرية جمعاء .

Digitized by Birzeit University Library

ثورة اكتوبر تفتح آفاق التطور الإقتصادي

بقلم : سمير البرغوثي

لقد دشنت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى مرحلة جديدة في تاريخ البشرية والانسانة، واظهرت انعطافا هاما في الكشف عن انسانية الانسان وقدراته الخلاقة وطاقاته المبدعة اذا ما حررت من قيود التبعية والاستغلال والاضطهاد ، وضربت مثلا لا يضاهي في قدرة علاقات الانتاج الاشتراكية في توفير ديناميكية اكثر فعالية في تطور البشرية في كافة الحقول الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. لقد كانت المنجزات الاقتصادية الضخمة في الاتحاد السوفييتي اساسا متينا لتطور هذا البلد الى مرتبة البلدان العظمى في المؤشرات الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والثقافية وحتى القوة العسكرية الضاربة المكرسة لتثبيت اسس السلم العالمي وحماية البلدان الاشتراكية والبلدان النامية السائرة نحو التحرر من قيود التبعية والاستعمار .

وأضحت ديناميكية اسلوب الانتاج الاشتراكي وتنظيم العمل وفق المبادئ اللينينية وقيادة الاقتصاد ضمن الاسس العريضة للماركسية ـ اللينينية واضحة من خلال الحقائق البارزة في الواقع الحي والتي نادرا ما يتمكن احد من انكارها حتى اكثر اعداء الاشتراكية عدوانية وتطرفا ، فبعد ان كانت روسيا القيصرية قبل الثورة ترزح تحت براثن التخلف الاقتصادى والاجتماعي وتعتبر اضعف الدول الرأسمالية انذاك من حيث الموقع الاقتصادى اذ لم تتجاوز حصتها في الانتاج الصناعي العالمي ٤ ٪ اصبح الاتحاد السوفييتي يقف في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية، وتبلغ حصته في الانتاج الصناعي العالمي ٢٠ ٠٠٪ ويحتل الاتحاد السوفييتي المرتبة الاولى في العالم في الكثير من المنتوجات الصناعية الرئيسية كالحديد الصلب والفولاذ والبترول وفلزات الحديد والمنغنيز والكروم والفحم والكوك والاسمنت والجرارات وقاطرات الديزل والقاطرات الكهربائية والقطن والكتان والاسمدة الكيماوية وغيرها .

ويثبت الاتحاد السوفييتي قدراته الاولى التي لا تضاهي في سرعة التطور وديناميكيته. وقد دشن هذه القدرات في مشروع GOELRO الشهير لكهربة البلاد عام ١٩٢٠ والذى صاغ

Digitized by Birzeit University Library

خطوطه العريضة القائد الفذ فلاديمير ايلتش لينين اذ خلال ١٠ سنوات فقط وصل الانتاج الصناعي الى ضعف مثيله عام ١٩١٣ وهي اكثر السنوات ازدهارا في تاريخ روسيا القيصرية قبل الثورة. ويعكس الجدول رقم (١) قدرات اسلوب الانتاج الاشتراكي الهائلة في سرعة التطور .

جـــدول رقـــم (١)

مساهمة الاتحاد السوفييتي من الانتاج العالمي في اهم المنتجات الصناعية الرئيسية.

الفـــــرع	١٩٥٠	١٩٨١
الكهربـــــاء	٢ ر ٩	٢ ر ١٦
النفط (بما فيه تكرير الغاز)	٣ ر ٧	٩ ر ٢١
الغـاز الطبيعـي	ـ ر ٣	٣ ر ٢٨
الاسمنـــت	٦ ر ٧	٢ ر ١٤
تصنيع وتركيب المشتقات الكيماويـــة والبلاستيكية	ـ ر ٤	٨ ر ٥

بالطبع ما كان يتسنى للاتحاد السوفييتي زيادة مساهمته في المؤشرات الاقتصادية العالية الا باستغلاله للنسب الامثل لقوى الانتاج (وسائل الانتاج/العمل، المواد الخام، التنظيم الاداري) في تحقيق معدلات نمو مرتفعة وفي فترات زمنية قصيرة نسبيا واعتماده الانسان كاساس التطور الاقتصادي والاجتماعي. فقد تضاعف اجمالي الناتج الاجتماعي في عام ١٩٨٢ بالمقارنة مع عام ١٩٤٠ ١٤ر٤ مرة والدخل القومي ١ر١٥ مرة والانتاج الصناعي ٢٢ مرة وانتاج وسائل الانتاج ٣١ مرة وانتاج المواد الاستهلاكية ١٣ مرة وانتاجية العمل ١١ مرة .

واستطاعت ديناميكية التطور الاقتصاد . تجاوز اثار الحرب العالمية الثانية والتي ادت بفقدان الاتحاد السوفييتي لـ ٣٠ ٪ من ثروته الاجتماعية بالاضافة الى الضحايا البشرية التي قدرت بـ ٢٠ مليون مواطن ، فقد تمكن في بداية الخمسينات بعد الحرب مباشرة من استعادة مستوى التطور السائدفي سنوات قبل الحرب ولم يكتفي بذلك بل تجاوز هذا المستوى بكثير في عام ١٩٦٠ فقد نمت الموجودات الثابتة في الاقتصاد بالمقارنة مع عام ١٩٤٠ ٣ر٢ مرة رغم فترة الحرب والحرب الباردة التي تلتها وكذلك الحال في الصناعة حيث بلغت ٤ اضعاف مثيلتها عام ١٩٤٠ ،والدخل القومي ٤ر٤ ضعف وانتاجية العمل ٤ اضعاف .

Digitized by Birzeit University Library

لقدتجلت قدرات البلد الاشتراكي الاول الاقتصادية في مجال التطور وديناميكيته واولوية اسلوب التنظيم الاشتراكي في الاقتصادعلى اسلوب التنظيم الرأسمالي القائمعلى التملك الخاص واستغلال العاملين في المقارنة بين مؤشرات التطور بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية كنموذج الاقتصاد الرأسمالي. وبالرغم من ان الاتحاد السوفييتي لم يبلغ مستوى الولايات المتحدة في بعض المؤشرات يجب ملاحظة ان فرص التنافس بين الاقتصاد الاشتراكي السوفييتي والاقتصاد الامريكي لم تكن متكافئة ابدا . فروسيا القيصرية قبل الثورة كانت في عداد اكثر البلدان الرأسمالية تخلفا وتأتي بعد بريطانيا وفرنسا والمانيا من حيث مستوى التطور في الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة الامريكية تتبوأ مكان الصدارة من حيث التطور من عام ١٨٩٤ حيث حجم الانتاج الصناعي الامريكي بلغ حجم مثيله في بريطانيا والمانيا وفرنسا مجتمعين. كما ان الولايات المتحدةلم تتعرض الى عوامل خارجية مدمرة للاقتصاد كما حدث في الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية عام ١٩١٨ والحرب العالمية الثانية . لقد كانت نتائج الحرب الاولى والحرب الاهلية والتدخل الاجنبي المرافق لها من قبل القوات الامريكية واليابانية والبريطانية والفرنسية وغيرها من اجل اجهاض الثورة العمالية الفتية وخيمه على الاقتصاد السوفييتي ففي عام ١٩٢٢ نتيجة هذه الحروب تدهور الانتاج الصناعي الا ان وصل بالنسبة للفرد الى ١ / ١٠ معدله العالمي وبلغ حجم الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة في تلك الفترة ٨ اضعاف مثيله . ويعطي الجدول رقم "٢" مؤشرات مع النتائج السلبية للحرب الاولى والحرب الاهلية على تراجع الاقتصاد السوفييتي .

جـــدول رقـــم "٢"
سنـة ١٩٢٢ كنسبة مئوية من عام ١٩١٣

الفـــــرع	النسبة المئوية
الناتج الصناعـي	٣٦ /
انتاج الكهربـــاء	٣٤ /
النفـط والغـاز	٥٠ /
الفـولاذ	٦ /
الانتاج الاجمالي للمزارع	٧٥ /

اما في الحرب العالمية الثانية حيث دارت اضخم المعارك في اراضي الاتحاد السوفييتي فلم تكن الاثار المدمرة اقل قسوة من مثيلتها في الحرب الاولى والحرب الاهلية. اذ فقد الاتحاد السوفييتي ٣٠٪ من حجم ثروته الاجتماعية، وتدني حجم المنتوج الصناعي الى ان بلغ في عام ١٩٤٥ـ١٧ ٪ من حجم مثيلة في الولايات المتحدة الامريكية ومع ذلك ورغم كل هذه المعوقـات

Digitized by Birzeit University Library

وعدم التكافؤ في الفرص فقد استطاع الاقتصاد الاشتراكي استغلال ميزاته الرئيسية القائمة على الانتاج بدون استغلال من خوض غمار المنافسة مع الاقتصاد الرأسمالي واظهار ديناميكيته وقدرته على تحقيق معدلات نمو اعلى لنفس الفترة .

يقارن الجدول رقم "٣" بين معدلات النمو في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ويظهر بجلاء تفوق الاتحاد السوفييتي في وتائر التقدم والتطور .

جـــدول رقم "٣"

معدلات النمو في مؤشرات الاقتصاد الرئيسية في الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في الفترة ١٩٥١ – ١٩٨٢

	امريكـــا	الاتحاد السوفييتي
الدخـــل القومـي	٢ ر ٣	٢ ر ٧
الانتاج الصناعـــي	٦ ر ٣	٤ ر ٨
الانتاج الزراعـــي	٨ ر ١	– ر ٣
انتاجيـة العمـــل	– ر ٢	١ ر ٦

ان الاتحاد السوفييتي سائر لا محالة بعد ان احتل المرتبة الاولى في العالم من حيث المنجزات العلمية وغزو الفضاء ، والتطور الثقافي والرياضي. والقدرات الدفاعية وحقوق المرأة والشغيلة والرفاهية الاجتماعية أن يصل مستوى الولايات المتحدة الاقتصادى بعد ان احتل المرتبة الثانية متجاوزا بقية البلدان الرأسمالية المتطورة والتي كانت تتقدم على روسيا القيصرية قبل الثورة بكثير . ان هذا الهدف ليس اماليا فارغة ولا تنبوءات ولا طموحات غير واقعية وانما حقيقة تثبتها وتؤكدها الوقائع العلمية، فقد بلغت نسبة الدخل القومي للاتحاد السوفييتي من دخل الولايات المتحدة ٦٧٪ عام ١٩٨٢ بينما كانت ٣١ / عام ١٩٥٠ والانتاج الصناعي أكثر من ٨٠ ٪ بعد ان كان اقل من ٣٠ ٪ لنفس الفتـرة .

ويمتاز الاقتصاد الاشتراكي السوفييتي بخلوه من الازمات والافات الاجتماعية التي تنخر وتلازم الاقتصاد الامريكي والاقتصاد الرأسمالي بشكل عام . ففي الوقت الذى بلغت فيه معدلات البطالة في الولايات المتحدة ٧ر١ ٪ من القوة العاملة لعام ١٩٨٥ ، و ١٣ر١ ٪ في بريطانيا ٩ر٩٪ في فرنسا و ٦ر٢ / في اليابان و ٩ر٢ في المانيا الاتحادية و ١٥ر٤٪ في ايطاليا . فان الاتحاد السوفييتي كان قد اعلن نهائيا القضاء على البطالة في عام ١٩٣٠ قبل اكثر من نصف قرن ٠١.

كما ان الاتحاد السوفييتي لا يعرف مطلقا اصطلاحات كتلك الشائعة في وسائل الاعلام الغربية كالتضخم ، وارتفاع مستوى الاسعار،وتعويم العملة ورفع الضرائب وتخفيف الدعم الحكومي .. الخ.

لقد بلـغ حجم الديون الخارجية المترتبة على الولايات المتحدة الامريكية ٣٠ ضعف مثيلتها

Digitized by Birzeit University Library

في الاتحاد السوفييتي لعام ١٩٨٤ (١٢٠ مليار : ٤ مليارد) واذا تفحصنا حجم الديون الخارجية المترتبة على الاتحاد السوفييتي البالغة ٤ مليارد دولار كما قدرتها مجلة الايكونومست البرجوازية ذى التوجه المعادى للاشتراكية، وهذا (رقم مبالغ فيه بكل تأكيد) لوجدنا ضآلتها اذ ادركنا ان حجم ديون اسرائيل البالغ عدد سكانها ٤ مليون نسمة فقط تعادل ٧ر٢ (٣٠ مليار دولار) ضعف ديون الاتحاد السوفييتي البالغ عدد سكانه ٢٧٥ مليون نسمة ٠١

لم يتفوق الاتحاد السوفييتي بفضل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى على البلدان الرأسمالية "في معدلات التطور ووتائر التقدم بل ضرب مثلا ارقى في اسس التعامل والتعاون الاقتصادى بين الامم القائمة على المنفعة المتبادلة وعدم فرض الشروط والاملاءات وساعد في ارساء اسس جديدة غير استغلالية في مجال التجارة الخارجية ولذلك فليس صدفة ان تزداد مساهمة الدولة السوفييتية في التبادل التجارى العالمي٠ ففي عام ١٩٥٠ كان الاتحاد السوفييتي يقيم علاقات تجارية مع ٤٤ دولة اما في عام ١٩٨٢ فقد بلغت ١٤٢ دولة وارتفع حجم التبادل لنفس الفترة من ٩ر٢ مليار روبل الى ١١٩ مليار روبل ٠

اما على صعيد التعامل الاقتصادى مع البلدان النامية فقد ادخل الاتحاد السوفييتي لقاموس علاقاتها الخارجية لاول مرة في تاريخ البشرية بعد قرون من النهب والاستغلال والاستعمار مصطلحات التعاون على قاعدة المنفعة المتبادلة والمساعدات النزيهة الهادفة للقضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعي، ففي الوقت الذى بلغت فيه رؤوس الاموال الموظفة من الشركات الامريكية المتعدة الجنسيات للفترة ١٩٧٠ ــ ١٩٨٠ في البلدان النامية ٨ مليارد دولار متمركزة في قطاعي الخدمات والسياحة بعيدا عن بناء القاعدة المادية والصناعية٠ وبلغت ارباح هذه الشركات ٤ر٧٩ مليارد دولار بمعدل ١٠ دولار لكل دولار مستثمر، ٥ر٧٠ ٪ من اجمالي الارباح محولة للولايات المتحدة الامريكية في اضخم عملية نهب يشهدها التاريخ فقد تم بمساعدة الاتحاد السوفييتي لوحده (عدا عن البلدان الاشتراكية الاخرى) في مطلع الثمانينات وفي اطار القطاع العام للبلدان النامية بناء مؤسسات تقوم بانتاج ٢٠ مليون طن من الصلب واستخراج ٦٥ مليون طن من النفط وتكرير ٦ر١٧ مليون طن منه وانتاج ٣ر٣ مليون طن من الاسمنت ،كما يشيد او سيشيد من المحطات الكهربائية ما تبلغ قدرته الاجمالية ١٣ مليون كيلووات، وجرى بناء ما يزيد على ٤ الاف كيلو متر من السكك الحديدية والطرق واستصلاح حوالي ٧٠٠ الف هكتار من الاراضي٠ وفي اطار التعاون مع الاتحاد السوفييتي يتواجد في مراكز التدريب الانتاجية والتقنية والمهنية وفي المعاهد العليا والثانويات ١٠٠ الف سنويا من ابناء البلدان النامية يتلقون علومهم دون مقابل ٠

المراجـــــع :

١) N.ATIKHONOV,SOVIET ECONOMY,NOVOSTI PRESS AGENCYPUBLISHING HOUSE

٢) الاتحاد السوفياتي دليل اقتصادى سياسي ــ دار التقدم ــ ١٩٧٩ ٠

٣) افجيني بريماكوف الشرق بعد انهيار النظام الاستعمارى دار التقدم موسكو ١٩٨٥٠

٤) THE ECONOMIST, OCTOBER1985 .

Digitized by Birzeit University Library

التربية المدرسية والعطاء العلمي في البلاد العربية

اعداد : خليل محشي ـ دائرة التربية وعلم النفس ـ جامعة بيرزيت

تمهيد :

قدمت هذه الورقة في ندوة " تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي" التي عقدت في عمان خلال الفترة ١٣ ـ ١٦ ايار ١٩٨٥. وقد نظم الندوة مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان. ولقد حضر الندوة ثمانون مشاركا من العاملين في مجال العلوم والتربية والتنمية والثقافة في خمس عشرة دولة عربية. وقدمت في الدورة ورقات بحث حول معنى العلم والعطاء العلمي، ودور العلم في التنمية والتغيير في الوطن، والانتاج العلمي العربي المعاصر، ودور المؤسسات في تحقيق التكون والعطاء العلمي مثل : الاسرة، المدرسة، مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحوث، مؤسسات التعليم غير التقليدية، وسائل الاعلام، ومؤسسات الثقافة الشعبية والفعاليات المساعدة، وحول دور الدولة في التوجيه والتخطيط للعطاء العلمي، وحول حالات محددة من "السياسات العملية التي اعتمدتها بعض الدول النامية.

وستقوم الكاتب بنشر هذه الدراسة على حلقتين الاولى عن النظام التربوى العربي، والحلقة الثانية في العدد القادم عن التربية المدرسية والعطاء العلمي.

الحلقة الاولى

مقدمة

تعلق الدول العربية اهمية بالغة على دور التربية وعائدها الانمائي في الوطن العربي. كما وتولي التعليم النظامي اهتماما كبيرا وتلقي عليه مسؤولية اعداد "الاطر القديرة اللازمة للتنمية على شتى المستويات" (١). وانطلاقا من هذا الاهتمام بذلت الدول العربية الجهود المضنيةوانفقت الاموال

Digitized by Birzeit University Library

الطائلة على تطوير التعليم النظامي في مراحله المختلفة. فاذا نظرنا الى جملة البلاد العربية، نرى ان الانفاق على التربية خلال العقدين الماضيين وخلال العقد الحالي كان لا يقل عن ١٣ ٪ في المعدل من ميزانية الدولة السنوية وان معدل الانفاق على التربية للفرد ومعدل الانفاق على الطالب في الدول العربية بلغ ثلاثة اضعاف ما انفق في الدول النامية بشكل عام (٢). وقد حظي تعليم العلوم باهتمام خاص في مراحل التعليم المختلفة في الدول العربية بهدف ان يؤدي الى سد النقص والثغرات في الاطر التقنية والعلمية وان يساهم في سد الفجوة بين الدول العربية والدول المتقدمة في المجالات العلمية والتكنولوجية . وكان امل الدول العربية، وما زال، ان يؤدي تطور العلوم والتكنولوجيا فيها الى نفس النتائج التي ادى اليها في الدول المتقدمة من تطور اقتصادي واجتماعي.

ومع ان التخطيط الفردي والمشترك لتطوير التربية في الدول العربية قد ابتدأ منذ نيلها الاستقلال السياسي، ومع ان الاهتمام الخاص بتعليم العلوم فيها قد ازداد بشكل ملحوظ منذ اواخر الخمسينات، الا ان النتائج ما زالت غير مرضية. فالدول العربية ما زالت تعاني من التخلف والتبعية وما زال الانجاز العلمي والتطور التكنولوجي فيها بعيدين كل البعد عن المستوى المنشود .

ان اسباب عدم نجاح التربية النظامية، بشكل عام، وتعليم العلوم، بشكل خاص في احداث الانجاز العلمي والتكنولوجي وفي التأثير ايجابيا على عملية التنمية في الدول العربية عديدة. وهذه الاسباب لا يمكن عزلها عن اسباب اخرى تتعلق بالمجتمع وببنيته الاقتصادية والاجتماعية وبالثقافة والفكر السائدين فيه، الا انه من المفيد لاغراض البحث الحالي ابراز الاسباب التي تتعلق :

١) بالنظام التربوي :الفكر التنموي الذي يرتبط به، خلفيته، واقعه ودور المدرسة والامتحانات الرسمية فيه .

٢) بسياسة وواقع تعليم العلوم المدرسية .

ومع ان تعليم العلوم هو جزء من التربية المدرسية، الا انني سأقوم بمناقشته بشكل منفصل لابراز خصوصياته. وبعد استعراض هذه الاسباب، فانني سأقوم بتقديم بعض المقترحات لتحسين وتفعيل دور المدرسة في مجال تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي.

النظام التربوي العربي

اذا نظرنا الى الدول العربية نلاحظ ان الجهود التربوية فيها منصبّة في معظمها على التربية النظامية، وبالتحديد على التعليم المدرسي والعالي. كما نلاحظ الاقبال الشديد والمتزايد على التعليم النظامي بكافة مراحله وندرة البرامج غير النظامية وقلة الاقبال عليها بالمقابل. وهذه الظواهر غير مقتصرة على الدول العربية بل تتعداها الى معظم الدول النامية. ومن اجل فهم هذه الظواهر وفهم الواقع التربوي وتأثيره على العطاء العلمي في البلدان العربية لا بد من القاء نظرة سريعة على جذوره الفكرية وخلفيته التاريخية .

المفهوم التقليدي للتنمية:

بعد حصولها على الاستقلال السياسي،

Digitized by Birzeit University Library

انصب اهتمام الدول النامية على وضع وتنفيذ الخطط للنهوض بالاقتصاد الوطني ولاحداث التنمية فيها. ولقد كان نموذج التنمية الاكثر رواجا في تلك الفترة، فترة الخمسينات، هو النموذج الذي اتبعته الدول المتقدمة، وخصوصا الدول الغربية الرأسمالية. وحسب هذا النموذج الذى اصبح يعرف الان بالنموذج "التقليدى" للتنمية، فان حالة الفقر والتخلف التي كانت عليها الدول حديثة الاستقلال ما هي الا مرحلة مبكرة من مراحل النمو للوصول الى مصاف ومستوى الدول المتقدمة (٣). وفي هذا المضمون، رأت الدول النامية ان الطريق الاكيد للتنمية يكمن في اتباع خطي الدول الغربية في التركيز على سبل زيادة الناتج القومي وتعجيل النمو الاقتصادى. وأهم هذه السبل هو ادخال التصنيع الى المجتمع كما حصل في الدول الغربية المتقدمة خلال الثورة الصناعية. والطريق الاسرع لعملية التصنيع هذه ليست بتطوير العلوم والتكنولوجيا الصناعية محليا وانما هي بنقل التكنولوجيات الغربية الجاهزة او ما يسميه البعض النقل الخالي من التكنولوجيـــا (٤).

ولم يقتصر اتباع خطى الغرب على تقليده في عملية التصنيع فقط بل تعداها الى التقليد في مجالات عديدة ومتنوعة مثل انشاء المؤسسات المختلفة، كالمستشفيات والبنوك، وتشجيع التبادل التجارى وبناء شبكات الطرق اللازمة له، وتطوير وسائل الاعلام، وتوسيع المدن وتركيز الخدمات فيها ـ اى خلق قطاع حديث بكافة جوانبه. فأصبح مفهوم "التحديث" بمعنى تقليد الغرب، مرادفا لمفهوم " التنمية ".

ولا اريد ان اعطى الانطباع هنا ان الاهتمام بالتصنيع وبخلق قطاع حديث وبتركيز الخدمات المختلفة في المدن قد جاء في جميع الحالات بطريقة عفوية ونتيجة تفكير ملائم فقط. فهذه الظاهرة لها علاقة بطبيعة الارادة السياسية في البلدان العربية، والبلدان النامية بشكل عام، وتعكس البنى الاجتماعية والاقتصادية فيها. فقد جاءت هذه السياسة التنموية تجاوبا مع مطالب ومصالح الاقليات المتنفذة في الدول النامية والتي كانت في معظمها فئات مدينية وتتميز بثقافة غربية وبقيم وعادات ونمط استهلاك الطبقات الوسطى والعليا في البلدان المتقدمة. وقد اهملت هذه السياسة واقع واحتياجات اغلبية السكان، ومعظمهم من الريفيين، فلم تسهم ثمار عملية التحديث وبقوا على حالهم يعانون من الفقر والتخلف. وقد ادت هذه السياسة الى ظهور الازدواجية او الثنائية في اقتصاد البلدان النامية ـ القطاع الحديث والقطاع التقليد ـ والى التبعية للدول المتقدمة والاعتماد عليها في مجالات عديدة : التكنولوجية ، الاقتصادية، السياسية، والثقافية.

ولست هنا بصدد التفصيل في مناقشة الفكر التنموى العربي منذ فترة الاستقلال وحتى الان. فهذا موضوع طويل ومعقد وما زال مدار بحث ونقاش بين جميع المعنيين بقضايا التنمية والمثقفين العرب (٥). ولكن ما يهمني ابرازه هنا هو تبني الدول العربية لنموذج التنمية الغربي وما ادى اليه ذلك من نقل عن الغرب وتقليده في بناء قطاع حديث بكافة جوانبه والى سيطرة العقلية التي تنظر الى الغرب كمثال يحتذى به وتستمد منه الفكر

Digitized by Birzeit University Library

والثقافة والمعرفة .

الخلفية التاريخية للنظام التربـوى العربـــــي :

ضمن عقلية التقليد هذه ، ومن اجل خلق القطاع الحديث وتطوره، كان لا بد للدول النامية من الاهتمام بالتربية. فمن خلال نظرتها الى الدول الغربية، ساد الاعتقاد لدى الدول حديثة الاستقلال ان احد المفاتيح الاساسية للتنمية الوطنية يكمن في التوسع الكمي والسريع في الفرص التعليمية. وكما هو الحال في مجال التصنيع، فانه كلما كان التوسع في الفرص التعليميةوالوصول الى مستوى الغرب التعليمي اسرع كلما ادى هذا الى التعجيل في التنمية المنشودة . ولكن على خلاف عملية التصنيع ، فانه لم يكن من الضروري في مجال التربية البدء من نقطة الصفر ونقل نظام التربية الغربي من الدول المتقدمة. فقد كان هذا النظام متوفرا في البلدان النامية ولم يكن مطلوبا الا التوسع فيه ـ اى التوسع في نظام التربية المدرسية الذى تم انشاؤه وارساء قواعده على يد قوات الاستعمار قبل الاستقلال .لذلك، وضعت الحكومات الوطنية في الدول النامية على رأس قائمة اولوياتها نشر التعليم عن طريق زيادة عدد المدارس وتوفير التعليم المجاني للاطفال في سن التعليم الابتدائي، في المراحل الاولى، وللذين بلغوا سن ومستوى التعليم مابعد الابتدائي في المراحـــل اللاحقـــة (٦).

ان التوسع الكمي في النظام التربوى الذى انشاه الاستعمار بدون التغيير الجذرى في اهدافه ومضمونه وبنيته عنى بالضرورة تبني الدول حديثة الاستقلال لنفس السياسة التعليمية ولكن تحت اسم جديد : تربية وطنية. اما الاستعمار فقد كان يهدف من وراء سياسته التعليمية خلق شريحة او نخبة من المتعلمين من ابناء البلد لمساعدته في تطبيق سياسته وفي ادارة الشؤ ون المحلية من خلال ملء الوظائف في القطاع الحكومي وفي قطاع الخدمات . هذا اضافة الى ضمان استمرار نفوذ الاستعمار ،عن طريق جعل فكره وثقافته هما السائدين بين الفئات او الطبقات المتنفذة في المجتمعات المحلية، وفتح الاسواق المحلية للمنتجات من الدول الاستعمارية عن طريق تشجيع نمط حياة يتميز بالطابع الاستهلاكي للسلع المستوردة .لذلك، فقد اهتم الاستعمار بتشجيع نمط واحد من انماط التربية الذى يحقق له غاياته بنجاعة وهو التربية النظامية التي تتم في المدارس. وفيها يتم التشديدعلى اكساب الطالب مهارات وصفات تناسب عمله كموظف في القطاع الحكومي عن طريق الطابع الاكاديمي للتعليم المدرسي والتركيز على المعرفة الكتبية واهمال المهارات اليدوية والفنية والتطبيقاتالعملية في المجالات الانتاجية. وكان من البديهي كذلك ان يوجه الاستعمار التعليم نحو ثقافته عن طريق تدريس لغته واستعمال المناهج الغربية البعيدة كل البعد عن واقع ومشاكل المجتمع المحلي، العربي وغيره (٧).

ان الدارس لمسيرة التربية العربية منذ حصول الدول العربية على الاستقلال السياسي وحتى يومنا هذا يلحظ الانحياز فيها نحو استراتيجية النمو الكمي وتأثرها بتقليد الغرب وبعدها عن التغيير الجذرى وافتقارها الى

Digitized by Birzeit University Library

التحسين النوعي والاصالة. وقد شهدت الدول العربية قفزات هائلة في اعداد الملتحقين بالتعليم المدرسي خلال الخمسينات والستينات واستمرارا في جهود التوسع الكمي الافقي (في نفس المستوى التعليمي) والعامودي (مستويات تعليمية اعلى) خلال العقد الماضي والعقد الحاضر .

واقع النظام التربوى العربي :

بسبب الجذور التاريخية للانظمة التربوية في الدول العربية وبسبب التشابه في واقع التربية والتعليم وفي مؤسسات القطاع التعليمي واهدافها ونموها فانه يمكن الحديث عن التربية العربية كنشاط عام يكاد لا تختلف سماته بين بلد عربي وبلد آخر (٨).

ان النظام التربوى العربي اليوم ، ومع كل الجهود التي بذلت فيه ، ما زال يتصف بنفس سمات النظام التربوى الذى انشأه الاستعمار ، باستثناء بعض المحاولات للتغيير التي تكاد لا تذكر .والسبب في ذلك عائد ، كما اشرت سابقا ، الى ان التربية قد ارتبطت ، وما زالت مرتبطة حتى الان ، بمفهوم غير ملائم او قاصر للتنمية وهو مفهوم التحديث على النمط الغربي ، وما زالت سياستها الى حد كبير شبيهة بالسياسة التعليمية ما قبل الاستقلال.

اما اهم هذه السمات فهي :-

١) اقتصاد الجهود التربوية او توجيه معظمها نحو التربية النظامية (المؤسساتية) واهمال برامج التربية غير النظاميةوقيمتها وعائدها الانمائي .

٢) احادية التوجه الكمي او اتباع استراتيجية النمو الكمي للتعليم على حساب نوعيته ومع ذلك ، ومع ان الانفاق على التعليم في البلاد العربية يتزايد باستمرار ، الا انه ومع ذلك ، ومع ان الانفاق على التعليم في البلاد العربية يتزايد باستمرار ، الا انه ما زال تعليما نخبويا لانه لم يستطع ان يصل الى غالبية ابناء الوطن العربي ممن هم في حاجة اليه وما زالت نوعيته غير مرضية وغير مقنعة (٩)

٣) يقتصر التعليم فيه على العمل المدرسي المعزول عن حياة المجتمع وواقعه .

٤) يعكس ظاهرة الثنائية الاقتصادية والاجتماعية حيث ان الخدمات التعليمية متوفرة في المدن اكثر من الريف ، وللذكور اكثر من الاناث ، وللاغنياء اكثر من الفقراء .

٥) مناهجه رسمية ومركزية وجامدة ويتم التركيز فيه على استعمال نفس الكتب المقررة في جميع المدارس والتشديد على المعلومات فيها بدون توفير المرونة للمعلم في اختيار المحتوى الذى يلائم قدرات تلاميذه واهتماماتهم واحتياجاتهم المعيشية واليومية .

٦) يغلب عليه الطابع الاكاديمي النظرى على حساب التعليم المهني والتقني والتطبيقي .

٧) تركيبته هرمية بحيث تحضر كل مرحلة منه الطلبة للمرحلة التي تليها وبحيث تصل الاقلية (الناجحةوالمتفوقةفي الامتحانات الرسمية) الى التعليم الاكاديمي الجامعي الذى تتوجه الدكتوراه (١٠).

وكما اننا نلاحظ اليوم ازدياد الاهتمام

Digitized by Birzeit University Library

بمراجعة الفكر التنموي في الدول العربية، والدول النامية بشكل عام، فاننا نلاحظ كذلك نهاية الانبهار بالمنجزات التربوية في هذه البلدان والمناداة بضرورة اعادة النظر في السياسة التربوية والنظام التربوي فيها. فبدل ان نرى الكتابات التي تشيد بدور التربية الايجابي في المجتمع. بدأنا نجد، منذ السنوات الاخيرة من العقد الماضي، ان المعنيين بقضايا التربية العربية يشيرون الى "أزمة التربية العربية" والى اثرها السلبي في مجال التنمية والى ضرورة مراجعة موقفنا حول مردود التعليم العربي في التنمية (١١). فاذا نظرنا الى الواقع العربي اليوم نرى مظاهر عديدة لتقصر التربية عن آمال وتطلعات الدول العربية. ومن هذه المظاهر:

١) ان نسب الامية في البلدان العربية ما زالت مرتفعة ولم يتم سد منابع الامية: فالتسرب من المدارس ظاهرة متفشية ولم يتحقق حتى الان تعميم التعليم الابتدائي بين الاطفال في سن هذا التعليم.

٢) ان مردود التربية في القطاع الزراعي يكاد لا يذكر وقد يكون مردودا سلبيا. فالتربية النظامية تشكل عامل دفع ونفور من العمل الزراعي ومن الريف العربي.

٣) ما زلنا نرى ان القليل من خريجي المدارس والجامعات يعطون في المجالات المختلفة والصيانة والادارة والتنظيم مما يؤدي الى انخفاض انتاجيته.

٤) ان قطاع الخدمات، ومع كل التقدم الملحوظ فيه، ما زال عاجزا عن معالجة العديد من المشكلات الاجتماعية مثل المعدل المرتفع في وفيات الاطفال، والامراض المختلفة، والتكلفة المرتفعة لخدمات الاسكان، وسوء الخدمات الحكومية (١٢).

٥) تفشي ظاهرة بطالة المتعلمين وهجرتهم من الريف الى المدينة وهجرة الكفاءات العالية الى الدول المتقدمة، وخصوصا الغربية منها (١٣).

دور المدرسة والامتحانات:

لقد كانت التربية في المجتمع التقليدي، ومازالت الى حد كبير، تتم في العائلة النووية، وفي العائلة الممتدة، وفي المجتمع المحلي، فقد كان الطفل يتعلم المعرفة والمهارات اللازمة للانتاج وللمهام التي عليه القيام بها من افراد عائلته المباشرة (النووية) اما القيم والعادات والتقاليد فقد كان الطفل يتعلمها من افراد عائلته، النووية او الممتدة، او عن طريق تفاعله مع افراد مجتمعه المحلي او انخراطه في حياة هذا المجتمع. اى ان الطفل كان يكتسب كل ما يلزمه من معرفة مهارات عملية ووسائل التفاعل والاندماج الاجتماعي من خلال التفاعل مع الاخرين في محيطه ومن خلال العمل والممارسة وبدون الحاجة الى مؤسسة مخصصة للتعليم.

اما القطاع الحديث، فانه يتطلب الالتحاق بالتعليم النظامي لاكتساب المعرفة والمهارات والصفات الشخصية اللازمة للعمل فيه. فالعائلة والمجتمع المحلي غير قادرين على اكساب الطفل هذه الامور لانهما لا يمتلكانها او لا يتقنانها. فاصبحت هذه هي وظيفة المدرسة الاولى وهي وظيفة تعليمية

Digitized by Birzeit University Library

وتربويـــة .

ومع توسع القطاع الحديث اصبح من الواضح ان هنالك مزايا كثيرة للعمل فيه، وخصوصا في العمل المكتبي الحكومي والخاص، بالمقارنة مع العمل في القطاع التقليدي وأهم هذه المزايا ان الدخل في القطاع الحديث اعلى بشكل شاسع من الدخل في القطاع التقليدي، وانه داخل ثابت ومضمون وغير معرض للتقلبات السريعة والكبيرة نتيجة تأثير الظواهر الطبيعية او عوامل خارجه عن ارادة الفرد، وان فرصة العمل في مضمونه لفترة طويلة، وان العمل مريح نسبيا ويؤدى في كثير من الاحيان الى منزلة اجتماعية مرموقة او الى موقع نفوذ في المجتمع (١٤). لذلك اصبح انتقال الفرد من العمل في القطاع التقليدي الى العمل في القطاع الحديث بمثابة ارتقاء اجتماعي له. فزاد الطلب على الوظائف في القطاع الحديث مما زاد من الطلب على الالتحاق بالتعليم المدرسي. ولكون الوظائف المتوفرة في القطاع الحديث اقل من الطلب عليها ولكون هذه الوظائف تتطلب تحقيق مستوى معين من التعليم المدرسي، اصبح للمدرسة وظيفةجديدة، اضافة الى الوظيفة التعليمية التربوية، وهي تنظيم عملية الحصول على الوظائف في القطاع الحديث، وخصوصا الوظائف المكتبية او "وظائف الياقة البيضاء" والتنظيم هذا يتم عن طريق انتقاء الطلبة الذين "يصلحون" للوظائف من الذين" لا يصلحون"، اى غربلة الطلبة الى " ناجحين" و"فاشلين". فالناجحون هم الذين ينهون المستويات التعليمية المطلوبة واللازمة للوظائف .اما " الفاشلون" فهم الذين لا يحققون ذلك وينقطعون عن الدراسة ويعودون الى العمل في القطاع التقليدى، او في الاعمال اليدوية في القطاع الحديث، وقد ترسخت لديهم القناعة بأنهم يستحقون هذا "العقاب" او هذا المصير لانهم " فشلوا".

ومع ازدياد عدد الملتحقين بالتعليم النظامي يزداد عدد "الناجحين" وبالتالي يزداد عدد المتنافسين على الوظائف المتوفرة لذلك تزداد الحاجة الى تطوير اساليب الانتقاء للمقارنة بين" الناجحين" او المتخرجين من المدارس المختلفة. فتلقى هذه المسؤولية على الامتحانات وخصوصا الامتحانات العامة او الرسمية التي يتقدم اليها الطلبة من مختلف المدارس. وتدريجيا ، تزداد اهمية الوظيفة الثانيةللمدرسة وظيفة الانتقاء ، ويقل التشديد على قيام المدرسة بوظيفتها الاولى وخصوصا الجانب التربوى منها. وتتحول المدرسة تدريجيا من مؤسسة تربوية الى مؤسسة اهم ما فيها انها تمنح الشهادات والمؤهلات المطلوبة لدخول القطاع الحديث. فبدل ان يتركز اهتمام المدرسة على تربية الطلبة – اى اكسابهم المعرفة والمهارات اللازمة لحياتهم ولمهنتهم المتوقعة بعد التخرج وتعويدهم حب التعلم واكتساب المعرفة لقيمتها في حياة الانسان – ينصب اهتمامالمدرسة على تحضير الطلبة للنجاح في الامتحانات، وأهمها الامتحانات الرسمية. ونتيجة لذلك يقتصر التعليم في المدرسة على المحتوى الذى يتم امتحان الطلبة فيه وعلى الاساليب التي تعتبر اقصر الطرق وانجعها للنجاح في الامتحانات الرسمية ويصبح اى تعلم مفيد اما شبه معدوم او نتاجا ثانويا لعملية تحضير الطلبة للامتحانات

Digitized by Birzeit University Library

وكما ان ازدياد عدد الملتحقين بالتعليم النظامي من اجل الحصول على الشهادات يشوه العملية التربوية ويغير دور المدرسة ودور الامتحانات ،فانه كذلك يفاقم من مشكلة اصبحت الدول العربية والدول النامية تعاني منها وهي تكاثر اعداد العاطلين عن العمل من خريجي المدارس. اما ما ينتج عن هذه المشكلة فهو ليس انخفاض الاقبال على التعليم المدرسي وانما تضخم المؤهلات المطلوبة للوظائف المختلفة في القطاع الحديث. فتصبح الوظيفة التي كان يلزمها خريجا يحمل الشهادة الثانوية، مثلا، تتطلب خريجا يحمل شهادة البكالوريوس(١٥). وبهذا يصبح الشرط الاساسي للحصول على الوظائف في القطاع الحديث ليس حيازة الشهادة(او المستوى التعليمي) التي تلزم فعلا وانما الشهادة التي اصبحت مطلوبة نتيجة هذا التضخم. وبالتالي تزداد الفجوة بين ما هو لازم او كاف وما هو مطلوب. ويؤدى كل ذلك الى هبوط قيمة الشهادات باستمرار وزيادة الطلب على الالتحاق بالمستويات التعليمية الاعلى. وينتج عن هذا تحول اضافي في دور المدرسة : من مؤسسة تحضر الطلبة للنجاح في الامتحانات من اجل الحصول على الوظائف الى مؤسسة تحضر الطلبة للنجاح في الامتحانات من اجل الالتحاق بالمستويات التعليمية الاعلى وخصوصا التعليم الجامعي. ومع تفاقم هذه المشكلة ينتشر هذا التشويه الى المستويات التعليمية الاعلى والاكثر كلفة مما يزيد من الاهدار في المصادر البشرية والمادية الموظفة في النظام التربوى.

من هذا المدخل يمكننا النظر الى الدور الذى تقوم به المدرسة والامتحانات الرسمية في التربية والى تأثيرهما على نوعية الطلبة الذين يتخرجون من المدرسةمن ناحية مهاراتهم وقدرتهم واتجاهاتهم وتوقعاتهم ونظرتهم الى علاقتهم بالمجتمع وميلهم للعطاء بكافة اشكاله واستعدادهم وتحضيرهم له.فاذا نظرنا الى المدرسة والى التعليم المدرسي في الدول العربية اليوم (وهذا ينطبق الى حد كبير على التعليم الجامعي ايضا) نلاحظ الامور التالية :ـ

١) الاقبال الشديد على الالتحاق بالتعليم المدرسي الاكاديمي الذى من المفترض ان يفتح المجال امام الطلبة للالتحاق بالتعليم الجامعي وبالعمل المكتبي في القطاع الحديث. بالمقابل فان الالتحاق بالمدارس المهنية والفنية التطبيقية على مستوى الاعدادى والثانوى ما زال يعاني من النقص الهائل. فالنظرة لهذا النوع من التعليم هي انه مخصص للذين لم يستطيعوا الالتحاق او البقاء في التعليم الاكاديمي اى "للفاشلين". لذلك، نرى ان نسبة الطلبة المسجلين في هذا النوع من التعليم تبلغ ما يقل عن ٥٪ من مجموع الطلبة في المراحل المدرسية ما بعد الابتدائية (١٦).

٢) تكثر في التعليم المدرسي الامتحانات وتستعمل نتائجها كمؤشر وحيد لاعطاء التقارير عن عمل الطلبة في المدرسة. وتحتل الامتحانات الرسمية مكانا مركزيا ومرموقا عن عمل الطلبة في المدرسة. وتحتل الامتحانات الرسمية مكانا مركزيا ومرموقا في النظام المدرسي وتولي اهمية كبيرة من قبل المدراء والمعلمين والطلبة

Digitized by Birzeit University Library

وأهالي الطلبة والمؤسسات المختلفة في المجتمع. فنرى ان امتحان الشهادة الثانوية العامة (التوجيهي في معظم الدول) يعتبر تتويجا للعمل المدرسي وتستعمل نتائجه كأساس شبه وحيد للالتحاق بالتعليم العالي. كذلك يقاس مستوى او نوعية المدرسة الثانوية وكفاءة المعلمين فيها بنسب النجاح والعلامات العالية التي يحققها طلبتها في امتحان الشهادة الثانوية العامة.

٣) يؤدي التشديد الزائد على الامتحانات والعلامات والشهادات الى بروز النزعة الفردية لدى الطلبة بدل الروح الجماعية ،وتفشي المنافسة السلبية بدل التعاون، واعلاء المصلحة الشخصية بدل المصلحة العامة، والسعي لتحقيق المكاسب الذاتية والخاصة بدل الاستعداد للعطاء للمجتمع.

٤) كذلك فان من النتائج السلبية للتركيز على تحضير الطلبة للامتحانات المدرسية والرسمية واقتصار هذه على اختبار معلومات الطلبة والمعرفة التي اكتسبوها، انه اخذ يغلب على التعيم في المدرسة طابع التلقين. فاهتمام المعلمين والطلبة منصب على المعلومات الكتبية التي من المتوقع ان يمتحن الطلبة فيها والتي على الطلبة ان يحفظوها عن غيب من اجل ترديدها في الامتحانات. بالتالي ، ،فان المدرسة لا تهتم بالجوانب من العملية التعليمية التعلمية التي لن يمتحن الطلبة فيها. فالمدرسة لا تهتم مثلا، بتطوير قدرات الطلبة المنطقية والتحليلية، وقدرتهم على البحث والاستنتاج وصنع القرار، وقدرتهم على التجريد، وقدراتهم العملية والحركية.

كما ان المدرسة اصبحت تهمل دورها في بناء صفات شخصية مرغوبة لدى الطالب مثل الدقة والاتقان والترتيب وحب المعرفة والاستمتاع بالعمل والانجاز وتذوق الفن والجمال. كذلك ،فان المدرسة لا تساعد الطلبة في التعرف على واقعهم ومجتمعم وعلى المشاكل التي يواجهها المجتمع وفهم اسبابها ولا تخلق لديهم الاستعداد للمساهمة في حل هذه المشاكل.

٥) بسبب التضخم في الشهادات او المؤهلات المطلوبة للوظائف في القطاع الحديث، نرى ان المدرسة والمناهج المدرسية في كل مرحلة تعليمية تهدف الى تحضير الطالب للمرحلة التي تليها وليس الى اكساب الطالب مهارات محددة تعينه وتنفعه في حياته خارج اسوار المدرسة. فهدف المرحلة الابتدائية هو تحضير الطالب للمرحلة الاعدادية او المتوسطة، وهدف هذه الاخيرة هو تحضيره للمرحلة الثانوية. وهدف المدرسة الرئيسي هو تحضير الطلبة للالتحاق بالتعليم العالي، وخصوصا التعليم الجامعي .لذلك ،فان التربية المدرسية هي تربية نخبوية لانها تخدم الاقلية الذين يستطيعون الوصول الى التعليم الجامعي (١٧). وبما ان التعليم الجامعي في الوطن العربي يعاني من التبعية العلمية للجامعات الغربية وما زالت مناهجه تعاني من الاغتراب وعدم الملائمة الى حد بعيد (١٨) ،فان التعليم المدرسي ومناهجه بعيدان عن الواقع وعن حاجات المجتمع ومشكلاته. لذلك،

Digitized by Birzeit University Library

تؤدى الطبيعة النخبوية وغير الملائمة للتعليم المدرسي الى عدم تحضير اغلبية الطلبة للحياة غير الجامعية وللمساهمة في تطوير الواقع. بل على العكس، تعود هذه الاغلبية الى المجتمع من المدرسة وهي مزودة بشعور بالعجز والفشل وبمعرفة كتبية غير ملائمة للمهن التي ستقوم بها او للقيام بدور فعال في المجتمع. اما الاقلية (الناجحة) والتي تصل الى الجامعة، فان علمية اغترابها تتعزز وتتفاقم في التعليم الجامعي وتزيد نزعتها الاستعلائية وميلها للعلوم الغربية وبعدها عن واقعها وقضاياه.

٦) تخلف المدرسة لدى الطلبة توقعات غير واقعية او غير ملائمة لوضع واحتياجات سوق العمل والمجتمع. فكلما وصل الطالب الى مستويات اعلى من التعليم تزيد توقعاته بالحصول على العمل المكتبي في القطاع الحديث (١٩) وهذا نوع من انواع المكافآت التي يتوقع الطالب الحصول عليها نتيجة تزايد الشعور لديه بأنه من النخبة. فهو قد اجتاز حواجز عديدة ـ امتحانات عديدة ـ بينما "تساقطت" الاغلبية "في المراحل المختلفة في عملية التنافس. اما الانواع الاخرى للمكافأة فمنها عدم العمل في المهن اليدوية حتى في القطاع الحديث، التعليم العالي المجاني، تقدير المجتمع له، دخل مرتفع، الاصرار على وظيفة او عمل يناسب توقعاته، وضمان دخل له او اعالته اذا لم يجد عملا او لم يرضى بعمل يشعر انه لا يناسبه. ونتيجة لكل هذا، اصبحنا نرى ظاهرة ترفع المتعلمين عن العمل اليدوى تنتشر في الدول العربية والدول النامية، وهجرة المتعلمين من الريف الى المدينة سعيا وراء العمل المكتبي، وبطالة المتعلمين في المدن، وكثرة الحديث عن مشكلة الخريجين الجامعيين اى الجامعيين العاطلين عن العمل والذين على المجتمع ان "يخلق" لهم الوظائف، وهجرة الخريجين الجامعيين الى دول اخرى وخصوصا المتقدمة سعيا وراء عمل يلائم تخصصاتهم و"ظروف افضل" من تلك المتوفرة في بلدانهم.

سياسة وواقع تعليم العلوم

لقد مر تعليم العلوم المدرسية بنفس مراحل التغيير التي مرت بها التربية في الدول العربية وتأثرت سياسته بنفس الفكر التنموى الذى انطلق منه النظام التربوى في الوطن العربي. ولكن، لكون العلاقة بين تطور العلوم وتطور عملية التصنيع في الدول الغربية المتقدمة علاقة وثيقة تاريخيا فقد اولت الدول النامية، والدول العربية خاصة، التغييرات التي حصلت في مجال تعليم العلوم بالغرب عناية خاصة. فقد كانت تتابعها وترصدها باستمرار وتسعى جاهدة للحاق بها وتقليدها.

فقبل الحرب العالمية الثانية كانت مناهج العلوم المدرسية في معظم الدول العربية نسخة عن مناهج الدول الاستعمارية (٢٠)، وذلك لنفس الاسباب التي تم ذكرها في قسم سابق من هذه الورقة. وبعد عام ١٩٥٧، زاد الاهتمام بتحسين تعليم العلوم والرياضيات

Digitized by Birzeit University Library

في الدول الغربية بسبب الهزة التي احدثها قيام الاتحاد السوفييتي باطلاق اول قمر اصطناعي. فتأثرت الدول العربية بهذا التزايد في الاهتمام وأصبحت تولي تعليم العلوم اهتماما خاصا (٢١).

ولكن ،ومع كل هذا الاهتمام، فقد كان من اهم اهداف تعليم العلوم خلال الستينات هدف اكساب الطالب مجموعة من الحقائق والمعلومات والقوانين العلمية، وأهمل هدف اكسابه اسلوب البحث والتفكير العلمي (٢٢).

ومنذ بداية السبعينات بدأ يطرأ تغيير على الاهداف المعلنة لتعليم العلوم. فبالاضافة الى الاهداف السابقة بدأ يظهر" تأكيد على نواح تتعلق بتنمية التفكير العلمي لدى الطالب عن طريق مشاركته الفعالة في عملية التعليم والتعلم بوساطة اسلوب التدريس الذى يترك المجال للطلاب التفكير والتحليل والاستنتاج قبل ان يقدم الاجوبة والقوانين" (٢٣). وقد جاء هذا التغيير نتيجة التغير الذى حصل في الغرب والذى تمثل بتطوير مناهج علوم مدرسية جديدة تركز على مشاركة الطالب وعمله المخبرى وقيامه بالاستنتاج من تجاربه. وقد بدأ استعمال هذه المناهج الجديدة بالانتشار في الغرب في منتصف الستينات. لذلك، شهدت فترة السبعينات نشاطا محموما في مجال تطوير مناهج العلوم. ولكن الملاحظ ان جزءا كبيرا من هذا النشاط اعتمد على ترجمة، وفي بعض الاحيان اقتباس، المناهج الغربية الجديدة.

ان التغيير في الاهداف المعلنة لتعليم العلوم والعمل على تطوير المناهج لا يعني بالضرورة ان تغييرا نوعيا قد حصل في الواقع فالملاحظ في الدول العربية عامة ان سياسة صنع المناهج ما زالت بحاجة الى الكثير من التحسين كي تؤدى الى تغيير ما يجرى في المدرسة وفي غرفة الصف (٢٤). فمع كل المحاولات لتقليد تعليم العلوم الذى يجرى بالغرب، بقي تعليم العلوم في الدول العربية بعيدا كل البعد عن المثال الذى يحتذى به لاهثا وراءه ولكن بدون جدوى تذكر.

والاسباب في ذلك عديدة، فمنها الاسباب الكمية التي تتعلق بتوفر الامكانيات المالية اللازمة ومنها النوعية التي تتعلق بالفكر التربوى والسياسة التعليمية السائدين وبالتشديد الزائد على دور المدرسة في تحضير الطلبة للامتحانات الرسمية. فقلة المصادر المالية، مع التوسع الكمي الهائل في النظام التعليمي، ادت الى عدم تمكن بعض الدول العربية من الوصول الى المستوى اللازم في تجهيز المدارس بالمختبرات وتزويدها بالمعلمين المؤهلين القادرين على التأقلم مع التغيرات السريعة في مجال تعليم العلوم.

كما ادت الى ارتفاع اعداد الطلبة في الصف الواحد وللمعلم الواحد والى انعدام النشاطات التجريبية واللاصفية في مجال العلوم والى عدم توفر المكتبات المدرسية المناسبة او الكتب المقررة ذات النوعية الجيدة. اما الاسباب النوعية، فقد ادت الى مشكلات شبيهه بالمشكلات التي يعاني منها التعليم عامة. ومن اهم هذه المشكلات (٢٥):-

١) الاستسلام لاتباع مناهج الدول المتقدمة وعدم العمل المتعمق لبلورة فلسفة وأهداف خلاقة في تدريس العلوم بحيث يتم التركيز على مشاكلنا وواقعنا.

٢) عدم الاهتمام بتعليم التطبيقات العلمية للمفاهيم التي تدرس في مواد العلوم

Digitized by Birzeit University Library

وباستخدامها في سد احتياجات المجتمع والبيئة المحيطة. فحتى الان، ومع كل محاولات تقليد الغرب، لم يحتل تعليم التكنولوجيا، مثلا، المركز المرموق الذى وصل اليه في المناهج الاكاديمية في الغـــرب .

٣) تكدس المناهج بالمعلومات والحقائق وعدم الاهتمام الكافي بالاهداف المتعلقة باساليب التفكير العلمي لدى التلاميذ .

٤) اتباع الطرق التقليدية في التدريس وتمسك بعض المعلمين بها والتركيز على تدريس المواد بشكل نظرى وعدم استعمال المختبرات والوسائل التعليمية المعينة بفاعلية. فحتى في المدارس المجهزة بصورة لائقة، نرى ان معظم الاجهزة قد تركت لتراكم الغبار في الكثير من الحالات.

٥) اقتصار التقويم على اختبارات التحصيل وخاصة النظرى منها، والتركيز على التحصيل القائم على التذكر والحفظ وعدم تقويم العمل المخبرى ومهارات التفكير العلمي .

٦) عدم تلاؤم المناهج المثقلة والكتب الدسمة في مادتها والقدرات الذهنية التي تطلبها مع قدرات الطلبة ومستواهم الذهني .

يتبـــع

اليوامـــش

(١) اليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . المؤتمر الاقليمي الرابع لوزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصـــادي : التقريـــر النهائـــي . ابو ظبي ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥ .

(٢) انظـــر :
عبدالله عبد الدائم ، التربيه في البلاد العربيه : حاضرها ومشكلاتها ومستقبلهـــا . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٦ ، ص٣٢ - ٣٤ .
R. Paul Shaw, "Manpower and Educational Shortages in the Arab World : An Interim Strategy". World Development, Vol. 9, No. 7, 1981, pp. 637 - 655.

(٣) Amilcar O. Herrera, "An Approach to the Generation of Technologies for Rural Development". In A.B. Zahlan (Ed.), Technology Transfer and Change in the Arab World. Oxford: Pergamon Press, 1978, p. 127.

(٤) انطوان زحلان ، " البعد التكنولوجي للوحدة العربية : ٣ - القوى البشرية ، المؤسسات السياسات ". المستقبل العربي ، السنة الثالثة ، العدد ٢٥ ، آذار ١٩٨١ ، ص ٣٠ - ٤٤ .

(٥) حول هذا الموضوع ، انظر مثلا : نادر فرجاني " عن غياب التنمية في الوطن العربـــي " المستقبل العربي ، السنة السادسة ، العدد ٦٠ ، شباط ١٩٨٤، ص ٦ - ٣٤ . ويوسف صايغ ، " التنمية العربية والمثلث الحرج " ، المستقبل العربي ، السنة الخامسة، العدد ٤١ ، السنة الخامسة ، تموز ١٩٨٢، ص ٦ - ١٩ .

(٦) حول الجهود التي بذلتها الدول العربية في التوسع الكمي في التربية بعد حصولها علـــى الاستقلال ، انظر : عبدالله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية : حاضرهـــا

Digitized by Birzeit University Library

ومشكلاتها ومستقبلها ، ص ١٥ - ٣١ .

(٧) كمثال على السياسة التعليمية للاستعمار البريطاني في بعض الاقطار العربية انظر:
M.O. Beshir, Educational Development in the Sudan, 1898 to 1956.
Oxfrod : Clarendon Press, 1969 .
وعبد القادر يوسف ، مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية
القاهرة : مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٦٢ .

(٨) حامد عمار، "التربية العربية وعائدها الانمائي". المستقبل العربي، العدد ٢٩، ١٩٨٠، ص ٣٥

(٩) محمد احمد موسى ، " خلفيات النظام التعليمي وفلسفته "، المستقبل العربي ، السنة الخامسة ، العدد ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ ، آب - تشرين الاول ١٩٨٢ ، ص ٨ - ٩ .

(١٠) حامد عمار ، " التربية العربية وعائدها الانمائي " ، ص ٤٤ .

(١١) انظر مثلا ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استراتيجية التربية العربية : تقرير لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، وعبدالله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية: حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها ، وفاخر عاقل ، معالم التربية : دراسات في التربية العامة والتربية العربية ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ ، وحامد عمار، " التربية العربية وعائدها الانمائي ".

(١٢) حامد عمار ، " التربية العربية وعائدها الانمائي " ، ص ٤٠ .

(١٣) كمثال حول دور التربية في هجرة المتعلمين انظر : محمد الامين التوم ، " السودان: دور النظام التعليمي في هجرة الكفاءات العالية " ، في هجرة الكفاءات العربية ، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٣ - ٦٧ .

(١٤) Angela Little, "The Logic of Students' Employment Expectations", I D S Bulletin, vol. 11, no. 2, May 1980, pp. 20 - 27 .

(١٥) Ronald Dore, The Diploma Disease. London: George Allen & Unwin, 1976, pp. 5 - 7 .

(١٦) R. Paul Shaw, "Manpower and Educational Shortages in the Arab World : An Interim Strategy" , p. 643.

(١٧) على سبيل المثال ، اقدر أن من بين كل ١٠٠ طفل يلتحقون بالصف الاول الابتدائي في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين يصل حوالي ٧ منهم الى الجامعة . وهذه من النسب الجيدة في الوطن العربي .

(١٨) محمد السيد سليم " الجامعات العربية وظاهرة النخبة العلمية " ، المستقبل العربي، السنة الخامسة ، العدد ٤٠ ، حزيران ١٩٨٢ ، ص ٩٣ - ١٠٤ .

(١٩) Angela Little, "The Logic of Students' Employment Expectations", p. 22.

Digitized by Birzeit University Library

(٢٠) M.S. Selim , "Recent Developments in Arab Science Education", Science Education, no. 62, 1978, pp. 119 - 124.

(٢١) جورج زعرور ، " تدريس العلوم والتكنولوجيا في البلدان العربية : اتجاهاته ومشكلاته "، التربية الجديدة ، السنة السادسة ، العدد ١٦ ، كانون أول ١٩٧٨ ، ص ١٠ .

(٢٢) زعرور ، نفس المصدر ، ص ١٠ .

(٢٣) زعرور ، نفس المصدر ، ص ١٠ .

(٢٤) منير بشور ، " سياسة صنع المناهج في البلدان العربية : من أجل تحسين فرص التطبيق"، التربية الجديدة ، السنة السادسة ، العدد ١٧ ، نيسان ١٩٧٩ ، ص ٤١ - ٦٢ .

(٢٥) جورج زعرور ، " تعليم العلوم والتكنولوجيا في البلدان العربية : اتجاهاته ومشكلاته ".

"الكاتب"
في مجلدات سنوية

يرجى من القراء الراغبين في شراء بعض المجلدات او الاعداد المنفردة الاتصال بادارة المجلة لهذا الغرض .

الاسعار

مجلد السنة الاولى ١٥ دولارا
مجلد السنة الثانية ١٥ دولارا
مجلد السنة الثالثة ٢٠ دولارا
مجلد السنة الرابعة ٢٠ دولارا
الاعداد المنفردة دولار واحد

الادارة

Digitized by Birzeit University Library

في تشرين الاول من عام ١٩٤١ اعلن هتلر عبر الراديو أن " الجيش الاحمر ابيد "وان الطريقَ الى موسكو اصبح مفتوحا ، وهكذا أُعدَّ النازيون الكؤوس ليشربوا نخب سقوط الكريملين ، ووأدِ أوّلَ سلطة للعمال والفلاحين .

فأي معجزة تلك التي حوّلت الخمر في كؤوسهم الى سم مميت، وبدّدت احلام المتربصين بالانسان وحريته ؟ أي قوة تلك التي حولت دفء احلامهم قشعريرةً تَهزُّ ابدان الامبرياليين صُنّاعَ الحرب والدمار؟ لا يبرأون منها الا ببرء ابدانهم من الارواح النجسة .

يدّعي البعض، انها الظروف الموضوعية كقسوة الشتاء السوفييتي وحرارة ثلجة، ويذهب آخرون في هربهم من الحقيقة حد الادعاء، بأنها روح الشعوب السلافية العجيبة، إلا أن هذا لن يجدي قتلة الشعوب في شيء .

ففي مواجهة نظام البرجوازية النازي، كان النظام الاجتماعي الجديد، النظام الاشتراكي، ممثلا بالدولة السوفييتية الفتية، وفي مواجهة ٥ره مليون جندي، وضابط نازي، ونحو ٥ الاف طائرة حربية، وزهاء ٤٣٠٠ دبابة، و ٤٧٢٠٠ مدفع هاون، وفي التصدي لهذه القوة وتنظيمها العسكري البرجوازي، كان التنظيم العسكري الجديد ممثلا بالجيش الاحمر، اما الايديولوجية البرجوازية، ايديولوجية الحرب، والدمار، واثراء القلة، وتجويع الملايين، فقد واجهتها الايديولوجية الشيوعية، التي غدت السلاحَ الوحيد لكل الشعوب الطامحة للحرية، والاستقلال، وصون الكرامة الانسانية، كما غدت شبحا يطارد اعداء الشعوب الذين جُنّ جنونُهم، وهم ينظرون قبورَهم، وقد أُعِدَّت للحظة حكم التاريخ وصرخة الشعوب الحاسمة.

ففي رواية الرعب والجرأة، نرى تجليات الايديولوجية الشيوعية في التنظيم العسكري الجديد، نراها ارادة صلبة، ومعنويات عالية، ووعيا عميقا، ونفسية واثقة مفولذة، وتدريبا شاقا، وانضباطا حديديا، وطاعة صارمة، وضميرا شيوعيا يقظ، تتجلى لتكون المقاتل الشيوعي الجديـــد .

Digitized by Birzeit University Library

الرجل الذى لا كنية له (١)

" اذا كتبت مع ذلك عني يوما من الايام فسمّني باسمي الكازاخي "باورجان ما ميش اوغلي" وليكن معروفا أني كازاخي كان يرعى الاغنام في البادية، إني رجل لا كنية له ".

تبدأ الرواية بوصف اللقاء ما بين الكاتب ،وقائد إحدى الكتائب السوفييتية ، التي حاربت عند مشارف موسكو ،والذي يروي الاحداثَ التي عايشَها ،وجنودَه في معمعان الحرب الوطنية العظمى، يرويها ، ليضعها الكاتب باسلوبه الادبي امينا لوصية الراوي، بأن يكتب الحقيقة، كما الراوي امين لنداء ضميره الشيوعي "انت انسان جديد فلا تكذب".

يتعارفا فيختلط الامر على الكاتب اذ سمّى القائدُ نفسَه" باورجان ما ميش اوغلي" فسأله كيف تُكتب كنيته؟ فأجابَ بأنْ لا كنيةَ لهُ ،ولم يكن الامر مصادفة ، فقيادة هذا الشيوعي،ابن البادية لكتيبة في الجيش الاحمر لم تكن استثناء من القاعدة، بل تطبيقا خلاقا للوصية اللينينية إبان البدء بتشكيل الجيش الاحمر اذ يقول لينين" ان الجيش البرجوازى هو أداة بيد الاغنياء ، ويمثل ضباطه في اغلبيتهم العظمى الطبقات الغنية ويدافعون عن سلطة رأس المال، اما نحن فينبغي ان نحصل على القادة العسكريين من الشعب" ويضيف" إن الجيش الذى يقوده مثل هؤلاء الضباط سوف لا يقهـــر ".

ولكن السؤال : هل انحدار القائد من صلب الشعب،ومن الطبقة العاملة،وحده يعتبر ضمانا للنجاح في اداء المهمة،وتحقيق الانتصار؟

القائد الشيوعي مسؤولية عظيمة وأمانة لا ترحم"

احدى القوانين الاساسية في البناء التنظيمي للجيش السوفييتي هي المركزية التي تتجلى في القيادة الاحادية، والانفراد بالمسؤولية. والتي تعتبر تجليا للضرورة الموضوعية لوحدة الارادة، والفكر، والعمل لالاف الناس وخضوعهم للقائد ، الخاضع بدوره لرقابة حزبه وهيئات جيشه العسكرية العليا. هذا القانون يعادل المركزية الديموقراطية في البناء الحزبي كضرورة لضمان وحدة الحزب فكرا وممارسة. ان هذا القانون يتطلب من القائد جهدا عظيما،وعملا دؤوبا ومتواصل ، لاكتساب مختلف المعارف والمهارات السياسية والعسكرية والاجتماعية وغيرها. ليستطيع اداء مهمته،وتربية جنوده وامتلاك المقدرة على الخلق،والابداع،ولكي يحظى ثقةَ مرؤوسيه بجدارة، ويصون هيبةَ القائدَ،وتنفيذَ أمْره، ففي الرعب والجرأة ما أن ينهي القائد الشيوعي" ما ميش اوغلي" حديثه مع جنود كتيبته،ويرتب الامور الفنية والادارية،ويفْرُغُ لنفسه في ساعة متأخرة من الليل،حتى ينكب على كتاب"نظام المشاة" ليتعلم الجديد،عن مهمته الجديدة التي كلفه بها الجيش. ففي النداء الذى وجهه الحزب الشيوعي السوفييتي،لابناء الشغيلة الطليعيين، إبّان تشكيل الجيش الاحمر من الطراز الجديد وذلك بمناسبة يوم " الضابط الاحمر" جاء "

الكنية :اسم يعلق على الشخص تعظيماً له ، كان يقال ابو فلان كذا ابن فلان ، او ان يتقدم اسم العائلة او الجد او الاب على اسم الشخص .

Digitized by Birzeit University Library

ينبغي ان يكون للجيش قادته، وليس هناك من يستطيع ان يصبح قائدا سواك. وكي تصبح قائدا عسكريا عليك ان تكتسب المعارف".

إن التطور الهائل في مجالات العلم، والتكنيك، وكذلك التعقد المتزايد في امور السياسة، تفرض على القائد بشكل اكثر الحاحا من ذي قبل ان يطور من خدة اسلحته الثقافية، اضافة الى اتقان التخصص العلمي في مجال المهمة الموكلة اليه، كما أن المقدرة على الاستفادة من الخبرة، والتجربة، وتوجيهات المسؤولين، لتُعتبرُ ذا اهمية فائقة، وعاملا ساعدا، يسترشد به القائد اثناء نضاله اليومي، لحل ما يواجهه من مشاكل، والاجابة على ما يطرح عليه من اسئلة؟ فما ميش اوغلي" وهو يواجه مهمة خلق كتيبة مقاتلة، وجنديا ماهرا وكفؤ، وأمام الصعوبات التي اعترضت طريق هذه المهمة، لم يحبط، ولم ييأس، ولم يتذمر، او يتشكّى من جنوده، وآمري السرايا، والحضائر في كتيبته، بل راح يسخّرُ خبرته، ومعارفه، ونصائح قادته لنجاح مهمته، فيتذكر حكاية الفرس الذي حدّثه عنها قائده السابق، واختار الفرس لقربها من ابن البادية ومعرفته لها الامر الذى سيسهل معه فهم الحكاية ومغزاها، ففي معرض الرد على سؤال، كيف يمكن للفرس تنفيذ اقل مطلب للفارس وفي الحال؟ يعلّمُ القائدُ أن اهم شيء هو الاصرار، ففي جلد القائد، وطاقته التي لا تخبو على تعليم رفاقه، وجنوده، ومتابعة تنفيذ اوامره يكمن سر من اسرار النجاح، فها هو قائدنا يجبر الجندي على تهديم الخندق الذى بناه، وذلك لعدم صلاحيته ومتانته في التصدي للرصاص او القذائف اذا ما سقطت عليه، ويأمره باصرار باتقان مهمته، ونراه يتجول في الخنادق ليراقب مدى اتقان الجنود لفن التصويب، فنسمعه يقول لهذا " لم تصب الهدف، فكر في السبب، اما انك لم تسدد جيدا، او لم تمسك البندقية كما يجب جرّب ثانية" ان هذه المتابعة وهذا الاصرار قد اوصل الجنود لنتيجة يصفها بقوله" ليست سيئة" ولكنها ليست الحسن، ولا الاحسن، وهنا يتجلى الطموح الخلاق نحو الافضل، ومقاومة الركون لحالة الرضى عن النفس التي من شأنها قتل التطوير الخلاق، علاوة على معارضتها للمفهوم الديالكتيكي لدى الشيوعي، بأن الاحسن عدو الحسن، ونقيضه كما يبرز من خلال هذا العمل احدى الاساليب القيادية والتربوية في العمل لتطوير الجنود، والرفاق على حد سواء، وهي الشكل الجماعي للتدريب، والعمل الفردى معهم،

كان النازيون على ابواب موسكو، وكانت المهمة التاريخية العظيمة، التي كلف بها القادة العسكريون، خلق مقاتلين مهرة، وبواسل من قوافل المتطوعين، دفاعا عن وطنهم السوفييتي، ان عظمة المهمة، وخطورة الموقف لم تنسِ القادةَ، او تشغلهم عن الرعاية بالجنود، وتوفير الممكن من حاجاتهم، وطلباتهم، وظروف المعيشة الحسنة، فالجنرال بانفيلوف يطلب من ماميش اوغلي ان يتفحص المباني المخصصة للكتيبة، واذا ما كان هناك مطابخ وافران وسخانات، كما يساله "كيف يمكن ان نبيض القدور بسرعة اكثر؟" ان اهتمام بانفيلوف بهذه الامور، قد لفت انتباه ماميش اوغلي، واستغرب على الجنرال اهتمامه بأمور اعتبرها غير مهمة، ولم يدرك ماميش اوغلي ان الاهتمام بظروف معيشة الناس يساعد على الانضباط فاثناء زيارة "بانفيلوف" للكتيبة بعد

Digitized by Birzeit University Library

تشكلها،لم ينس الجنرال الاهتمام بهذا الامر، فيلفت انتباه "ماميش اغولي" أن البرد عنده شديد، ولا وجود للشاي الساخن"،ان على القائد الحق ان لا يغفل لحظة واحدة انه يتعامل مع ناس من دم ولحم وليس مع كتب واوراق يحبّرها، فعندما تخلّصت الكتيبة من الطوق الذي احكمه عليها الالمان،وانضمّت الى الفرقة،والتقى "اوغلي" بقائده الجنرال 'بانفيلوف' كانت اولى اسئلته

" هل اتيتَ بالجرحى ؟ هل أُمرت باطعام الرجال ؟ باراحتهم وتدفئتهم ؟" وعندما اخبره عن استشهاد احد آمري السرايا " "دونسكيخ" سأله ان كتب لاهله، ولما اخبره بأنه لم يكتب استاء وقال :ـ" لا يجوز،هذا غير حسن ايها الرفيق ما ميشاوغلي ليس هذا من شيم الجندي،ولا من شيم الانسانية. اكتب من فضلك، واكتب ايضا للجنة الكومسومول" "التي كان الشهيد عضوا فيها.

ان القيادة امانة اولاها الحزب والشعب والوطن للقائد ، فاذا ما اسيء استعمالها استردها اصحابها وتحمّل صاحبُها مسؤوليةَ خذلانه لحزبه وشعبه ووطنه، ان القيادة مهمةعلى كل مقاتل شيوعي ان يناضل من اجل بلوغها فنداءالحزب بمناسبة "يوم الضابط الاحمر" جاء فيه" وانت ايها الشيوعي يا من يجب ان تصبح قائدا عسكريا عليك ان تتذكر انك اذا لم تبذل اقصى جهودك كي تصبح ضابطا احمر، فانت تقترف جريمة في حق الثورة" إذاً يتضح ان المراكز القيادية ليست حكرا على فئة قليلة كما في الجيوش البرجوازية، وهي كذلك لكونها امتياز معنوي ومادي في التنظيمات البرجوازية

،اما في الجيش الاحمر جيش العمال والفلاحين فهي لكل قادر على اداء مهامها وعظمة مسؤوليتها، فما ميشاوغلي يروي للكاتب كيف امر الجنود ان يتحركوا وراءه نحو الغابة وكيف لمحهم الالمان فوجهوا نيران رشاشاتهم نحوهم،وفي هذه اللحظات احسّ ان جنوده يسيرون متجمعين لا متفرقين كما يقتضي الفن العسكري وتلك الحالة،فيصدر امره " حضيرة قف" ويعلق قائلا" ماذا لو لم يقف المحاربون؟ ماذا لو انهم اندفعوا الى الغابة دون توقف ؟ اذن لكان الموت لآمر الكتيبة باورجان ماميشاوغلي انه قانون جيشنا" فالقائد هو المسؤول عن جنوده وعن مدى استعدادهم القتالي وانضباطهم "ففي الجيش كما الحزب،هناك انضباط واحد وقانون واحد

لجميع الشيوعيين،بغض النظر عن خدماتهم ومواقعهم التنظيمية" ، وفي اثناء مسيرة التبع وعندما اخلَّ الجنود في الحفاظ على الفواصل اللازمة بين السرايا اثناء المسير، راح "ماميشاوغلي" يعاقب آمري السرايا ، وظل يعاقبهم ، حتى أُتقن الجنودُ الحفاظَ على الفواصل، وتكررت هذه الحادثة مع الكابتن "شيلوف" الذي سأله الجنرال"بانفيلوف"عندما خرج ليتبين امر المتأخرين عن رفاقهم اثناء احدى المسيرات ، "هل ستعاقب المتأخرين"؟ فأجاب لا " بل سأوبخ آمري السرايا" ان الجيش السوفييتي يولي اهمية فائقة لاعداد الضباط والقادة مسترشدا بالماركسية اللينينية التي اولت هذا الامر اهمية فائقة،باعتبارها مطلبا تمليه الضرورة الموضوعية، فقد اكد فريدريك انجلز على ان المهمة الرئيسية خلال بناء الجيش تتطلب خلقَ" فيالق الضباط القادرين على بعث الحياة في التشكيلات

Digitized by Birzeit University Library

الحيدة". اذاً إن المهمة هي بعث الحياة الواعية والمدركة لكل ما يجري حولها ، الحياة الطلبة القوية القادرة على التصدي لكل قوى الموت التي تتهددها ، ان هذا كله من مهام القائد الشيوعي وسر هيبته ونجاحه، فالأمر لا يتوقف على القرارات والتوجيهات، التي اذا ما اقتصر الامر عليها ، يجني القائد المرارة والفشل. ففي احدى خطابات وزير الدفاع السوفييتي، بالافواج المتخرجة من دورات الضباط يقول" ان حق توجيه الاوامر للناس هو حق عظيم. انه يشهد على ثقة الحزب الكبيرة التي اولاها لكوادرنا من الضباط، بَيْدَ أن هذه الثقة الى جانب السلطة الممنوحة لهم تفرض عليهم مسؤولية كبيرة في الوقت نفسه انها مسؤولية الضباط عن مهارتهم في تعليم المرؤوسين ، وتدريبهم ، وتربيتهم ، وعن تنفيذهم لواجباتهم العسكرية، ومهامهم في الخدمة العسكرية ،تنفيذا نموذجيا."وفي رواية الرعب والجرأة كانت أُولَى الدروس التي قدمها الجنرال . "بانفيلوف"لقائد الكتيبة" باورجان ماميش اوغلي" هي التقليل من اللجوء للقرارات فهو يقول له :-

"اليك ايها الرفيق ماميش اوغلي أَبْلَدَ قلم في العالم" ويجيب عن استفساره عن السبب" لان القرارات تكتب به" ويتابع قوله" بهذا القلم تستطيع بسهولة ان تقرر ما تشاء في دقيقتين، دون ان تكون على علم بالامر، ترسم خطاً على الخارطة ،ويصبح كل شيء جاهز المشكلة محلولة، تكتب قرارا وينتهي الامر ، المشكلة محلولة ،خذه حتى لا يقع في يدي . وانت ايضا ايها الرفيق آمر الكتيبة، اقلل من استعماله" وهكذا يدرك ماميش اوغلي من خلال مسيرته النضالية، ما انطوى عليه كلام قائده من اهمية فهو يقول للكاتب" ان خبرة الاوامر واكثرها دلالة على الذكاء تبقى حلما وخيالا، اذا كان المحارب غير مستعد الاستعداد اللازم" – ان النحات يتعامل مع اشد الصخور صلابة، يعمل فيها فكرة واداته ، فيخلق منها اشكالا مختلفة، وتبقى هذه الاشكال على حالها سنوات طوال، فنتائج ما يكتنفها من تناقضات ،وما عليها من مؤثرات خارجية تحتاج وقتا للتأثير فيها وفي شكلها الظاهر للعيان. اما الانسان فهو بحاجة الى العناية الدائمة، والرقابة الخلاقة، والصقل المتواصل بالتثقيف والتثقيف الذاتي وأداء المهام، للحفاظ على همته ووعيه ومعنوياته، امام عظمة المؤثرات التي يتعرض لها في كل لحظة، واذا ما ترك او اهمل نفسه فالصدأ حتما سيمتد الى حد همته فيظلمه ،والى عقله فيزيل لمعان وعيه، ويصير معيقا لتطور حزبه وتحقيق اهدافه. اذاً فالمسألة تكمن في رفع مستوى وعي الجندي واستعداده لفهم القرار وضرورته .

كما تبرز الرواية جانبا مهما من المسألة عند اتخاذ القرار واصدار الامر، فيجب ان يكون مدروسا بدقة من كافة جوانبه الزمن اللازم لانجازه والامكانات المتوفرة لتحقيقه، فعندما سأل بانفيلوف ماميشاوغلي كم يحتاج من الوقت لانجاز مهمة تفحص المباني المخصصة للكتيبة؟ واجابه عند المساء. اثير استياء القائد فسأل" ماذا يعني هذا عند المساء؟ ففهم الآمر على قائده وحدَّدَ الوقت" في الساعة السادسة ايها الرفيق" فكر الجنرال وقال في السادسة كلا، قدم لي تقريرك عند تنفيذ المهمة في الساعة الثامنة". ان هذا الموقف ليس هدرا للوقت، بل صوناً لانجاز

Digitized by Birzeit University Library

المهمة بنجاح، وفي موقف آخر طلب الجنرال ان يرى المدفع التابع للكتيبة، فـــراح ماميشاوغلي يصرخ بالجندي من النافذة ــ "جر المدفع من المستودع الى هنا بسرعة، ليكن هنا في خمس دقائق" فقال له بانفيلوف "لا يستطيع جلبه في خمس دقائق" وهنا يستخلص اوغلي الدرس بقوله "كم مرة صرخت دون تفكير "في خمس دقائق" ولكن بانفيلوف كان يفكر" ان هذا الامر علاوة على كونه لن ينفذ سيسيء للقائد وهيبته عند مرؤوسيه".

ان الأمر الذي يملكه القائد، والسلطة التي بين يديه هي ملك للحزب والوطن والشعب، ائتمنه على حسن استخدامها، لخدمة المهام النبيلة والعظيمة ولتحقيق الاهداف السامية، وليست ملكية شخصية له، يحق له التصرف بها حسب اهوائه، ومزاجه فعندما هرب بارامبايف، واطلق النار على يده ليخلق بذلك مبررا لابعاده عن الجبهة، لم يتوان القائد الشيوعي لحظة واحدة باصدار امرٍ الوطن واستخدام سلطة الشعب، وضمير الحزب، باعدام الخائن الجبان ولم يحل دون تنفيذ الامر كون الجبان خائن وطنه، ورفاقه مقربا من القائد لانه كازاخي. ولطالما كانت مهارته في تفكيك رشاشه، وتركيبه بسرعة، ومهارة فائقتين مثارٌ اعتزاز قائده الذي كان ينظر اليه ويقول "ها نحن الكازاخ نصبح كالروس شعب يفهم في الميكانيك" كما ان هذا التشدد، وهذا الحكم الذي ربما يبدو قاسيا في نظر من يظنون انفسهم اكثر عاطفة من غيرهم، ليعبّر عن مدى اهمية عمل كل مقاتل، فعدم اداء جندي واحد لمهمته ربما يتوقف عليها في وقتنا الحاضر مصير الحرب جميعها، كما أن مدى الاستعداد في الجيش السوفييتي يقاس بالاستعداد لدى كل مقاتل، فأي قسوة بحق من قسى على رفاقه وتخلى عنهم في وسط المعركة؟ واي رحمة لمن لم يرحم شعبه ووطنه؟ لقد اوصى معلم البروليتاريا وقائد اول ثورة للعمال والفلاحين، "لينين" "القائد" أن يسترشد بضميره الشيوعي وان لا ينطلق من الخوف عند تنفيذه قوانين الجيش واوامره العسكرية" ان في هذا الحدث لتتجسد اسمى معاني التحزب الشيوعي. واسمى مواصفات القائد الانســـان.

ان القائد انسان ولكن الامانة عظيمة، فأي مثال يدلل على الم القائد لخسارته احد جنوده، احد رفاقه، اكثرُ من المثل الذي اعطاه للكاتب بقوله" لقد لدغت والدي البدوي، مرة، وهو في الصحراء رتيلاء سامة وكان وحده بين كثبان الرمال، ليس معه احد الا الناقة. وكان يعرف ان سم هذه الرتيلاء مميت. فاخرج مديته واقتطع من لحمه في المكان الذي عضته فيه الرتيلاء. وهكذا فعلت الآن انا. اذ قطعت بمديتي قطعة من لحمي" ويضيف "إني آمر، أي اب. وقد قتلت ابنا لي، ولكن كان يقف امامي مئات من الابناء، لقد كان علي أن اطبع بالدم في النفوس هذه الجملة: لا مكان للرحمة ولن يكون مكان للرحمة عندنا للخائن".

ان "ماميشاوغلي" يصف جنوده بابنائه وقد كانت نظرته لهم على الدوام نظرة احترام وثقة. ثقة بمقدرتهم على ان يكونوا خير جنود وخير ابناء للوطن السوفييتي، ولكن هذا لم يمنعه من مراقبتهم والتحقق من تنفيذهم لمهامهم العطية على ارض الواقع مدركا ان هذا يساعد على مزيد من النجاحات، ويجنبهم الاخطاء التي اذا ما حدثت فلربما كانت نتيجتها دمار الوطن، وتجريد الشعوب

Digitized by Birzeit University Library

المناضلة من اجل حقها في الحرية والاستقلال

اصدقَ واخلصَ سند لها وهو الحزب الشيوعي السوفييتي والدولة السوفييتية كما أن الثقة المقرونة بالرقابة، سترفع من كفاءة الشيوعيين في انجاز المهام، وتربية انفسهم، بما يضمن سلامة الحزب والجيش، كما كان يدرك ان الثقة وحدها، سلاح ذات حدين فالى جانب تحفيزها الجندي على الابداع، وتوسيع افقه ومباد راته، الا انها تصيب من ضعيفي الطباع الذين لم يصلب عودهم في النضال، ولم ينالوا من الوعي السياسي ما يكفي، مقتلاً ربما يودى بحياة الحزب، وذلك بخرق مبادئ القيادة وقواعد الحياة الداخلية والامثلة على ذلك كثيرة. ففي الرعب والجرأة يقدم لنا ماميش اوغلي المثل الحي على الثقة الخلاقة والرقابة الهادفة، ولتطوير العمل وتحسينه. فعندما قدَّم رحيموف تقريره واخبر القائد ان الالمان قريبون من مواقع الكتيبة، سأله مرتين، "هل رأيتَ بنفسك؟" ويقول "لقد كنتُ اثق برحيموف ولكني سألت؛ وفي موقع آخر يقول للكاتب "، وكلما اعطى بانفيلوف امرا ما تحقق دون ان ينسى اطلاقا من تنفيذه في موعده" وعند زيارة بانفيلوف للكتيبة قال" لا بأس على ما يبدو من احكام التحصينات، ولكن سأتفقد ذلك معك فيما بعد" واثناء المراقبة كانت تبرز اليقظة الثورية حيال كل ما من شأنه الحاق الضرر بالجنود وبالكتيبة انها يقظة القائد فقد لفت انتباه بانفيلوف الطين الظاهر للعيان من جراء حفر الخنادق فاوصى بازالته، قبل ان يوشي بمواقعهم لطائرات العدو .

كما ان يقظة القائد ومقدرته على فهم ان الاسلوب والشكل يتطور لما فيه خدمة المهمة، قد ساعدت على تحقيق النصر والمحافظة على الجنود ففي اشتباكاته الاولى كان الالمان يعبرون الطرقَ، دون ارسالِ فرق استطلاع لاكتشاف إنْ كان الطريقُ آمناً، وتعلموا فيما بعد ضرورة ذلك، ولكن ماميش اوغلي ايضا ادرك ما تعلمه الالمان، فأمر بأن لا تشتبك قواته مع الاستطلاعيين، لاخفاء اماكن تواجد قواته وليترك الالمان يطمئنون لسلامة الطريق، كما كان يطالب، ان تقدَّمُ له التقارير الدقيقة عن تصرف الالمان اثناء المعارك فيسأل اذا ماكانوا ينبطحون او يهربون ويطالب بدقة الجواب، وكيف اكتشف اسلوب الالمان للايقاع بجنوده فقد كانوا يتظاهرون بالهرب ليستدرجوا القوى التي تلاحقهم للكمين الذى نصبوه، وحينها ينقضون عليهم، فاستعمل نفس الاسلوب مع عدوه ونجح بالايقاع بـــه .

ان سر الانتصار في الحرب، يكمن في اليقظة الدائمة للحفاظ على اسرار الجيش، فما يملكه القائد من معرفة حول جيشه، وقوته وقراراته وخططه وتنقلاته ليست ملكا له، بل امانة لديه، واذا ما سمح لنفسه، ان يهب الامانة لغيره ليعرفها فقد خان مهما بدا الامر بسيطا له، ان من واجب الشيوعي ان يسمح لصوت ضميره ان يرتفع ليظل مسموعا له

هل تريد تدمير جيشك، وان تودي بحياة رفاقك، وان تخدم عدوك وتخون طبقتك؟ فاذا كان الجواب بالايجاب فليحدث جلساته باسرار حزبه، وليسمح لهم السخرية منه، ومن شخصيته القيادية، ان الامر هكذا مهما بدا للقائد باشكال مختلفة، فالجيش السوفييتي صان الامانة، وقادته حافظوا عليها، بمقاومة كل ما من شأنه المس بها فما ميش اوغلي يصف للكاتب، عندما تلقى الامر لاعداد الكتيبة لساعة الخطر، والتوجه لاقرب محطة لسكة

Digitized by Birzeit University Library

الحديد ،فيقول دون تذمر او استياء ، سافرنا "
"الى اين؟ حتى انا قائد الكتيبة لم اكن
اعرف، والى اية اهداف يرسلوننا ؟ لم اكن
اعرف،فلنتخيل لو ان معرفة الامر اصبحت حقا
للجميع بما فيهم الاعلام "اذا لقصف الجيش
العراقي قبل وصوله الجبهة لمساندة الجيش
الاردني عام ١٩٦٧م" ،ولنلاحظ رحيموف رئيس
مركز الرئاسة الذي نفذ مهمته" وكتب تقريره
الذي تضمن كلمات ثلاث" الالمان موجودون
امامنا" لقد اعدّه،مخافة ان لا يسمح الموقف
بمشافهة قائد الكتيبة الذي ربما تواجد في
حظرته آخرون ، ولنر لسيفربوكوف الذى زحف
بنفسه كآمر سرية الى نقطة المراقبة ليبقي على
السر اقوى، ويتجنب امكانية انتشاره بين
الجنود،فانتشاره ربما اربك الجند وارعبهم .
ولكن هناك ما يتوجب على الجندي معرفته
ومصارحته به، فاخفاءه عنه ليس من شيم
الشيوعيين وتربيتهم العسكرية، فالجنرال
بانفيلوف عندما سأل الجندي بولزوتوف كيف
الحال ؟ اجابه حسنة ، ايها الرفيق، فيقول
بانفيلوف لماميشاوغلي :"حياة الجندى قاسية
قاسية، يعجز الكلام عن وصفها ويجب قول
هذا للجندي دائما وبصراحة "، والهدف من
ذلك تهيئته، وخلق الاستعداد الدائم لديه
لتحمّل كلّ صعوبة في المعركة،ويقول اوغلي
للكاتب فيما بعد:" لا يجوز اللعب بالغميضة
مع الجندي : لا يجوز التنهد امامه قائلا : قد
لا تصاب انه في الحرب،وعليه ان يعرف انه
جاء الى حيث القتل" جاء ليعيش اذا ما قتل
عدوه،وليُقتَل اذا ما اهمل في الاستعداد لذلك
"اذكر بعد عام ١٩٧٣م ان اجرى التلفزيون
الاسرائيلي لقاء مع جندي فقد عينه،وآخر بترت
يده، فانهار احدهم لمرأى صديقه يقتل ،فيقول

لقد هيئوني لفقدان يد ،او قدم ،للاصابة بجرح،
لكن ان اموت ! وستأتي على هذه المسألة في
باب آخر . يتحدث عن اسس التربية) .

كما تُبرز الرواية يقظة الشيوعي، ومنطلقه
الخلاق تجاه العمل في استعداده الدائم،وكأن
المهمة يجب ان تنجز بعد لحظة، وان الخطر
قد يحدث غدا فيقول ماميشاوغلي:"ومع ان
احدا منا ـ كما قيل ـ لم ينتظر احتدام
القتال عاجلا في هذا المكان، الا انه وضعت
امامنا مهمة تجهيز خط الدفاع ، وكان واجب
علينا ان ننجز هذه المهمة بكل عناية ودقة كما
هو واجب على ضباط الجيش الاحمر".

وفي موقع آخر من الرواية يسأل الجنرال
بانفيلوف قائد الكتيبة" كم من الوقت تحتاج
لجمع الكتيبة؟ فيتساءل "اوغلي "بنفير الخطر؟
فيرد عليه الجنرال باستغراب،" لا ولماذا
بنفير الخطر" كما يوصيه بأن يتحقق دوما ان
كانت العربات صالحة،والخيل جاهزة،من اجل
سرعة التحرك والانتقال من مكان الى آخر .

ان هذا لدرس عظيم لما يجب على
القائد انْ يتحلّى به من يقظة،واستعداد
دائمين للمواجهة فالعدو بمكره يحاول في بعض
الظروف ، ان يهيء للجندي جوا يدفعه
للاسترخاء ، ليسهل على العدو بالتالي النيل
منه حيثما شاء ومتى شاء .

فماميشاوغلي يسأل الكاتب اذا ما كتب
عن الحرب ان لا يغفل" ان في الحرب عدو
ومهما بدا الامر غريبا فان هذا العدو لا يغفل
دائما ما تريده انت ".

ان واجب القائد،يفرض عليه كما ذكرنا
التحقق من انجاز المهام بدقة فالجنرال
بانفيلوف يلفت انتباه آمر الكتيبة،وآمري
السرايا الى ضرورة اعداد الزوارق من خلال

Digitized by Birzeit University Library

سؤاله لسيفربوكوف احد آمري السرايا "في كم دقيقة تستطيع ان تجمع السريـة هناك ؟" واشار للشاطئ الاخر لنهر روزا" ، ولم يفت القائد ابدا ان يعبر عن رضاه حيال العمل المتقن فهو يقول لما ميش اوغلي " هذا جيد. إنه يفكر"، فقبل ان يجيب سيفربوكوف سؤال الجنرال، أطلق عينيه لتقدير المسافة والوقت الذي يحتاج لاجتيازها . كما كان اسلوب مديحه واستحسانه لعمل رفاقه تربويا وشيوعيا بعيداً عن كل مديح برجوازي ،مبتذل فهو يمدح ماميش اوغلي بعدمعركة سريدا بقوله" اريدك ان تحرّض الكابتن شيلوف ليفعل كما فعلت.كما كان يمقت المبالغة،وعدم الدقة حتى في ابسط الامور،فتراه يغضب،ويُظهرُ الاستياءَ على وجهه عندماطلب من مرافقه ان يتحدث لماميش اوغلي كيف استقبل الجنود العدو فيقول المرافق" بصدورهم ايها الرفيق الجنرال".

اي قوة ضبـط تحلى بها ماميش اوغلي وأي قـدرة وموهبـة علـى التنظيـم امتلـك فلم يتردد لحظـة واحـدة، ولـم يتـرك فرصـة للعاطفـة للايقـاع بـه وبجنـده ، فبكل حزم ،رفض انضمام الجنود الذين تخلصوا من الطوق الذي احكمه عليهم الالمان، حتى تحقق من هويتهم، وتأكد من مدى استعدادهم لمواجهة العدو بعد ان كلفهم بمهمات محددة ، وعند تنظيمهم لم يبقِ على مواقع البعض كما كانت عليه.

وخلال العمل، لم يتوان عن محاسبة المقصرين، وكم كان نادما على تفويته فرصة محاسبة باشكو .كما لم يتورع عن عزل آمري السرايا والحضائر وتعيين بدلا منهم من بين الجنود. ان الرواية لملاءى بالدروس التنظيمية ،فهو يتحدث للكاتب كيف جعل منه جنديا مستفيدا من هذه التجربة لتربية جنوده، فهو الذي كان يرفض الانصياع لاوامر قادته، ويحس بالوقفة العسكرية امام قائده اذلالا له، ولم تعرف الطاعة لنفسه الجَموح كما حصان البادية سبيلا، قد بعث به الحزب لدورات الأمّاره ، ليعودَ ضابطا يدرك بنفسه ما للطاعة لمشيئة القائد من اهمية عظيمة، فقد ربته السوءُولية وعلمته ،إنه يعلمنا أن السوءُولية تخلقُ القادة من بين النوعية الجيدة من الشيوعيين.

كما قدم لنا من خلال مسيرة التبع درسا آخر وقال فيه لا بأس دع المناضل يجرب بنفسه ليتعلم منها طالما ان الامر لا يلحق ضررا بالعمل او مسا بالعمـل وقوانينه، فرغم تعليماته لجنوده عن كيفية ارتداء اللباس العسكري، وحزم الامتعة وحملها، الا انهم لم ينفذوا التوجيهات بدقة فترك التجربة تتحدث اليهم، وتلقنهم درسا لن تنساه الذاكـره .

ودرسا اخر يقول لنا هذه المرة بانفيلوف فيه، ان الكتيبة او المنطقة من خلال مهامها انما تخدم تحقيق الهدف الاكبر الذي يسعى اليه الجيش فنقل سرية من كتيبة لكتيبة ليس الا لخدمة هذا الهدف والمساعدة على انجازه وليس في الامر مس بصلاحيات القائد .فرغم ان السبعة كيلومترات التي كلفت بها الكتيبة كبيرة من حيث المساحة حتى على الفرقة العسكرية، الا ان هذا لم يمنع بانفيلوف بأخذ سرية من كتيبة ماميش اوغلي، ويقول له ربما دعى الامر لاخذ سرية اخرى. وبالامكانية التي بين يديك عليك انجاز المهمة،وهي اعاقة العدو لاطول فترة ممكنة عند هذا الطريق.والى الطلب لا تلجأ .

يقول ماميش اوغلي" ان على الامران يعرف

Digitized by Birzeit University Library

ان كل كلمة، وكل حركة ،وكل تعبير يظهر على وجهه في القتال يلتقطها الجنود وتؤثر في الجميع يجب ان يعرف ان قيادة دفة القتال ليست قيادة اطلاق النار او تحركات الجنود، وحسب، بل هي كذلك قيادة الحالة النفسية"

ان ماميش اوغلي يؤكد على اهمية مسلك القائد، امام مرؤوسيه فهم يراقبون كل حركة من حركاته فهو قائدهم ومثلهم الاعلى، فقد كان يراقب قائدّه الجنرال بانفيلوف كيف يرتّب الحطبَ بطريقة فائقة العناية ليجعل اشتعاله اسرع واسهل. وراقبه كيف يرتدي ملابسه العسكرية بمهارة عالية، راقبه في لحظات غضبه ورضاه. وراقب متابعته الخلاقة للتحقق من تنفيذ المهمات بدقة ،كذلك فعل هو إذْ ادرك رقابة الجند له،فراح يتنقل بين الخنادق في لحظات القصف ،ليرفع من معنويات جنوده رغم أن هذا ليس من مهماته بل من مهمات مدربي الدعاية .

لم يتوان بانفيلوف في متابعة عمل ماميش اوغلي ، وتوجيه الملاحظات التي من شأنها ، مساعدته في عمله وتطويره، ولكنه يقول له بعد توجيه ملاحظاته" أنا لا انوي قيادة الكتيبة بدلا منك، فلدي فرقة" ان هذا المسلك من شانه تعزيز ثقة القائد بنفسه وتحفيزه على تطوير عمله ومبادراته، تماما كما يعزز ثقة المرؤوسين بقائدهم .

ان تدخل المسؤولين في كل صغيرة وكبيرة، والسماح لانفسهم لتجاوز القائد في توجيه مرؤوسيه ورفاقه، من شأنه زعزعت ثقته بنفسه وثقة رفاقه بهوالجيلولة دون تطويره واعتماده على نفسه.

كما كانت وصية بانفيلوف لماميش اوغلي عندما حدثه عن قصة برودني وعن عزله له درسا تنظيميا عظيما حيث اوصاه ان لا يكثر من التغييرات التنظيمية وعزل القادة فالجندي يتعود قائده ويألفه وعلينا آخر ما نلجأ ليه هو التغيير والعزل كعلاج لبعض المشاكل .

أي قوة ضبط تحلى بها لتتجسد في "حضيرة قف" تقف ورصاص رشاشات العدو يئز من حولها فيردي احد المقاتلين شهيدا يصدرا امرا فينتصب بطلا مرفوع الهامة من بين جنوده، يحمل روحه على راحته فداء للوطن واهل الوطن. يصدر امرا على الخائن لوطنه وشعبه "نار" فيعدم الجنود رفيق الامس والذي كان قائدهم ان سر هذه القوة يكمن كما تحدث اي مواصفات القائد مسلكا ووعيا ومهارة ولم يفت "ماميش اوغلي" ان يرينا ما للمبادرة الخلاقة من اهمية فالموجة السياسي" جال، محمد بوزجانوف" لم يتردد في تعيين نفسه آمرا للسرية عندما جرح آمرها "سيفربوكوف" فقد املت عليه الضرورة المبادرة واتخاذ القرار الصحيح. ان بوزجانوف وجنوده لم يجدوا في غياب الآمر فرصة لترهلهم وتخاذلهم، كما تجلت لتصبح معلما للكتائب الاخرى، مبادرته بالهجوم على سريدا ،

معنويات عالية وارادة لا تقهر

" وكانت تنطلق من محطات موسكو بلا خطابات ولا جوقات موسيقية، كتائب شيوعية في الالبسة المدنية متلقية السلاح والالبسة العسكرية" . م

لقد تابع ابناء الشعوب السوفييتية اخبار الجبهة لحظة بلحظة ،ودوما عرفوا الحقيقة،

Digitized by Birzeit University Library

فليس هناك ما يخشاه حزب لينيين العظيم، الحزب الشيوعي السوفييتي من اخفائها، او اخفاء ان الالمان قد اصبحوا على ابواب موسكو، عاصمة وطن العمال والفلاحين . فهبوا نساء ورجالا، شيوخا واطفالا، للذود عن ثورتهم، ومون كل ما حققته لهم من انجازات عظيمة، هبوا ليتوحدوا جيشا وشعبا في وجه الغزاه النازيين .

ان هذه الروح الوطنية العظيمة، وتلك المعنويات العالية التي تمتع بها الشعب السوفييتي كانت نتاج الوعي والادارك التام لطابع الحرب واهدافها وابعادها. يقول لينين" لن يقهر ابدا، شعب عرف غالبية عماله وفلاحيه، واحسوا، وتبينوا، انهم يذودون عن سلطتهم ،السلطة السوفييتية ـ سلطة الكادحين. يذودون، عن قضية يضمن انتصارها لهم ولاطفالهم امكانية التمتع بكل خيرات الثقافة، بكل منجزات العمل البشري"

شكل المتطوعون كتائب عسكرية جديدة من نوع " الرديف" لكونها ليست في عداد الجيش النظامي، وقاتلت في الجبهة الجديدة التي انشأتها القيادة العسكرية السوفييتية على بعد ١٢٠ ـ ١٥٠ كم من اطراف موسكو والتي عرفت في التاريخ باسم " ابعد المشارف الى العاصمة" وتتحدث الرواية كيف كلف "باورجان ماميش اوغلي" بأمرة كتيبة، لم تكن مشكلة وكانت المهمة العسكرية تقضي بتشكيلها من المتطوعين، ويلتقي بهم القائد الذى يروي للكاتب كيف كان وحده. باللباس العسكري، اما هم فبعضهم يتسكع في الغرف، والبعض الاخر يهتف للنساء عبر النوافذ ، والارض مليئة بأعقاب السجائر، وعندما امرهم واصطفوا، كان بعضهم لا يزال بالملابس الداخلية، والاحذية المنزلية" انهم ليسوا بجنود ولم يعرفوا التدريب العسكري من قبل . فبونوناريف كان مديرا لورشة بناء، وغاليولين مهنته التعليب ،ومورين كان طالبا في التوجيهية في الكونسرتوار يدرس الموسيقى، ولكنه الوطن، لكنها الحرية المقدسة الذي هب عامل السلم ، وطالب السلم، ليكونوا جنودا في الحرب للدفاع عنه، وصون قدسيتها.

ان السؤال الذى ظل ينمنم دماغ القائد الشيوعي وجلدة رأسه بحثا عن جواب" كيف يمكن في مدة بالغة القصر كهذه تحويل ٧٠٠ شخص من الاصحاء، الشرفاء، المخلصين لوطنهم ولكنهم ليسوا بعسكريين ولا متدربين على نظام المشاة وانضباطه ؟ كيف يمكن تحويل هؤلاء الى قوة مثالية قادرة على الصمود في وجه العـــدو ؟".

يقول لينين" ان التعميد في نيران الحرب قد يُحوِّل العالِمَ الى مقاتلٍ رائع ، بيد انه ليس في وسع الرصاص والقذائف وحدها وبدون علم ان تصنع ضابطا ماهرا حتى من ابسل المقاتلين". وهنا تتجلى الماركسية اللينينية ليسترشد القائد بها في عملية خلق كتيبة مقاتلة تهجم على العدو بوحدها ايقاع "امر الوطن لابنه" "نموت ولا نستسلم" فالماركسية اللينينية تعتبر العطية التربوية ظاهرة اجتماعية وسياسية فتوعية الجنود بأسباب الحروب، وجوهرها، واهدافها، وعواقبها، توعيتهم بالسياسة وصراع الطبقات وتثقيفهم بالعلوم العسكرية ومعرفة التكتيك، وتدريبهم دون رحمة هو السبيل لارادة صلبة ومعنويات عالية ونفسية واثقة ولتكوين عقيدة علمية هي الماركسية اللينينية خلافا للمنطلقات والمفاهيم البرجوازية التي ترى في

Digitized by Birzeit University Library

الفن العسكري" قضية ارادية اكثر منه قضية ذهنية" فيهتمون بكل مامن شأنه التأثير على ارادة الجنود، حتى لو كانت المخدرات التي ان انعدمت في البيت الابيض وجدوها في جيوب الجنود. وهناك بعض آخر من البرجوازيين، يعتبر التربية العسكرية عملية خلق وصياغة لمشاعر الفرد والتي هي اعمق من الادراك والوعي حسب وجهة نظرهم، فلا غرابة ان نجد جندي الامس مجرما مأجورا او لصا او قاتلا يمارس فعل القتل كهواية، فهناك مثل امريكي يقول" نحن نقتل الناس من اجل فلوسهم، ولكن لكونك صديقنا نقتلك للاشيء"

ان هذه المنطلقات البرجوازية المثالية لها ما يبررها طبقيا فهم ينظرون للجنود كأدوات لتحقيق الاهداف السياسية للسادة الاغنياء، وليس من صالحهم في شيء توعية الجنود بأهداف الحرب الحقيقية.

ان المنطلق الشيوعي العلمي يتجلى في رواية الرعب والجرأة فنرى الدعاة السياسيين الذين يبذلون كل جهد لتوعية الجنود، ونرى الصحف تقرأ في السرايا جنبا الى جنب، وفي وحدة واحدة مع التدريب على السلاح وحفر الخنادق، والمسيرات الليلية الطويلة، والمناورات واداء المهام الاستطلاعية، ثم القتال واستنتاج الدروس والعبر، والتخطيط العلمي والدقيق، واتقان استعمال الخرائط العسكرية.

ويبرز القائد جانبا مهما في تربية الجنود، ورفع معنوياتهم، انه الثقة بالسلاح، فأبواق الدعاية الاسرائيلية والرجعية العربية التي طالما شككت بالسلاح السوفييتي وجدارته في المعارك، لم تكن تهدف السمرة للسلاح الامريكي فحسب، بل كانت تهدف لتحطيم معنويات المقاتل العربي، وزعزعة ثقته بسلاحه.

ان المنطلق الشيوعي في التربية العسكرية ليخلق لدى الانسان المقاتل اسمى معاني القيم الانسانية الحقة، ويحافظ على حسه الانساني، ويطوره بشكل خلاق، ويرفض ان يكون في صفوفه من يسمون انفسهم، ابا الهول، او سبع الليل وذلك لادراك الشيوعيين ان هيبة الجندي وقوته في وعيه، الذي انتصر به على الطبيعة واعتى الحيوانات. ويتجلى ذلك في حديث "ما ميشاوغلي" مع الكاتب اذ يتساءل باستغراب "فلماذا اذا تتصورون انت ورفاقك في التأليف، ان الذين يحاربون اناس فوق الطبيعة وليسوا مثلكم؟ لماذا تفترضون ان الجندي لا يعرف المشاعر الانسانية التي تعرفونها انتم؟ هل هو في رأيكم من نوع احط او بالعكس مخلوق فوق المخلوقات، ربما كانت البطولة في رأيكم هبة من هبات الطبيعة، او من هبات عريف المهام الذي يوزع الجرأة مع المعاطف ويسجل في دفتره استلمت، استلمت؟"

الانضباط احدى تجليات الضرورة والحرية

تجلت بين السطور حية ليحسها القارئ بنفسه وكأنه يعايشها تلك الحرية. تجلت بمعناها الحقيقي، نجاة من الموت، وانتصارا عظيما، وسلامة وطن وشعب وصون استقلاله، ذلك بفهم الضرورة وقوانينها التي لا يمكن تجاوزها مهما تغطرس منطق الذات وولع الرغبة ولا يمكن تفادي عواقبها بجهلها او تجاهلهـــا.

الحرية، ذاك الانضباط الحديدي، والطاعة القاسية التي كثيرا ما يضيق صدر الجندي والمناضل ذرعا بها، وبأمر قائده وذلك لثلاثة

Digitized by Birzeit University Library

اسباب اوضحتها الرواية اولهما : لان هذا الامر، والانضباط في تنفيذه سيزعج الدماغ المرتاح في احضان البلاده، ويستفز الهمة النائمة في احضان الكسل، الذي يخدرها ليسهل على الصياد اقتناصها، ويبرز هذا الامر واضحا عندما يأمر ماميشاوغلي، احد الجنود باعادة بناء خندقه، واحكام تحصينه ليستطيع تحمل القذائف اذا ما سقطت عليه، فيحاول الجندي تبرير ردائة عمله بقوله" انه يصيب الانسان في كل مكان" وكان يقصد الموت، لهذه الدرجة من الاستسلام، اوطه الكسل، وعندما اجبره القائد على ذلك، راح يقيس المسافة ما بين الخندق والغابة، التي سيحتطب منها دعائم الخشب القوي، ويجرها لمكان الخندق واحس ان في ذلك جهدا يزعج همته المسترخية . ولكن القائد يصر ويصدر امره بضرورة التنفيذ. ويفسر الأمر للجندي فيما بعد بقوله" هل تريد ان تعيش "فيجيب الجندي "نعم" فيكذبه القائد ويقول كلا انك لا تريد، فالرغبة وحدها لا تكفي ، يجب دعمها بالافعال، فبأفعالك تحفر الخندق متكاسلا، وأُجبِرك على رفع العوارض، واستبدالها، انك بالافعال تريد الموت، تنزل الى القبر، وانا اجرك منه بالكلابات. ان القائد قدوعى الضرورة وفهم قوانينها فسخرها لما فيه خدمة الهدف وصون حياة الجنود ، فأمره كان، نداء الضرورة، وفعل قوانينها ، ورفض الجندي، كان تمردا، وتجاوزا على هذا القانون ، رفضه كان قيدا وليس في القيد حرية، رفضه كان يعني، احتمال الموت ، والحرية في العيش والحياة.

اما ثانيهما :ـ فهو اعتقاد الجندي ان امر القائد مساسا بحريته، وسلبا لارادته التي هي ملك له، وتسلطا على نفسه النبيلة الرقيقة، فتراه يثور ويغضب ويرفض تنفيذ الامر، ولربما تخونه جرأته الزائفة فيجبن امام منطق الذات القبيح ،ويبرر عدم التنفيذ بقائمة اعذار اعدتها ذاته الحساسة، ليقدمها عقله العظيم لرفاقه وقائده. لقد بدى هذا واضحا في شخص الجندي الجريء ،والشجاع باشكو الذى افتقدت جرأته لاساس قوتها، وهوالانضباط فكان مصيره الاعدام جزاء هربه من المعركة. كما ظهر مع الجنود اثناء مسيرة التيغ، فارادتهم الحرة، وعدم تقيدهم بالتوجيهات، قد اثرّت على مقدرتهم على السير، والحقت خدوشا في اجسادهم ، بسبب ملابسهم وامتعتهم غير المحزومة كما ينبغي. كذلك الامر بالنسبة لسيفريكوف الذي طلب من القائد تحويل قسم من الحمل الى العربات، بحجة ثقله على الناس ،فكان جواب القائد له " نظف رأسك من هذه الحماقة" لقد وعى القائد الضرورة، وبذلك فهم القانون والحكمة العسكرية القائلة" النصر يصنع قبل القتال" فسخرهما لخدمة هدفه بخلق جندي صلب الارادة، قادر على الجلد، وتحمل مشقة الحرب، ولم ينس القائد وصية قائده الجنرال بانفيلوف "بأن لا يرحمهم في التدريب اما في الحرب فليحافظ عليهم" فماذا لو اشفق القائد على جنوده، وضعف امام قسوة قانون المهمة وتنفيذها ؟ اكان بمقدور شفقة ان تهزم العدو وتحافظ على حياة الجندي ؟ اما ثالثهما. فلربما كان عدم وعي الجندي وادراكه وفهمه للقرار، وخوفه من العدو اثناء التنفيذ، وهنا يكمن دور القائد، والدعاة السياسيين، وذلك في تبيان خلفية القرار سياسيا، واجتماعيا وعسكريا، وكذلك شرح ابعاده واهدافه . اذا اقتضت الضرورة. وهذا كان واضحا في موقف ماميشاوغلي، وشرحه

Digitized by Birzeit University Library

للجنود عن الوطن وما هو الوطن ،ويخلص لنتيجة مفادها " الوطن انت فاقتل من جاء يقتلك" ولم يكتف بهذا بل جعلهم يجربون فكانت معركة سريدا انتصارا للجرأة على الرعب الالماني وهنا برزت ايضا قيادة الحالة النفسية وتخليصها من الخوف .

لقد كانت كل جهود وطاقة ماميشاوغلي منصبة من اجل خلق كتيبةقوية وتحقيق مهمة حماية الخط واعاقة العدو بنجاح. فهو يقول للكاتب ـ" اسمح لي بألا استعمل تعابير من نوع امرنا الوطن ، واقتضى منا الوطن. اريد ان اكون ضنينا بالكلام عندما اتحدث عن حب الوطن، لقد كان حبي كله، كانت عواطفي كلها ، كانت قوى روحي متجهة في تلك الايام الى شيء واحد هو : ـ كيف ننفذ المهمة التي خرجت من نصيب الكتيبة وكيف نحمي الخط ان هذا المسلك الشيوعي والفهم العلمي ليعبر عن احد العناصر الجديدة في الانضباط العسكري ،وهو نظام النوبة القتالية الذي يتطلب من الجنود ارهاق قواهم المعنوية والبدنية وتسخير مؤهلاتهم ومهاراتهم المختلفة لتنفيذ المهمة القتالية .

يصف الجنرال بنفيلوف "ساعته بالأمر الصغير" ويستاء لان قائد الكتيبة ماميشاوغلي يجيبه على سؤاله بأنه سينهي المهمة عند المساء، ويتساءل ماذا يعني هذا عند المساء ، فيحدد القائدماميشاوغلي الوقت بقوله في الساعة السادسة"، وفي موقع آخر يسأل بانفيلوف ماميشاوغلي.

هل تعرف هذا اللغز " اى شيء اطول ما في العالم واقصره، واسرعه وابطأه، اكثر ما يزدريه الناس،واكثرما يأسفون عليه" يؤكد بانفيلوف من خلال دقته في الوقت على عنصر هام من عناصر الانضباط انه انضباط الوقت الذي يقضي بتنفيذ المهام وتحديد تنفيذها بسرعة محسوبة بالدقائق والثواني، ان التأخر في تنفيذ مهمة ما ،ربما يؤدي الى خسارة فادحة في المعارك كذلك الامر في شتى المجالات ، فلو تركت الامور على عواهنها لتسبح في فضاء العموميات دون تحديد المهام والزمن اللازم لانجازها لما حقق العلم الكثير من الانجازات، ولما معظم مرضى القلب الذين يرقدون في غرف العمليات لان الطبيب اهمل مسألة،كم من الوقت يستطيعون العيش على هذا الحال ؟، وكم هو عظيم ان ينتقل انضباط الضابط الى جنوده كما المرض لتصبح الكتيبة كلها تتحرك وفق ايقاع واحد. فها هو "سينشكو" سائس فرس ماميشاوغلي يركض وهو يحمل سماور شاي يغلي في يده فيساله بانفيلوف :ـ لماذا تركض والسماور بيدك؟ الأنها الحرب ؟ ام من اجل الركض ؟ فاجاب المقاتل :ـ لا انني اركض بحساب . ان احدى المبادرات الخلاقة في صفوف الجيش هي انجاز المهام في اقصر وقت ممكن، وتقام المباريات الشيوعية في هذا المجال، فنرى كيف يتم توفير ١٥٪ من الوقت المطلوب لوضع الدبابات في حالة استعداد قتالي، و٢٥٪ من الوقت اللازم لانجاز مهمة اخرى .

انك سلمت موسكو

" هل تظن انك تركت الطريق ؟ كلا، انك سلمت موسكو ".

ما أسوأ وما اقسى، ان يقف الشيوعي موقفا يتمنى فيه لو ان امه لم تلده، لو ان

Digitized by Birzeit University Library

الارض تنشق لتبلعه، لو ان يد النسيان تمتد لتمحو اسمه وصورته من ذاكرة رفاقه ومعارفه الى الابد، الموقف الذي تُنشب فيه يقظة قبح الفعل وفداحة الخطأ، اظافرها فتمزع نياط قلبه واحشائه فتبعث منها رائحة الخزي المغثية. عندما لا يتقوف الندم يُثقل جفنيه. بكلابات الخجل فلايملك المقدرة على رفعها. تخيلوا انكان هناك اشد رعبا من صوت الضمير الذى يطاردالسمع كل لحظة، يصرخ انك سلمت موسكو موسكو الحزب. موسكو الشعب. موسكو الوطن. موسكو ملايين العذابات والضحايا، قهرا لخفق الراية الحمراء على الكريملين العظيم، موسكو حرية العمال والفلاحين. وكنكنة الاطفال الهانئة بسعادة الاشتراكية.

كان هذا موقف بروندي، وكان هذا صوت ضميره. عندما سمح لنفسه ان ينسحب بجنوده مبتعدا عن الطريق المؤدي الى موسكو، والمكلف بحمايته، دون امر من قائد كتيبته. ان هذا الموقف، لدلالة حية على اهمية الانضباط، ومدى خطورة تجاوز قوانين الضرورة. ان بروندي وهو الكومسومولي لم يصن شعار "اتحادالشباب" الذى اوصاه ان يكون دوما في الطليعـــــة.

يقول ماميشاوغلي "هو ذا اخوف ما اخاف لم اكن اخشى فقدان الطريق. فقد كنت مستعدا لذلك. وكان يجب حسب خطتنا، ان يحدث هذا غدا أوبعد غد، ولكن ملازمي، وفصيلتي، ومحاربي، انسحبوا اليوم، وتركوا الطريق بلا امر بذلك. "ان فاسيلي كلوتشكوف الموجه السياسي في سرية فوج المشاه التابعة لفرقة بانفيلوف لم يرتكب خطأ بروندي بل شكل وجنوده الثمانية والعشرون جدارا في وجه الدبابات يستحيل قهره وصارت كلماته ماثورة " روسيا رجبة ولكن لا مكان للتقهقر فموسكو وراءنا"، ومقابل هذا الشعور لنرى الى" بولزوبوف" الذى ساله بانفيلوف في بداية الرواية عن حاله فأجاب" حسنة" وكيف انهى حديثه مع الجندي بقوله" حسنا بابولزوتوف .. سأذكرك، اريد ان اسمع عنك شيئا هل فهمت علي؟ وكان بذلك يشجعه على اجتراح البطولة، والفداء، ويحسسه باهتمامه به" "بولزوتوف" الذى اختير واحدا من الذين سيغطون انسحاب الكتيبة، هذه المهمة، التي تعني والحالة المعنية، الاستشهاد لا محالة. يحدثنا، ماميشاوغلي عنه": كان مختبئا وراء جذع شجرة مقطوع، وكان شاحب الوجه، متطاول الرقبة، في توتر اعصاب. وكانت عيناه الذكيتان، الصافيتان، تنظران من حولهما الى المكان بسرعة، وفي يده قنبلة يدوية ثقيلة، مضادة للدبابات، على اتم الاهبة. وكان وجهه الفتي، والشفتين الغليظتين، الذي رسخ في ذاكرتي منذ ذلك الصباح عندما كان بانفيلوف يتكلم معه كان الآن يبدو بشكل آخر تماما: فقد كان يثير الدهشة بما ينطبع عليه من عزم وقوة تركيز. فصرخت ـ بولزوتوف إذا اجتمعت بالجنرال فسيسمع عنك إ".

اي احساس عظيم، وفرحة لا تصور، واعتزاز بالنفس يغمر صدر الانسان فيملأه عزما وهمة؟ ويمرُّ دفءُ طيف الرضى على جفنيه فيزداد اتساعا ويقظة. ويدغدغ عقله فيزيد من لمعان وعيه المتفهم لضرورة الصمود، واجتراح البطولة، أي احساس هذا وقادة الشيوعي يسمعون عن صموده وبسالته عن همته ونشاطه، يسمعون انه يصون اللقب الرفيع والمسؤولية العظيمة؟

Digitized by Birzeit University Library

عضوية الحزب مسؤولية وليست امتياز

كانت وصايا الحزب لرفاقه الشيوعيين على امتداد تاريخهم النضالي من الحرب الاهلية وحتى اليوم تقول" اكسب اهتمام الناس بك، واحترامهم لكلا بالمنصب الذى تشغله بل بافعالك " "ينبغي عليك ان تكون اول المبادرين الى الهجوم، وآخر الخارجين من المعركة" هكذا امتاز الشيوعيون دوما عن غيرهم من اللاحزبيين، امتازوا بالاقدام واجتراح المآثر والتضحية بالنفس، بتنفيذهم لاقسى المهام وأكثرها صعوبة فنرى بوزجانوف الموجه السياسي لعموم الكتيبة، لا يكتف باداء مهمة التثقيف والتوعية السياسية، بل يبادر الى قيادة السرية بدلا من قائدها الذي جرح، ولا يتوان عن اطلاق الرصاص على باشكو الذي جبن وهرب للحفاظ على انضباط الكتيبة ووحدتها، واخيرا نراه يهَبُ نفسه فداء للوطن فيكون احد الابطال الخمسة الذين غطوا انسحاب الكتيبة كذلك الامر" ليوكييف الموجه السياسي لاحدى السرايا (وتولستوثوف مدرب الدعاية" الذين اعطوا بالمثل ماذا يعني ان تكون شيوعيا، وكيف تصون اللقب وتُبقي راية الحزب مرفوعة، وتكون حافزا لاقدام الناس على الانضمام للحزب. ففي لحظة من اشد اللحظات خطورة عندما كانت الكتيبة منبطحة على الارض لتحمي نفسها من نيران الرشاشات الالمانية التي احكمت الطوق عليها في اللحظة التي كان يعني رفع رأسك نيل رصاصة لا محالة صدر امر القائد "ماميشاوغلي" بورتاشيف انهض" فنهض وهو يهتف" في سبيل الوطن الى امام وكذلك فعل "يوكييف" وآخرين.

ولم يكن اعضاء الكومومول باقل استعدادا للتضحية وصون وصية منظمتهم " كن في الطليعة" فكان استشهاد دونسكينج الذى غطى انسحاب قائده، كذلك كان موقف " بروديني" الذى رد الاعتبار لنفسه بأن ذهب وحيدا الى حيث الالمان وقتل اثنين من حراس الجسر.

لقد تطوع خلال الاشهر الستة الاولى من الحرب الوطنية العظمى" مليون شيوعي لصفوف الجيش الاحمر ولم يكن مفاجئا ان ٧٤ ٪ ممن نالوا لقب بطل الاتحاد السوفييتي كانوا من بين الحزبيين ومرشحي الحزب الذين ساروا وفق قانون " واحد " النصر او الاستشهاد ".

ايها الشيوعي ايها الكومسومولي لست بداية البدايات ولن تكون نهاية النهايات كما انك لست مركز الكون وأشيائه ان المهمة التي لم تنجز في حياتك، ستنجزها قوافل الثوار الشيوعيون القادمون لصفوف حزبك هذه المعاني تضمنّها الجزء الاخير من رسالة احد الكومسموليين لامه عام ١٩٤٤م وفيها تتجلى الروح الشيوعية النقيض لروح البرجوازي الصغير التافهه الذى يرى ان به يبدأ كل شيء، وينتهي كل شيء بانتهائه، فتراه لا يصمد حتى لو تحلّى بحماس وجرأة باشكو.

كتب الكومسومولي "اوليغ نيتشيتوفسكي لامه يقول" اني اكتب لك هذه الرسالة وانا في حالة انفعال شديد، ولكني اؤمن عن يقين ان رفاقي سينهون ذلك العمل الذى لم استطع الانتهاء منه. سيمحون الفاشست من فوق سطح الارض، الفاشست الذين سوف لا يعرفون للهدوء معنى حتى في الدنيا الاخرة. انا اوكراني، غير اني واثق من ان ارض بيلوروسيا ستضمني بين احضانها كابنها.

قبلاتي لك للمرة الاخيرة، اقبلك

Digitized by Birzeit University Library

واحتضنك بكل قوتي .

اما الشيوعي موروز فقد وجدوا وصيته في جيب سترته" انا شيوعي. ان ورقة الترشيح الصغيرة المرقمة ٥٩٠٢٨٦٦ وولائي المتناهي يدفعانني الى ان اتقدم للامام. حتى نطرد المحتلين جميعا من وطننا .

"الضميـــــر الشيوعـــي".

هذا هو سر انتصار الجيش الاحمر والمعجزة الخارقة التي بددت اوهام الفاشيست، واحلامهم ،وابقت على سند الشعوب ونصيرها حيا،وقويا حتى الآن.انه الضمير الشيوعي الذي يلخّص الوعيّ والثقافة والمهارة العسكرية وعبر عن مدى الانضباط كأرقى شكل للتنظيم وارقى مراحل الوعي والتجربة واكثرها تقدما ، انه خلاصة التدريب الدائم والشاق والمتنوع الذي يتحدث عنه "ماميش اوغلي" للكاتب في بداية الروايّة اذ يسأله" هل تعرف ما هو الضمير ؟ كيف يتصارع ويتغالب شعوران، الخوف والضمير ؟ ان اضرى الوحوش لا تستطيع ان تتصارع بالقسوة التي يتصارع بها هذا الشعوران. انك تعرف ضمير الكادح، وضمير الزوج، ولكنك لا تعرف ضمير الجندي. هل رميت قنبلة يدوية على استحكام للعدو؟ المحارب يهجم مع سريته ورصاص الرشاشات مصوَّب اليه والى جانبه يتساقط رفاقه، وهو يزحف ويزحف وتمر ساعة ستون دقيقة وفي الدقيقة ستون ثانية، وفي كل ثانية يحتمل مئة مرة ان يصاب مقتلا، ولكنه يزحف. انه ضمير الجنـــدي ."

هذا الضمير الذى يظل بالمرصاد لكل ما من شأنه المس بقانون الحرب والجيش او تجاوزه فتراه يقف بالمرصاد " لماميش اوغلي" الذي يقول " كان يكفي ان اقول" نعم" حتى تتحرك الكتيبة المستعدة للمسيرة وتتملص من شدقي الوحش ولكني التزمت الصمت".

لقد الزمه ضميره الصمت وناداه، ليس لديك امر بالانسحاب، اتذكر ما فعلته "بيرودني" وما اتهمته به،في هذه اللحظات والالمان محكمون الطوق على الكتيبة واحتمال ابادتها ماثل للعيان، تغالب الشعوران في نفس القائد فانتصر الضمير وبانتصاره كان انتصار الجيش السوفييتي وكانت كلمات مايكوفسكي تضيء كل بيت وشارع سوفييتي وتعمر كل قلب شيوعي .

" النجمة الخماسية
حفرها على ظهورنا بالنار
القادة العسكريون الملاكون
رجال عصابة ما مونتوف
دفنونـــــا
حتى الاعناق في التراب
احيـــــاء
وفي افران القاطرات
أحرقنا اليابانيون
بالرصاص والقصدير ملؤوا افواهنا
وزعقـوا (تبرأوا
لكن مـــن
حناجرنا الملتهبة خرجت
كلمتان اثنتان فقط
ـ لتحيا الشيوعيـــة

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــع :-

١) قصة الرعب والجرأة .
٢) مدرسة الجرأة وفن القتال- ميخائيل روبان .
٣) الماركسية اللينينية وبعض قضايا الحرب والجيش مجموعة من الفلاسفة والمؤرخين واساتذة المؤسسات العسكرية الوطنية .
٤) معارك فكرية "محمود امين العالم " .
٥) بعض قضايا العمل الحزبي السياسي في القوات المسلحة السوفييتية "بيبيشيف .
٦) القوانين المتحكمة في النشاط الايديولوجي والسياسي والتنظيمي للحزب الشيوعي وفي وحدته د . عبد الحميد بخش النهج العدد (١) .
٧) الحرب العالمية الثانية من ميونخ الى نورنبرغ اعداد تيسير العاروري ومحمد شاهين الكاتب عدد ٦٢ .

اعتـــــذار

========

نعتـذر للصديـق خالد مصاروة من المثلـث لتأجيـل نشر الاجابة على سؤالـه الموجه الى زاوية سؤال الـى المحرر حول" قمة جنيف" بسبب ضيق المجال وتخصـص جزء كبير من صفحات المجلة بمناسبة الذكرى ٦٨ لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمـى .

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

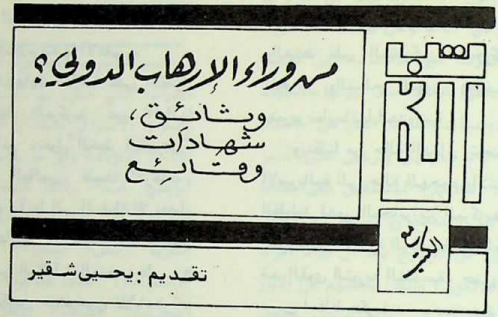

"يتحدث هذا الكتاب عن النشاط الاجرامي الذى تمارسه وكالة المخابرات المركزية الامريكية. وقد اعتمد فيه كل من فيتالي سيروكومسكي وبوريس سفيتوف واوليغ تارين وايغور تيموفييف وبوريس آسويان ولوللي راموسكي، الصحفيين المتخصصين في الشؤون الدولية، على مواد التحقيقات التي اجرتها لجنة مجلس الشيوخ الامريكي والمقالات التي نشرتها الصحف الاجنبية والوثائق والاعترافات التي ادلى بها العملاء السابقون في وكالة المخابرات المركزية الامريكية . وتحدث هؤلاء الصحفيون عن عمليات التخريب التي قام بها هذا الجهاز الجاسوسي الامريكي في بلدان جنوبي شرقي اسيا وامريكا اللاتينية والشرقين الادنى والاوسط وافريقيا واوروبا الغربية".

بهذه الكلمات تعرف دار التقدم بموسكو هذا الكتاب ـ الذى ترجمه الى اللغة العربية محمد هاشم مزيان ـ المدعم بالوثائق والمستندات والمقابلات والوقائع ،والارقام الاحصائية عن الاحتكارات الرأسمالية في تلك البلدان، مبرزة النشاط الاجرامي للمخابرات المركزية الامريكية الجاسوسية وباعها الطويلة في القلاقل والاضطرابات والانقلابات والتصفيات الجسدية التي تحصل في العالم، ودورها القذر في حربها السرية ضد حركات التحرير الوطني في العالم، ووصفها لها ببؤر الارهاب الدولي، متيحة لنفسها المجال لتدخل لحماية مصالحها الرأسمالية الاحتكارية وللحيلولة دون توجهها اتجاه التطور الاشتراكي ،لايقاف عجلة التاريخ وابقائها في فلك التطور الرأسمالي، الذى يعاني من ازمته المتأزمة اثر توجه اغلبية البلدان المتحررة للتطور الاشتراكي.

xxxxxxx

بدأ فيتالي سيروكومسكي الكتاب عن

Digitized by Birzeit University Library

الدعاية المغرضة التي تشنها ادارة ريغن الحالية بوسائلها الخاصة ومخابراتها على اول دولة اشتراكية، التي كان مرسوم السلام اول وثيقة لها ونزع السلاح مثلها الاعلى .

ومن هذه الدعاية القائمة على الافتراء وعجز مخابراتها المركزية عن اثباتها بالبراهين والوقائع ،تقول"الخطر الشيوعي"، "التآمر الشيوعي العالمي"، فلسفة الارهاب، البلاشفةعموما لم يأتوا الى السلطة الا بفضل الاساليب الارهابية للنضال، اذا اخضع الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة فان ٦٠ مليون من الامريكيين سيتعرضون للابادة ".

من هذا المنطلق، تنشط مخابراتها المركزية في حياكة المؤامرات والوقوف في وجه حركات التحرر واعتبارها ارهابية حسب زعم ريغن .

واوضح ان الهدف من التشهير بالاتحاد السوفييتي وحركات التحرر الوطني والبلدان التقدمية في اعين الرأى العالمي يهدف الى وقف المد الشيوعي او التحول الاشتراكي الذى يعتبر الهدف الاول" لمكافحي الارهاب الدولي" من واشنطن ومخابراتها .

الهدف الثاني: الافتراء على حركات التحرر الوطني ونضال الشعوب من اجل التحرر الوطني والاجتماعي والتخلص من الفقر والاستغلال الرأسمالي، وعدم التكافؤ الاجتماعي، اعتبار ذلك نتاج مصدر الشر" "موسكو" يقول ريغن" اذا امعنا النظر بعمق كاف في اى بؤره للتوتر نائية لوجدنا الاتحاد السوفييتي، واذا كان الامر على هذا الحال فذلك يعني هناك ..."

ان نهج السياسة الخارجية الامريكية المتبعة حاليا تقود الى سياسة الحرب الباردة الهادفة الى ايقاف عمليات التحول التقدمية للبلدان النامية، والعمل على التفوق العسكرى الامريكي لتغير موازين القوى لصالحها، والضغط على المشاركين بالحركة المناهضة للحرب والتسلح النووى وحرب النجوم، بتمرير ممارساتها العدوانية .

وينقلنا من حالة الدفاع وتوضيح الاهداف الامبريالية الى حالة الهجوم والاثبات بالادلة القاطعة لدور المخابرات المركزية الامريكية التي تعتبر الادارة الرئيسية للنشاط التخريبي ضد القوى الثورية التقدمية، حتى عام ١٩٨١ ، من اسقاط حكومة د. محمد مصدق فيايران عام ٥٣ ،الى محاولة اغتيال انديرا غاندى ١٩٨١. من الحرب غير المعلنة ضد نيكاراغوا وغزو غرينادا ، ولبنان والثورة الفلسطينية الى اساليب الارهاب الدولية التي تنهجها الادارة الامريكية من خفض القروض ، منع التصدير والاستيراد واقامة القواعد العسكرية باراضي البلدان المجاورة للبلدان التقدمية المناهضة للامبريالية، دعم مالي للمجموعات التخريبية او ما يسمى بالثورة المضادة، امثال سوموزا المخلوع الى تحريك ذراعها العسكرية بالقرب من موانئها ليبيا ، لبنان، الى الاقدام على العمليات السرية او ما يعرف بالديبلوماسية السرية لقلب او اغتيال الانظمة غير المرغوب فيها .

او ليس هذا ارهابا دوليا وانتهاكا لابسط حقوق شعب ذى سيادة، وقد كتب احد الشخصيات الاجتماعية في بناما قائلا ٠٠٠٠ "٠٠٠٠٠ مئات من جثث الكادحين المسالمين الذين لم يحملوا بايديهم سلاحا تلقى بها انهار الشيلي في المحيط الهادئ. وآخرون اغرقوا في مياه المجارى وعذبوا بمثاقب اطباء

Digitized by Birzeit University Library

الاسنان واجهزة لحام المعادن وحنقوا في اكياس النايلون او القى بهم من طائرات الهيليكوبتر في البحر او في فوهات البراكين. وعشرات الالوف من الاجساد التي قطعت ايديها واقدامها او اقتلعت عيونها واقتطعت السنتها. وامهات يعذب ابناؤهن بالتيار الكهربائي امام اعينهن ويرغمن على السير فوق اجساد اطفالهن المستلقين على شظايا الزجاج (" والا فسنقطع رؤوسهم "). واطفال رضع يباعون في الخارج بعد ان يباد افراد عائلاتهم البالغون، ويلقى بجثثهم في الابار ومن بعد ذلك تنسف بالديناميت. والوف والوف من الناس جنوا من التعذيب. عائلات احرقت في منازلها بنافثات اللهب وتلاميذ افتتحت اقفاص صدورهم بالفؤوس واستخرجت قلوبهم منها. اطفال صغار القى بهم في الهواء لالتقاطهم بسيوف حادة كبيرة ....."

ويضيف ، فيتالي" من الواضح ان لامبريالية الامريكية تريد ان تكون لديها حرية العمل التامة وتريد ممارسة الارهاب الدولي بدون عائق بحجة "حماية العالم الحر من الملحدين الحمر".

ان نهج تصدير الثورة المضادة والتدخل في الشؤون الداخلية للبلدان النامية، اصبحا سياسة رسمية للولايات المتحدة الامريكية من اجل ايقاف عجلة التاريخ وتأجيل انهيارها، الذى نلمسه في التحولات الاشتراكية لنضالات الشعوب وحركات التحرر الوطني المؤمنة بحتمية عمل التاريخ لصالحها ،غؤلاء هم الذين يرفضون الارهاب.

جهاز العنف والارهاب لعبة بدون قواعد

بعد الحرب العالمية الثانية، والسمعة الدولية التي حظي بها الاتحاد السوفييتي، والتوجه الاشتراكي للبلدان المتحررة، ارتأت الادارة الامريكية وفق ما يدعى بقانون الامن الوطني انشاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية عام ١٩٤٧، وانيط بها العمليات السرية التي تشمل. الدعاية، الحرب الاقتصادية، اعمال وقائية مباشرة بما فيها التخريب، التدمير، اعمال تخريبية ضد الدول الاجنبية بما فيها مساعدة حركات المقاومة السرية والعصابات وفرق التحرير المهاجرة ودعم المجموعات المعادية للشيوعية، والعداء المتطرف للاتحاد السوفييتي اساسا لنشاطها.

ومن مراحل تطورها في عهد الادارات الامريكية التي تخدم سياستهم الداخلية والخارجية، ومدى اطلاعهم على عملياتها " يجب ان تنسق هذه الاقتراحات مع وزارة الخارجية، والبرامج شبه العسكرية يجب ان تنسق مع وزارة الدفاع ،وتطلبت عادة موافقة السفير الامريكي في البلد المعني " الى انواع الاسلحة التي تستخدمها ويحرمها القانون الدولي، ويحكم على ضحايا عابرين الموت بها، ومن احاديث موظفيها حول معسكرات التدريب الى النص الموجز لحديث صحفي "مع المستر موت" المنشور في مجلة" بلاى بوى" الامريكية ليوضح الكثير عن هذا الجهاز الارهابي ص ٤٨ – ص ٧٥.

وتنتقل بين ثنايا صفحات الكتاب الى حرب واشنطن ضد فيتنام باعتبارها عمل

Digitized by Birzeit University Library

للارهاب الدولي لم يسبق له مثيل من حيث نطاق المؤسسات المشاركة فيها ، وما نتج عنها من تدمير وقتل الابرياء ، حيث اعترف وليم كولبي رئيس CIA امام مجلس الشيوخ عام ٧١ بأن " ٢٠٥٨٧ من المشبوهين قتلوا " حيث بلغ عدد القتلى وفق معطيات سايغون ٠٤٠٩٩٤

وينقلنا الى المؤامرات على جمهورية كوبا الفتية ورئيسها فدل كاسترو، والدور القذر لـ CIA التي عمدت الى تجميع المنظمات المبعثرة المعادية للثورة وبالتنسيق مع منظمة المهاجرين الكوبيين المكونة من تجار مخدرات محترفو اجرام ورجال عصابات

ان اساليب التعذيب التي استخدمت ضد الشعب الفيتنامي حسب شهادات العاملين في وحدة مخابرات الجيش :

١) هاتف الميدان ـ يربط سلك هاتف الميدان الى اعضاء جسم المستجوب الذى يتعرض لتأثير التيار الكهربائي عند تشغيل الهاتف .

٢) الكرسي الكهربائي ـ يربط سلكا من مصدر التيار الكهربائي الى كرسي معدني مبلل بالماء ويوصل التيار الى الكرسي بعد وضع المستجوب عليه .

٣) خرقة مبللة بالماء ـ يسد فم المستجوب وفتحتا انفه بخرقة مبللة ويبدأ بالاختناق نتيجة ذلك .

٤) الاغراق ـ يوضع رأس المعتقل لمدة طويلة تحت الماء .

٥) قنبلة يدوية غير محشوة يلقى بها على المعتقل .

٦) الاهانات ،ضرب باعقاب البنادق والايدى والاقدام وبالواح خشبية وجوارب مملوءة بالرمل .

بالاضافة الى الحرب النفسية التي شنتها CIA في الفلبين ومن ثم الى فينا ، وكيفية تنصيب العميلين دييم ونو ، وعملية خلعهم عن المسرح السياسي ، والى تايلاند لتشاهد دور منظمة" الجواميس الحمر" وانصارهم من حزب "القوة الجديدة" في جرائم القتل والاعمال الارهابية وعلاقتهم مع CIA، وكيفية تعاطف ودفاع موظفي الممثلية الامريكية معهم .

يرتبط النشاط الاجرامي للاجهزة الامريكية ضد شعوب امريكا اللاتينية باعتبارها ضيعة امريكية ، واهتمام الرأسمال الاحتكارى بنهب ثرواتها الطبيعية واستغلال كاديحيها "الاحتكارات الامريكية التي تعتبر امريكا اللاتينية ملحقا لها تستأثر بخمس الانتاج الوطني الاجمالي لهذه المنطقة وثلث عائداتها من التصدير ." لذلك فان الحرب الصامتة لم تتوقف ضد دولها ، وتلجأ لكل عوامل الارهاب الدولي للقضاء على انظمة الحكم غير المرغوب فيها ، مثل المؤامرة والاموال التي انفقتها لاسقاط حكومة الوحدة الشعبية في الشيلي . وتجند وتدعم الثورة المضادة بالاموال والتدريب والحصار الاقتصادى والتلويح بالذراع العسكرى كما حصل في نيكاراغوا . اماان كانت موالية للامبريالية فانها تدعمها في القضاء على قوى اليسار. ومحاربة بوادر التحولات التقدمية للابقاء عليها تحت سيطرة احتكاراتها الرأسمالية ومصورة النضال الوطني ضد الانظمة الموالية لها بأرهاب تؤيده موسكو، ولذلك نرى الاساليب المتنوعة في البطش بالمواطنين تخوفا من الحركات التحررية " "فالخوف من الحركات التحررية والديموقراطية

Digitized by Birzeit University Library

والمناهضة للامبريالية في امريكا اللاتينية يدفع الولايات المتحدة على تنشيط الحرب السرية على الشعوب الامريكية اللاتينية واقامة

ودعم دكتاتوريات ارهابية فاشية علنا تعتبر السند الوحيد للامبريالية الامريكية في النصف الغربي من الكرة الارضية".

وينقلنا الكتاب من امريكا اللاتينية وشعوبها التي تعاني من ويلات انظمة حكمها ان كانت موالية للامبريالية، او من ما تحبكه CIA ضد حكوماتها التقدمية، الى منطقة الشرقيين الادنى والاوسط ، لنعيش محاولات الانقلاب ، ضد الجبهة الوطنية بايران وتنحية حكومة مصدق، والانقلاب في سوريا ضد الاوساط الديموقراطية بعد اسقاط الديكتاتور اديب الشيشكلي عام ١٩٥٤ ،وهذا ما لم يرق للولايات المتحدة واعتبر تطاولا على نفوذها ،واعتبرت الاحتكارات الرأسمالية ان اللغة المشتركة بينهما انتهت، لذلك اقدمت على ذلك بعلم الادارة الامريكية وبالتنسيق مع الحلفاء حيث يقول كيم الذي قاد عملية الانقلاب بايران " ان الرئيس الامريكي ايزنهاور ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل موافقان تمام الموافقة على مشروع العملية القادمـــة ".

وبعودةالشاه عام ٥٣، يوقفنا لنشاهد الاف القتلى، حيث عذب واعدم ٣٦٠ الف سياسي من خيرة ابناء شعب ايران، بجهاز الساڤاك الذي تأسس باشتراك وكالة المخابراتالمركزية الامريكية والموساد الاسرائيلي، ويعرج بنا الى قائد ثورة يوليو جمال عبد الناصر ومحاولات اغتياله .

تصل للبنان، الذي ما يزال يعاني من اللعبة القذرة التي مارستها وكالة المخابرات المركزية ضده. وكتب ايفلاند قائلا" اني اشتركت من قبل في تدخل الولايات المتحدة السرية في شؤون لبنان الداخلية، وان تدمير هذا البلد الذي بدا الان حتمما كان جزئيا نتيجة تدخلنا".

وعن التدخل في شؤونه الداخليةوالاموال التي انفقتها CIA يقول" كنت خلال الانتخابات ازور قصر الرئاسة بشكل منتظم بحقيبة ممتلئة باللبرات اللبنانية واعود بها في وقت متأخر من الليل فارغة لكي يقوم رجال هارفي ارمادو من المكتب العالي بملئها بالنقود مجددا".

ومن الكشف عن فرعا اسرائيليا تابع CIA واشتراكه في عملية تعميق الازمة في لبنان ، واخر في اثينا تعهد بتمويل وتدريب التكتلات اليمينية المسيحية الى مؤامرة الادارة الامريكية الحالية بالتواطؤ مع حكومة اسرائيل حليفها الاستراتيجي على حكومة وشعب لبنان الذي لا يزال ينزف، وعن ذلك كتبت مجلة" ايت ديز" 8 DAYS " ان وكالة المخابراتالمركزيةالامريكية اوصت الكتائبيين بخطة لتحرير لبنان من الوحدات السورية والمقاتلين الفلسطينيين مباشرة بعد انتخاب ريغن الذي وصف م.ت.ف. بانها "ارهابية" ويجب ان تنفذ هذه الخطة بتواطؤ سري مع اسرائيل".

ونواصل الترحال الى افريقيا التي اعتبرت احدى مناطق المصالح الحيوية للامبريالية، وخاصة بعد اكتشاف مكامن ضخمة للايورانيوم في ناميبيا المصدر الرابع في العالم به بعد استراليا امريكا كندا ، اصبحت مغرية لشركات الاحتكارية ومع وجود الايدي العاملة الرخيصة في افريقيـــا .

Digitized by Birzeit University Library

الا ان لعبة وكالة المخابرات المركزية الامريكية التي لا تحدها القوانين الدولية، ويطلق عليها الدبلوماسية السرية.. اخذت اسرارها تكشفها حركات التحرر الوطني، حيث ادرج وطنيو ناميبيا من قبل واشنطن في فئة الحركات الارهابية.. واعتبار النضال المسلح الذى تخوضه " سوابو" المنظمة الشعبية لافريقيا الجنوبية الغربية. خطرا رئيسيا يهدد مصالحها، لذلك عملت على شقها وتشويه سمعة قادتها ونضالاتها الوطنية، وعلى ايدى وطنيو اثيوبيا، موزمبيق، لبيبا انغولا، وغيرهم عربت هذه " الدبلوماسية السرية" وبعد، التعاون النشط بين CIA ومخابرات جنوبي افريقيا الذى ازدهر في عهود كل الادارات الامريكية، والدعم المقدم للثورات المضادة والمساعدات العسكرية والمالية للعنصريين الموجهة ضد حركات التحرر الوطني الافريقي، واعتبار دوله جنوب افريقيا حليفة استراتيجية لامريكا والتعاون معها " اذ ان تعاون الولايات المتحدة مع النظام الاجرامي العنصرى يتقوى عاما بعد عام وتواصل اكثر من ٦٠٠ شركة امريكية استغلال سكان هذا البلد"، وما اعلان الولايات المتحدة لتقديم المساعدات الى اى دولة تعارض" سياسة ليبيا التخريبية الارهابية" لتأكيد على الوجه البشع للارهاب الدولي الممارس من واشنطن ضد شعوب افريقيا التي لا زالت تمد بدماء مناضليها الوطنيين الثورات التحررية وتدعم الانظمة التقدمية. وينقلنا الى القول "وكم من الاعمال الارهابية الاخرى تعدها وكالة المخابرات المركزية الامريكية؟ واى دولة افريقية ستكون الضحية التالية للنهج المغامر الذى تمارسه الادارة الامريكية"؟!.

الحرب على الحلفـــاء

"عندما يدور الحديث عن مليارات الدولارات فمن الممكن الاقدام على ايةجريمة" والايحاء للحلفاء بأن الاتحاد السوفييتي يسعى بواسطة الاعمال الارهابية التي عانت منها اوروبا، اى اضعاف انظمة بلدان الناتو واثارة الاضطرابات بها، هما شعارا الحرب السرية التي تشنها الولايات المتحدة على حلفائها. تأتي منفذة لرغبة المجموعة الصناعية العسكرية. التي خلقت في باطن وكالة المخابرات المركزية الامريكية وبالتنسيق مع الانظمة الرجعية في بلدانها حيث تقوم الادارة الامريكية بتحديد طبيعة وكيفية تعاملها مع الانظمة التي تستحق مساعدتها، حيث تتوقف هذه المساعدات على مدى الوقوف في وجه المد الشيوعي "الارهاب الشيوعي العالمي" حسب وجهة النظر الامريكية" اذا اظهرت الحكومات الصديقة ضعفا او عجزا في وجه انتفاضة شيوعية، واذا عرضت مصالح الولايات المتحدة للخطر بقوميتها المتطرفة ".

لذلك اعتمدت وكالة المخابرات المركزية الامريكية على ما يسمى بسياسة استراتيجية التوتر الدموية، والحرب الباردة التي تتيح للولايات المتحدة الحصول على منافع وحيدة الطرف على حساب مصالح الحلفاء واخضاع اقتصاد ومالية اوروبا الغربية لها وابتزاز فوائد هائلة من تبعيتها .

يقف بنا الكتاب قبل ان نفترق على اساليب عمل وكالة المخابرات المركزية الامريكية ضد حلفائها. وعلاقتها مع المافيا والالوية الحمراء التي اعتمدت تكتيك نظرية الارهاب

Digitized by Birzeit University Library

غير المنظم" اضرب واهرب حيث القواسم التالية بينهم .

١) قدرة المافيا على العمل سرا .

٢) العداء المشترك بينهما للشيوعية .

٣) العمل معهما اتاح للامريكيين امكانيات فريدة من نوعها لتحقيق اهدافهم بأيدي الغير، متجنبين القنوات الدبلوماسية .

ومن الاساليب المتبعة ضد الحلفاء .

١) العمل على سحب الوزراء الشيوعيين من حكومات حلف الناتو، وذلك باعتماد ملايين الدولارات لرشوة الناخبين والزعماء السياسيين .

٢) تقديم المساعدات المالية والعسكرية للجماعات السرية المناهضة للشيوعيين .

٣) اشتراك وكالة المخابرات المركزية مع مختلف المنظمات الاطلنطية للعمل على اقامة دول بوليسية قوية .

٤) اثارة القلاقل والاضطرابات، كما حصل بفرنسا اثر اقدام ديغول لعدم الانصياع للتعليمات الامريكية وانسحاب فرنسا من حلف الناتو، وادراكا ان نهج تجاهل الاتحاد السوفييتي ونتائج الحرب العالمية الثانية يمكن ان يؤدي لنزاع جديد،

٥) اسلوب الاغتيال السياسي ، كما حصل مع الدو مورو رئيس الحزب الديموقراطي المسيحي في ايطاليا لمحاولته الموجهة لتحقيق التقارب بين موقف حزبه الحاكم وموقف الحزب الشيوعي في ايطاليا حيث يقول مورو في رسالة من معتقلة" من المحتمل ان النفوذ الامريكي او الالماني الغربي يكمن في هذا الموقف القاسي مني" ويقول السفير الامريكي غاردنر عن مورو في ٣ آذار "ان الدو مورو اخطر شخصية مراوغة على المسرح السياسي الايطالي ".

وبالفعل عندما تظهر تناقضات بين امريكا وحلفائها فانها لا تتورع عن الاقدام على استخدام اساليبها الرخيصة لتحقيق مطامح الطغمة الصناعية العسكرية، حيث اغتيل مورو بعد ١٣ يوما من حديث السفير الامريكي وهذا يقودنا الى ما ذكرناه سابقا بأن السفير الامريكي في البلد المعني يكون على علم مسبق بما تحيكه ادارته من اعمال ارهابية.

وهنا نقول، من يقف وراء الارهـــاب الدولي؟، بالتأكيد الكل يجيب الادارة الامريكية بوسائلها الخاصة، لكن الصحفيين ارادوا توثيق الجواب بالوثائق والشهادات والوقائع ،وليس عملا باسلوب الإدارة الامريكية التي تعمد لاسلوب الافتراء والتضليل لتحقيق مصالحها الرأسمالية الاحتكارية .

Digitized by Birzeit University Library

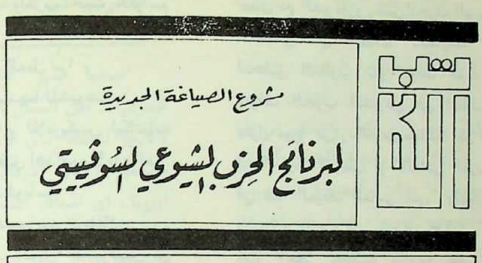

الجـــزء الاول

في شباط ١٩٨٦، سوف يطرح مشروع الصياغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي متضمنا الرؤية العصرية لاهم القضايا ،بعد ان تكون المنظمات والاجتماعات والمؤتمرات الحزبية قد انتهت من مناقشته،وابداء كافة الملاحظات عليه واقراره بشكل نهائي لتقديمة لمؤتمر الحزب العام

وفي الوقت الذى يجرى فيه العمل بوتائر عالية ، من اجل تجاوز الخطط الاقتصادية المعتمدة، الهادفة الى احراز التحولات الثورية والعميقة، فان العمل يبقى السبيل الوحيد الفعال لخلق الرفاه والسعادة للانسان ، وفي هذا الصدد يقول السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي ميخائيل غورباتشوف، " ان الوتائر المطلوبة تمليها الحياة نفسها" ، وان نجاح العمل، ينبثق من قلب الكادح وشرفه وضميره" وقد احتلت قضية العمل، وتوفير الرفاهية والسعادة للمجتمع السوفييتي، جانبا مهما في المشروع الجديد لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي .

اما قضية الحرب والسلام ، فان المشروع، يعتبرها القضية الاكثر اهمية في العالم ، وان " "بالامكان تفادى الحرب ،وانقاذ البشرية من الكارثة وفي ذلك تكمن الرسالة التاريخية للاشتراكية ولجميع القوى التقدمية والمحبة للسلام". ومن هنا فان الحزب الشيوعي السوفييتي يرى ان توضع امكانات القوى والشعوب المتحررة لخدمة قضية السلام العالمي.

ان المكاسب التي حققها المجتمع السوفييتي، ومجمل شعوب العالم المحبة للسلام والتقدم بانتصار ثورة اكتوبر وقيام الدول الاشتراكية الاخرى في عصرنا ،فتح الطريق امام تعزيز الاشتراكية، وانتصار العديد من حركات التحرر في العالم الامر الذى يلقي على عاتق الاتحاد السوفييتي بمسؤوليات ومهام جديدة تجاه الشعوب الناهضة التي لا تزال تناضل من أجل حريتها واستقلالهـــا .

ان النجاحات العظيمة التي حققها الاتحاد السوفييتي على كافة الاصعدة، يؤكد ويعزز

Digitized by Birzeit University Library

المقولة الراسخة رسوخ الجبال، ان الماركسية اللينينية هي فعلا راية العصر، والطريق الوحيد القادر على صياغة عالم جميل، عالم يسوده السلام. خال من كل العيوب والامراض التي تزرعها الرأسمالية في كافة ارجاء الكون، ان الاشتراكية هي البديل الوحيد القادر على تحقيق سعادة الانسان والانسانية جمعاء.

وقد نشرت وكالة تاس يوم ٢٦ اكتوبر الماضي النص الكامل للمشروع باللغة العربية، وفيما يلي موجزا لنص مشروع الصياغة الجديده لبرنامج الحزب الشيوعي السوفييتي الذى اقرته اللجنة المركزية وستقدمه الى المؤتمر السابع والعشرين المقرر عقده في شباط المقبل لاقراره.

مقدمـــــة:

اجتازت بلاد السوفييت، وليدة ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى. طريقا طويلا ومجيدا وبقيادة الحزب الشيوعي تحققت انتصارات تاريخية عالمية. والحزب الشيوعي السوفييتي، المسلح بالنظرية الماركسية ـ اللينينية وتجربة النضال الثورى والبناء الاشتراكي الغنية اذ يعبر بثبات عن مصالح الطبقةالعاملة وجميع الشغيلة يقود الشعب السوفييتي بثقة على طريق الابداع الشيوعي والسلام.

لقد برز الحزب على المسرح السياسي وريثا جديرا لافكار تحويل المجتمع تحويلا اشتراكيا، الافكار التي اعلنتها وثيقة الشيوعيين البرنامجية الاولى " البيان الشيوعي"، وللتقاليد الثورية للحركة العمالية العالمية ولمآثرة ابطال كومونة باريس الخالدة وقد اكتشف كارل مراكس وفريدريك انجلس، مؤسسا الشيوعية العلمية قوانين تطور المجتمع الموضوعية وبرهنا نظريا حتمية انهيار الرأسمالية وعللا الرسالة التاريخية العالمية للبروليتاريا كخالق للنظام الجديد الاشتراكي وذلك بالاستناد الى تجربة الصراع الطبقي التاريخية ومنجزات فكر البشرية الطليعي. وندائهما الحار" يا عمال العالم اتحدوا " لا يزال حتى اليوم شعار الحركة العمالية الكفاحي

وفي ظروف تاريخية جديدة طور فلاديمير ايليتش لينين، المكمل العبقرى لقضية ماركس وانجلس، ونظريتهما تطويرا شاملا واعطى الاجوبة عن مسائل عصرنا الجذرية وسلح الحركة العمالية بنظرية الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي وبنظام اراء علمي حول قضايا الحرب والسلام.

ان الماركسية ـ اللينينية نظرية ثورية موحدة. واصبح الحزب، الذى اسسه لينين العظيم، تجسيدا حيا لوحدة الاشتراكية العلمية والحركة العمالية ووحدة النظرية والممارسة التي لا تنفصم. ولقد كان ولا يزال وسيبقى دائما حزب الماركسية ـ اللينينية حزب العمل الثورى.

وفي كل مرحلة تاريخية حل الحزب الشيوعي السوفييتي مهمات وجدت تعليلها العلمي في برامجه.

وباقراره البرنامج الاول في المؤتمر الثاني العام ١٩٠٣ قاد حزب البلاشفة، الطبقة العاملة والفلاحين وجميع الشغيلة في روسيا، الى النضال من اجل اسقاط الحكم القيصرى ومن ثم النظام الرأسمالي وخاض لهيب ثلاث ثورات روسية. وفي تشرين الاول (اكتوبر ١٩١٧) اخذت الطبقة العاملة زمام السلطة السياسية ولاول مرة في التاريخ ظهرت دولة العمال والفلاحين، وبدأت عملية خلق

Digitized by Birzeit University Library

عالم جديـــد .

وباقرار البرنامج الثاني في المؤتمر الثامن العام ١٩١٩ طرح الحزب مهمة بناء الاشتراكية، وبقيادة الحزب الشيوعي نفذ الشعب السوفييتي خطة البناء الاشتراكي التي صاغها لينين سالكا سبلا غير مطروقة ومتغلبا على مصاعب ضخمة ومبديا شجاعة فريدة، وقد غدت الاشتراكية في بلادنا واقعا .

وباقرار البرنامج الثالث في المؤتمر الـ ٢٢ العام ١٩٦١ قام الحزب بعمل ضخم في كل اتجاهات البناء الشيوعي. وحقق الشعب السوفييتي نجاحات كبيرة في مجال تطوير القوى المنتجة والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والديموقراطية الاشتراكية والثقافية وفي تكوين الانسان الجديد . ودخلت البلاد مرحلة الاشتراكية المتطورة. وتعاظم دور الاتحاد السوفييتي كعامل جبار للنضال ضد سياسة الاستعباد الامبريالية والعدوان والحرب وفي سبيل السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعـــي .

وأكدت المرحلة، التي مرت على اقرار البرنامج الثالث، صحة ارشاداته وتعاليمه النظرية والسياسية الرئيسية. ومع ذلك فان التجربة المكدسة والادراك العلمي للتغييرات في حياة البلاد الداخلية وعلى الصعيد الدولي يتيحان رسم افاق تطور المجتمع السوفييتي وطرق ووسائل الهدف النهائي الا وهو الشيوعية ومهام السياسة الدولية في الظروف التاريخية الجديدة بصورة اكثر دقة وتحديدا .

البرنامج الثالث للحزب الشيوعي السوفييتي في صيغته الحالية هو برنامج استكمال الاشتراكية المنهجي والشامل وتقدم المجتمع السوفييتي اللاحق نحو الشيوعية على اساس تعجيل تنمية البلد الاجتماعية ـ الاقتصادية . انه برنامج النضال في سبيل السلام والتقدم الاجتماعي .

الفصـــل الاول :

الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية والشيوعية هو المحتوى الاساسي لعصرنا

١ ـ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وبنـاء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي .

ان انعطاف البشرية التاريخي العالمي نحو الاشتراكية، الذى دشنته ثورة اكتوبر هو نتيجة طبيعية للتطور الاجتماعي .

ان الرأسمالية هي آخر نظام استغلالي في في تاريخ البشرية. وهي بعد ان كانت حافزا جبارا لتطوير القوى المنتجة تحولت الى عقبة على طريق التقدم الاجتماعـــي .

ان كل تاريخ الرأسمالية هو تاريخ تعمق تناقضها الرئيسي ـ التناقض بين الطابع الاجتماعي للانتاج والشكل الرأسمالي الخاص للاستثمار وتشديد استغلال الطبقة العاملة وجميع الشغيلة وتفاقم الصراع بين العمل ورأس المال بين المضطهَدين والمضطهِدين . وهو تاريخ الازمات الاقتصادية والهزات الاجتماعية ـ السياسية والحروب الاغتصابية والنزاعات التي جلبت لاناس العمل مصائب لا تحصى .

وأدت عملية تركز وتمركز رأس المال في مطلع القرن العشرين الى نشوء اتحادات احتكارية قوية للرأسماليين استولت على العتلات الرئيسية في الحياة الاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

والسياسية كلها . ودخلت الرأسمالية مرحلتها العليا والاخيرة – مرحلة الامبريالية. وحسب تعبير لينين " تحولت الرأسمالية الامبريالية الى اكبر مضطهد للامم " والى مصدر الحروب العدوانية الرئيسي .

وفي مرحلة الامبريالية تتكون الظروف المادية للاستعاضة عن علاقات الانتاج الرأسمالي بعلاقات انتاج اشتراكية وتنضج المقدمات الموضوعية والذاتية للثورة الاشتراكية الظافرة. وقد عهد التاريخ الى الطبقة العاملة بمهمة المحول الثورى للمجتمع القديم وخالق المجتمع الجديد . وهي بتنفيذها هذه المهمة لا تعبر فقط عن مصالحها الطبقية بل وعن مصالح جميع الشغيلة .

وفي روسيا تجلت بقوة خاصة تناقضات الامبريالية التي شددها نير القيصرية ورواسب نظام الرق الاقطاعي. وكانت روسيا 'اضعف حلقات الامبريالية العالمية وعقدة تناقضاتها . والى هنا بالذات انتقل مركز الحركة الثورية العالمية. وبرزت امام البروليتاريا الروسية مهمة شاقة وخطيرة للغاية هي ان تكون اول من يحطم سلسلة سيطرة البرجوازية العالمية. ولم يكن بالمستطاع تحقيق ذلك الا بقيادة حزب من طراز جديد وهو منظمة البروليتاريا الثورية الكفاحية .

وأصبح تأسيس الحزب البلشفي نقطة انعطاف في تاريخ الحركة العمالية الروسية والعالمية. وكان انعكاسا لضرورة التطور الاجتماعي الموضوعية ولنضال البروليتاريا الطبقي وثمرة للتبصر العلمي ونتيجة للنشاط السياسي والتنظيمي الذى بذله لينين وكل الماركسيين بلا كلل الذين رصوا صفوفهم حوله ونداء لينين المتوقد " اعطونا منظمة ثوريين فنقلب روسيا" اثار صدى حارا في عقول وقلوب العمال والناس الطليعيين في المجتمع الروسي وخيرة ممثلي الشعب العامل . وصاغ لينين مبادئ الحزب الايديولوجية والسياسية والتنظيمية وأساليب عمله بين الجماهير. وتكون الحزب ذو الطراز الجديد في خضم المعارك الحاسمة ضد التحريفية والانتهازية اليمينية والجمود العقائدى والنزعة المغامرة اليسارية .

وثورة ١٩٠٥ – ١٩٠٧ وهي الثورة الشعبية الاولى في عصر الامبريالية، عكست قوة الطبقة العاملة وكانت فاتحة انتصارات البروليتاريا القادمة. وثورة شباط (فبراير) البرجوازية – الديموقراطية عام ١٩١٧ نسفت القيصرية . ولكنها لم تنقذ الجماهير الشعبية من نير الظلم الاجتماعي والقومي ومن اعباء الحرب الامبريالية كما لم تحل التناقضات التي كانت تمزق المجتمع الروسي .واصبحت الثورة الاشتراكية المطلب الملح، مطلب العصر .

كانت الطبقة العاملة في روسيا تتميز بروح الثورية والتنظيم الرفيعة. وكان على رأسها حزب البلاشفة الذى اشتد عوده في المعارك السياسية والذى كان يمتلك نظرية ثورية طليعية . وسلحه لينين بأفق واضح للنضال اذ صاغ نظرية امكانية انتصار الثورة البروليتارية في ظروف الامبريالية في البدء في بلد واحد او في عدة بلدان على انفراد .

وتلبية لنداء حزب البلاشفة وبقيادته خاضت الطبقة العاملة معركة حاسمة ضد سلطان رأس المال. ووحد الحزب، في تيار جبار واحد، نضال البروليتاريا في سبيل الاشتراكية ونضال الفلاحين في سبيل الارض ونضال التحرر الوطني لشعوب روسيا المضطهدة

Digitized by Birzeit University Library

والحركة الشعبية ضد الحرب الامبريالية وفي سبيل السلام ووجه هذا التيار نحو اسقاط النظام البرجوازي .

وأصبحت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى انعطافا في التاريخ العالمي وحددت الاتجاه العام للتطور العالمي ونزعاته الاساسية ودشنت بداية العملية الظافرة وهي عملية الاستعاضة عن الرأسمالية بتشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية جديدة شيوعية .

ولاول مرة في التاريخ ظهرت دولة دكتاتورية البروليتاريا . وبتوحيدها جميع الشغيلة شرعت الطبقة العاملة في حل عقد مهام مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وفي بناء اسس مجتمع جديـــد .

ان الفوز بالسلطة السياسية والانتصارات على جبهات الحرب الاهلية وسحق التدخل العسكري الاجنبي وفتح آفاق بناء الحياة الجديدة احدثت مدا جبارا لقوى جماهير الشغيلة الثورية. فتغلبت على الفاقة والمصاعب التي ولدها الخراب الاقتصادي ومؤامرات اعداء الثورة واعمال التخريب من جانب البرجوازية وعلى تخلف البلاد التقني ـ الاقتصادي والثقافي . واكتسب الصراع الطبقي احيانا في المرحلة الانتقالية طابعا حادا . وتعرضت بلاد السوفييت لاشرس حملات الحصار الرأسمالي العدائي ولطائفة كبيرة من الاستفزازات العسكرية والسياسية .

ومارس الحزب على الدوام النهج اللينيني العام ، نهج بناء الاشتراكية وذلك باستناده الى حماسة الجماهير وبتصديه لحملات الانتهازيين اليمينيين و"اليساريين" وبتوطيده وحدته الفكرية ـ السياسية والتنظيمية .

وانتقلت وسائل الانتاج الرئيسية الى ايدى الشعب وضمن تأميم الارض والمصانع والمعامل والبنوك ، المقدمات الضرورية لتثبيت وتطوير الملكية العامة الاشتراكية وتنظيم نظام الاقتصاد وتصنيع البلاد وتحويل الاتحاد السوفييتي الى دولة صناعية جبارة. وأصبحت اشاعة التعاونيات في الزراعة انقلابا عميقا . وقام تحالف الطبقة العاملة والفلاحين على اساس اجتماعي ـ اقتصادي وطيد . ونتيجة الثورة الثقافية محيت الامية وفتح مجال رحب لتطوير القوى المبدعة وازدهار الانسان العامل روحيا وتكونت فئة المثقفين الاشتراكية واصبحت الماركسية ـ اللينينية الايديولوجية السائدة في وعي المواطنين السوفييـــت .

ويعتبر حل المسألة القومية من اعظم مكاسب الاشتراكية. فانتصار اكتوبر قضى نهائيا على الظلم القومي واللامساواة بين الامم . واتحاد الشعوب الحرة المتكافئة في الحقوق والقائم على اساس طوعي في دولة متعددة القوميات ، موحدة هي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، لعب دورا عظيما . وفي مجرى البناء الاشتراكي تعمق ضمان تقدم الاطراف القومية السابقة ، الاقتصادي والاجتماعي والثقافي السريع . واصبح التناحر القومي من ذكريات الماضي وغدت الصداقة الاخوية والتعاون الوثيق والتعاضد بين جميع شعوب الاتحاد السوفييتي سمة الحياة.

وكل ذلك كان يعني انه قد تم تحقيق انعطاف اجتماعي يتسم بأهمية تاريخية عالمية ، اذ قضي نهائيا على سيطرة الملكية الخاصة ، قديمة العهد وعلى استغلال الانسان للانسان . وعلى اساس المصالح المشتركة للطبقة العاملة

Digitized by Birzeit University Library

والفلاحين التعاونيين والمثقفين من ابناء الشعب وشغيلة جميع القوميات تكونت وحدة المجتمع السوفييتي الاجتماعية ـ السياسية والفكرية. وأصبح انسان العمل سيد بلاده الكامل. وبني في الاتحاد السوفييتي عموما المجتمع الاشتراكي .

الحـرب الوطنيـة العظمـى

كانت الحرب الوطنية العظمى امتحانا قاسيا للنظام الجديد . وبتلاحمه حول الحزب وابدائه بطولة فريدة انزل الشعب السوفييتي وقواته المسلحة هزيمة نكراء بالفصيلة الصدامية للرجعية الامبريالية العالمية. وبانتصاره هذا ادى الاتحاد السوفييتي قسطا حاسما من الاسهام في تحرير شعوب اوروبا من العبودية النازية وفي انقاذ الحضارة العالمية من ظلامية الهتلرية. وخلق سحق الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية امكانيات جديدة امام نضال الشعوب في سبيل السلام والديموقراطية والتحرر الوطني والاشتراكية .

ورفع انتصار الشعب السوفييتي عاليا مكانة الاتحاد السوفييتي الدولية .

وخلال فترة زمنية قصيرة ضمد الاتحاد السوفييتي جراحات الحرب الثخينة وعزز قدرته الاقتصادية والعلمية ـ التقنية والدفاعية بشكل ملموس ووطد مواقعه الدولية. وانتصرت الاشتراكية في بلادنا انتصارا كاملا ونهائيا وبالاستناد الى ما انجز ظل المجتمع السوفييتي يتقدم بثقة في جميع اتجاهات تطوره الاقتصادي والاجتماعي ـ السياسي والروحي . وتكون في البلاد مجمع اقتصادي وطني موحد واستصلحت مناطق جديدة ضخمة في شمالي وشرقي البلاد وتحسن استثمار الطبيعة . وازداد الدخل القومي وانتاجية العمل الاجتماعي بشكل ملموس . وارتفع مستوى رفاهية الشعب ارتفاعا كبيرا .وتحقق برنامج عظيم للبناء السكني .وتضاعفت ثروة الشعب الروحية. وتم الانتقال الى التعليم الثانوي الالزامي العام وحقق العلم والتقنية السوفييتيان نجاحات عظيمة. وبني الاتحاد السوفييتي اول محطة كهرذرية واول كاسحة جليد ذرية واطلق اول قمر صناعي تابع للارض وأول سفينة فضائية كونية وعلى متنها انسان.

وترسخت العلاقات الاجتماعية الاشتراكية. وتشكلت رابطة اجتماعية وأممية جديدة من الناس هي الشعب السوفييتي.

وبابدائه الروح المبدئية والانتقاد الذاتي وبالاستناد الى دعم الجماهير قام الحزب بعمل كبير لتذليل عواقب عبادة الفرد والانحرافات عن القواعد اللينينية في قيادة الحزب والدولة وتصويب الاخطاء ذات الطابع الذاتي والارادوي.وتطورت الديموقراطية الاشتراكية تطورا لاحقا وترسخت الشرعية السوفييتية .

وشكلت اقامة التكافؤ العسكري ـ الاستراتيجي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وبين منظمة معاهدة وارسو وحلف الناتو انجازا تاريخيا للاشتراكية.فقد عزز مواقع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية وجميع القوى التقدمية واحبط حسابات اوساط الامبريالية العدوانية التي تراهن على الانتصار في حرب نووية عالمية. ويشكل الحفاظ على هذا التكافؤ ضمانة اكيدة لصيانة السلام والامن الدوليين.

وتظهر تجربة الاتحاد السوفييتي

Digitized by Birzeit University Library

والبلدان الاشتراكية الاخرى. بصورة مقنعة، افضليات المجتمع الجديد الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية والفكرية والاخلاقية التي لا تقبل جدلا باعتباره درجة لتقدم البشرية تفوق الرأسمالية وتعطي جوابا على المسائل التي يعجز النظام البرجوازي عن حلها .

ان الاشتراكية هي مجتمع كتبت على رايته "كل شيء باسم الانسان ولخير الانسان". انه مجتمع كالتالي :

ـ حيث وسائل الانتاج في ايدى الشعب وحيث قضي نهائيا على استغلال الانسان للانسان وعلى الظلم الاجتماعي وسلطة الاقلية ذات الامتيازات وعلى البؤس والامية اللذين يعانيهما ملايين النـــاس .

ـ وحيث فتحت رحاب واسعة لتطور القوى المنتجة تطورا ديناميا ومنهاجيا وحيث التقدم العلمي ـ التقني لا يدفع بملايين الناس الى البطالة بل الى رفع مستوى رفاهية الشعب بأسره وباطراد .

ـ وحيث ضمن الحق المتساوى في العمل وأجره العادل طبقا لمبدأ" من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله" وحيث يستفيد السكان من الخيرات الاجتماعية والخدمة الطبية المجانية والتعليم المجاني والمسكن لقاء بدل زهيـــد .

ـ وحيث ترسخ تحالف وطيد بين الطبقة العاملة والفلاحين التعاونيين والمثقفين. وحيث نالت النساء حقوقا متساوية فعلا مع الرجال وحيث فتح امام جيل الشباب طريق مضمون وحيث تأمن الضمان الاجتماعي لقدامى العمـــل .

ـ وحيث قضي على الظلم القومي وثبتت المساواة الفعلية والقانونية والصداقة والاخوة بين جميع الامم والاقوام .

ـ وحيث اقيمت وتتطور ديموقراطية حقيقية، اى السلطة في خدمة الشعـــب .

ـ وحيث تسود ايديولوجية ماركسية ـ لينينية انسانية حقا وحيث تكونت ثقافة طليعية تستوعب خير ما في الثقافة العالمية.

ـ وحيث تكون نمط حياة اشتراكي قائم على العدالة الاجتماعية والروح الجماعية والتعاضد الرفاقي يمنح انسان العمل الثقة بالمستقبل ويرفعه روحيا واخلاقيا كمبدع للعلاقات الاجتماعية الجديدة ولمصيره .

ان الاشتراكية هي مجتمع تستهدف طموحاته وأفعاله، على الصعيد الدولي، دعم سعي الشعوب الى الاستقلال والتقدم الاجتماعي وتستجيب للمهمة الرئيسية الا وهي صيانة السلام وتوطيده .

والاشتراكية، التي صارت في البداية واقعا في بلادنا، تحولت الى منظومة عالمية .

وبذلك جربت، عمليا، على الصعيد الدولي النظرية الماركسية ـ اللينينية لبناء صرح المجتمع الجديد . وترسخت الاشتراكية. كما اثبت مثال مجموعة كاملة من البلدان وبشكل قاطع افضلياتها التي لا تقبل جدلا . وسار مئات الملايين من الناس على طريق بناء صرح الحضارة الشيوعية. والمزيد والمزيد من الشعوب تقدم على رفض الرأسمالية وتحجم عن ربط افاق تطورها بها وتميل باصرار الى ذلك النمط من النظام الاجتماعي والى تلك العلاقات الاجتماعية التي تكونت في البلدان الاشتراكية .

ومما يزيد من تأثير انجازات الاشتراكية انها تحققت في اقصر فترة تاريخية وفي ظروف الضغط الامبريالي المتواصل ـ بدءا بالضغط

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادى والتخريب الايديولوجي وانتهاء بالمحاولات المباشرة لتدبير الثورات المضادة.

ان اهمية الخبرة، التي اكتسبتها البلدان الاشتراكية، راسخة. والعقود الماضية قد اغنت ممارسة البناء الاشتراكي وجسدت بوضوح تنوع علم الاشتراكية. وفي الوقت ذاته تدل خبرة هذه العقود على الاهمية الكبيرة التي تتسم بها القوانين العامة لتطور الاشتراكية كسلطة الشغيلة في ظل دور الطبقة العاملة الرائد وقيادة الحزب الشيوعي لمسيرة تطور المجتمع ،هذا الحزب المسلح بايديولوجية الاشتراكية العلمية وفرض الملكية العامة على وسائل الانتاج الاساسية وتنمية الاقتصاد على هذا الاساس تنمية مبرمجة لخير الشعب بأسره وتطبيق مبدأ "من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله" وتطوير الديموقراطية الاشتراكية والمساواة والصداقة بين القوميات والشعوب وحماية المكتسبات الثورية من تطاولات الاعداء الطبقيين .

ان استخدام القوانين العامة في الظروف الموضوعية لكل بلد من البلدان الاشتراكية هو اساس تقدمها بخطى واثقة وتذليل صعاب النمو ومعالجة التناقضات الناشئة في حينها والقسط الحقيقي لمساهمة الاحزاب الشيوعية الحاكمة في مسيرة التطور الاشتراكية العامة .

لقد بعثت الاشتراكية الحياة في نمط جديد فريد من العلاقات الدولية، علاقات اساسها الوطيد الايديولوجية الماركسية – اللينينية والتضامن الطبقي والصداقة والتعاون والتعاضد في حل مهام البناء والدفاع عن المجتمع الجديد والمساواة واحتياجات استقلال وسيادة كل دولة .

وقد تجسدت علاقات الاممية الاشتراكية اتم تجسيد في الاسرة الاشتراكية. فبلدان الاسرة – اعضاء مجلس التعاضد الاقتصادي "سيف" ومنظمة معاهدة وارسو – ترتبط برباط وحدة المصالح والاهداف الجذرية وبأواصر تعاون واسع وشامل وتنسق خطواتها في الشؤون الدولية. ولم يسبق للتاريخ ان شهد رابطة بلدان كهذه حيث لا يتمتع احد ولا يمكن ان يتمتع بحقوق وامتيازات خاصة وحيث العلاقات الدولية تحولت حقا الى علاقات بين الشعوب وحيث نشأت وتترعرع علاقات حية ومثمرة على شتى المستويات – ابتداء من قمة الحزب والدولة وحتى اسر العاملين. والاسرة تضاعف قوة الدول الشقيقة في البناء الاشتراكي وتساعد على ضمان امن وطيد لها .

ومن صميم جوهر الاشتراكية تنبع الحاجة الموضوعية لمزيد من التقارب بين البلدان الاشتراكية .

ان نشوء المنظومة الاشتراكية العالمية وتشكيل وتعزيز اسرة الاشتراكية ادى الى تغير جذري في ميزان القوى في الصعيد الدولي هي في مصلحة الشعوب المناضلة في سبيل التقدم الاجتماعي والديموقراطي والتحرر الوطني والسلام. والاسرة الاشتراكية هي من اسمى قوى العصر هيبة .

تمتاز الرأسمالية الراهنة في جوانب كثيرة عما كانت عليه في بداية، بل في اواسط القرن العشرين. وفي ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية التي تجمع بين قوة الاحتكارات والدولة في ميكانيزم واحد ،يغدو النزاع بين القوى المنتجة المتطورة تطورا ضخما والعلاقات الانتاجية الرأسمالية اشد حدة .

ويشتد عدم الاستقرار الداخلي للاقتصاد ،الامر الذى ينعكس في تباطؤ الوتائر العامة

Digitized by Birzeit University Library

لنموه وفي تشابك وتعمق الازمات البنيوية والدورية. وباتت البطالة الجماعية والتضخم مرضا مزمنا وبلغ عجز الميزانية والديون ابعادا هائلـــة .

وبات، نتيجة مباشرة لتمركز وتدويل الانتاج الرأسماليين، اشتداد سطوة الاحتكارات العابرة لحدودها القومية التي تجنى ارباحا طائلة من خلال استغلال توزيع العمل العالمي. وهي لا تعمل على تقويض سيادة الدول الفتية فحسب بل وتتطاول على المصالح الوطنية للبلدان الرأسمالية المتطورة ايضـــا .

والرأسمالية في محاولتها التكيف مع الوضع المستجد تلجأ على الدوام الى المناورة والدولة البرجوازية تعيد من خلال الميزانية توزيع جزء كبير من الدخل القومي بحيث يخدم مصالح الرأسمال الكبير. وتسعى لتسخير احدث الانجازات التقنية. وقد باتت الية الاستغلال اكثر تعقيدا وتفننا .فالمزيد من الارباح يجرى استخلاصه من مستوى تأهيل العاملين وقدرتهم الذهنية وطاقتهم العصبية.

بيد ان نضال الشغيلة الطبقي في ظروف النفوذ المتعاظم للاشتراكية العالمية يجبر الرأسماليين احيانا على تقديم تنازلات جزئية واجراء تحسينات معينة على ظروف العمل وأجوره والضمان الاجتماعي. ويجرى ذلك من اجل صيانة الجانب الاهم، الا وهو هيمنة الرأسمال. غير ان هذه المناورة تقترن اكثر فاكثر بأعمال تعسفية وهجوم سافر تشنه الاحتكارات والدولة البرجوازية على مستوى "شغيلة المعاشـــي .

والثورة العلمية ــ التقنية في ظل الرأسمالية تؤدى الى عواقب اجتماعية وخيمة فملايين الشغيلة الذين يُطردون الى الشارع، يُحكم عليهم بالحرمان المهني والفاقة ويفقدون كل ثقة بالمستقبل. وان جزءا كبيرا من الشبان المتعلمين يتعذر عليهم ايجاد مجال لاستخدام قواهم ومعارفهم ويعانون الامرين من وضعهم المحتوم. فالبطالة الجماعية باقية في ظل جميع الحالات الاقتصادية وان آفاق نموها التالي الواقعية تنطوى على اوخم الهزات الخطرة بالنسبة للرأسمالية كنظام اجتماعي .

وقد احتلت الاحتكارات مواقع مهيمنة في القطاع الزراعي ايضا . حيث يطرد من ميدان الانتاج ملايين المزارعين. اما اولئك، الذين يتسنى لهم النجاة، فيحافظون على مواقعهم مقابل ثمن باهظ مثل الجوع والحرمان. اما مصائر عوائل المزارعين فتتوقف كليا على تقلبات السوق وتعسف الاحتكارات . وبات مزريا بخاصة مصير الكادحين في المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة. ويستفحل اكثر فاكثر استغلال الرأسمال الكبير لاصحاب الاعمال والمتوسطين في المدن الذين كُبلوا بقيود التبعية المالية .

وفي المجال السياسي تتصف الامبريالية بميلها الى تسعير الرجعية في جميع المجالات وهناك حيث احرز الشغيلة، بعد نضال مرير، حقوقا ديموقراطية معينة لا يلبث رأسمال الدولة الاحتكارية ان يشن هجوما مسعورا مموها ،بمهارة احيانا، على هذه الحقوق. اما في الحالات التي تشكل خطرا عليه فهو لا يتردد عن اللجوء الى الابتزاز السياسي والاضطهاد والارهاب وحملات القمع. وحيث الوسائل التقليدية لقمع الشغيلة لا تنفع، تفرض الامبريالية الانظمة الدكتاتورية الاستبدادية

Digitized by Birzeit University Library

وتدعمها عسكريا في محاربتها للقوى التقدمية وفي سعيها الرامي الى اضعاف اواصر التضامن الاممي بين الشغيلة، تلجأ الامبريالية الى اشعال وتأجيج نار العصبية القومية والشوفينية والعنصرية والاستهانة بحقوق ومصالح الشعوب الاخرى وتراثها الثقافي التاريخي القومي.

ولا تفتأ ايديولوجيا الرأسمالية الراهنة اللاانسانية على الحاق المزيد والمزيد من الاضرار بعالم الناس الروحي. فعبادة الفردية والاستباحة والعداء للشيوعية الحاقد واستغلال الثقافة باعتبارها مصدرا لجني الارباح، كل هذا لا يؤدي الا الى نشر العقم الروحي والانحطاط الخلقي للمجتمع. فالامبريالية اسفرت عن موجة من الارهاب عمت المجتمع الرأسمالي. ويغدو وهميا اكثر فاكثر دور وسائل الاعلام البرجوازية التي تعمل على تخدير وعي الناس خدمة للطبقة المهيمنة.

ويشتد التفاوت في تطور البلدان داخل المنظومة الرأسمالية. فقد نشأت ثلاثة مراكز للتنافس بين الدول الامبريالية، الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان، حيث يشتد بينها الصراع والمزاحمة على اسواق التصريف ومجالات توظيف الرأسمالية ومصادر الخامات ومن اجل التفوق في مجالات التقدم العلمي ـ التقني الحاسمة.

وتنشأ مراكز مزاحمة اقتصادية وسياسية جديدة لا سيما في حوض المحيط الهادئ وامريكا اللاتينية. وتحتدم التناقضات بين الدول البرجوازية. اما اطماع احتكارات الولايات المتحدة الامريكية الاستعمارية وسياستها المغرضة واستعدادها للتضحية بمصالح وأمن الدول الاخرى حتى الحليفة انطلاقا من اعتبارات انانية فتثير المزيد من السخط والقلق في العالم.

ان الامبريالية تتحمل المسؤولية عن الهوة الكبيرة والمتعاظمة في مستويات التطور الاقتصادي بين البلدان الرأسمالية الصناعية وغالبية الدول المتحررة وعن بقاء مناطق شاسعة من العالم مسرحا للجوع والفقر والامراض الفتاكة.

فكلما عملت مسيرة التطور التاريخي على زعزعة مواقع الامبريالية بقوة اكبر، ازدادت الامبريالية عداء لمصالح الشعوب. فالامبريالية تبدي مقاومة ضارية في وجه التقدم الاجتماعي وتحاول تأخير سير التاريخ وتقويض مواقع الاشتراكية وممارسة انتقام اجتماعي على الصعيد العالمي. والدول الامبريالية تسعى الى تنسيق استراتيجيتها الاقتصادية والسياسية والايديولوجية وتحاول اقامة جبهة موحدة لمحاربة الاشتراكية وجميع الحركات الثورية والتحررية. فالامبريالية تأبى التسليم بالواقع السياسي للعالم المعاصر. فهي اذ تتجاهل ارادة الشعوب المستقلة تسعى الى حرمانها من حقها في اختيار طريق تطورها المستقل وتهدد امنها. وفي ذلك يكمن السبب الرئيسي في نشوب النزاعات في شتى بقاع العالم.

وحصن الرجعية الدولية هي الامبريالية الامريكية. فهي بالضبط مصدر خطر الحرب بالدرجة الاولى. وهي اذ تطمع في الهيمنة العالمية تعلن اعتباطا قارات كاملة مناطق "لمصالحها الحيوية". وان سياسة الاكراه وفرض العلاقات المجحفة على الدول الاخرى ودعم انظمة القمع المعادية للشعب وممارسة التمييز ازاء البلدان التي لا ترضى عن سياستها الولايات المتحدة تؤثر على العلاقات

Digitized by Birzeit University Library

الاقتصادية والسياسية بين الدول وتعيق تطورها الطبيعي. فالحرب الدموية ضد فيتنام والسنوات الطوال من الحصار الذى فرض على كوبا وانتهاك حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة والتدخل في لبنان واحتلال غرينادا العزلاء بقوة السلاح والاعمال العدوانية ضد نيكاراغوا، كل ذلك ليس سوى عدد قليل من الجرائم العديدة التي ستبقى ،الى الابد، واحدة من ابشع صفحات تاريخ الامبريالية.

ومن ابشع جرائم الامبريالية بحق الشعوب سباق التسلح النووى وغير النووى الذى اجتهه هذه الامبريالية على نحو منقطع النظير .فهو يعود على الاحتكارات بارباح اسطورية. في حين يبتلع نفقات عسكرية طائلة تشكل عبئا ثقيلا على عاتق الشغيلة. ان الاحتكارات المنتجة للاسلحة والجنرالات والبيروقراطية الحكومية والجهاز الايديولوجي والعلم الذى وضع في خدمة الحرب، بات كل ذلك بعد ان تلاحم في اطار المجمع الصناعي ـ الحربي، من اشد منفذى ومنظمي سياسة المغامرات والعدوان اخلاصا. فالحلف المشؤوم بين منتجي وسائل الابادة الجماعية والدولة الامبريالية هو ركيزة للرجعية المتطرفة ومصدر دائم ومتعاظم للخطر الحربي وتاكيد قاطع على عقم النظام الرأسمالي سياسيا واجتماعيا وخلقيا .

فليس بوسع اية "تجديدات" ومناورات تقوم بها الرأسمالية الراهنة ان تلغي قوانين التطور ولا يمكنها تفادى التناحر الحاد بين العمل والرأسمال بين الاحتكارات والمجتمع وانتشال النظام الرأسمالي المحكوم تاريخيا من الأزمة المستشرية .ان الوسائل التي تستعملها الرأسمالية بهدف تعزيز مواقعها تؤدى الى احتدام جميع تناقضاتها العميقة فالامبريالية هي رأسمالية متعفنة محتضرة عشية الثورة الاشتراكيـــة .

الطبقـة العاملـــــة

لقد كانت الطبقة العاملة وستبقى الطبقة الثورية الاساسية في عصرنا. وهي في عالم الرأسمالية القوة الرئيسية المناضلة من اجل الاطاحة بنظام الاستغلال وبناء المجتمع الجديـــد .

وتثبت الحياة صحة المقولة الماركسية ـ اللينينية حول دور الطبقة العاملة في المجتمع. ان الاستخدام المتنامي للعلم في الانتاج يرفد صفوف هذه الطبقة بممثلي العمل الذهني. وفي مجرى المعارك الطبقية تنمو الطبقة العاملة وتشكل احزابها السياسية ومنظماتها النقابية وغيرها من المنظمات .وتشن نضالا اقتصاديا وسياسيا وفكريا ضد الرأسمالية . وتتسع ابعاد هذا النضال وتصبح اشكاله اكثر تنوعا ويغتني مضمونه . ان المصالح الجذريـة للبروليتاريا تجعل من قضية وحدة الحركة العمالية وتضامن جميع فصائلها ضرورة ملحة اكثر فاكثـــر .

وليست سهلة تلك المهام المطروحة امام الطبقة العاملة الفتية والمتنامية بسرعة في بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. فيقف في وجه هذه الطبقة ،الرأسمال الاجنبي بالاضافة الى المستغلين المحليين. وفي هذا الصراع يزداد نضوجها السياسي ويتحسن تنظيمهـــا .

ان طليعة الحركة العمالية وكل قوى

Digitized by Birzeit University Library

العملية الثورية العالمية هي الحركة الشيوعية العالمية. ويناضل الشيوعيون من اجل الاهداف القريبة او البعيدة للطبقة العاملة وفي سبيل مصالح جميع الشغيلة ومن اجل التقدم الاجتماعي والسلام ونزع السلاح والامن العالمي. والحركة الشيوعية العالمية تنشط باعتبارها اكثر القوى الفكرية والسياسية تأثيرا في عصرنـــا .

وأحزاب الطبقة العاملة الثورية، التي تهتدي بنظرية التطور الاجتماعي العلمية، نظرية الماركسية ـ اللينينية ، تنهج سياسة طبقية مبدئية. وان ما يميز هذه الاحزاب هو ايمانها بالحتمية التاريخية لاحلال الاشتراكية محل الرأسمالية وفهمها الواضح للقوانين الموضوعية للثورة الاشتراكية مهما تكن سبل تحقيقها ـ سلمية او غير سلمية ـ وحسن استخدامها لمبادئ النضال من اجل الاشتراكية وفقا للظروف الموضوعية لكل بلد .

وتكمن قوة الاحزاب الثورية في انها تدافع بصلابة عن حقوق وتطلعات الكادحين الحيوية وترشد الى سبل خروج المجتمع من الازمة ووضع البديل الواقعي لنظام الاستغلال وتعطي الاجوبة المفعمة بالتفاؤل الاجتماعي عن اسئلة العصر الجذرية وهذه الاحزاب ـ هي المعبر الصادق والمدافع الاكثر صلابة عن المصالح القومية لبلدانها .

ان النهج الطبقي الثابت يرفع هيبة الاحزاب الشيوعية رغم ان جهاز الامبريالية السياسي ـ الايديولوجي يعمل بقدر اكبر جامعا بين سياسة التمييز ازاء الشيوعيين وملاحقتهم والدعاية السافرة المعادية للشيوعية وبين دعم تلك العناصر في الحركة العمالية والتي تقف ضد السياسة الطبقية والتضامن الاممي وتدعو الى المصالحة الاجتماعية والشركة مع البرجوازية. والبرجوازية الاحتكارية والقوى الرجعية تهاجم الشيوعيين بهذا القدر من العنف لانهم يمثلون حركة لها جذور عميقة في التطور الاجتماعي حركة تعبر عن مصالح الجماهير الشعبية الاكثر حيوية .

ان سمة عصرنا المميزة هي نهوض الحركات الديموقراطية الجماهيرية في العالم غير الاشتراكي. ويتعمق في البلدان الرأسمالية التناحر بين الاحتكارات والغالبية الساحقة من السكان . وفي النضال ضد تعسف الاحتكارات والسياسة الرجعية للطبقات الحاكمة وينخرط انشط فأنشط المثقفون والموظفون والمزارعون وممثلو البرجوازية الصغيرة في المدن والاقليات القومية والشبيبة والطلبة. ويطالب الناس من مختلف الاتجاهات السياسية بوضع حد لعسكرة المجتمع ولسياسة العدوان والحرب والقضاء على التفرقة العنصرية والقومية وانتقاص حقوق النساء ووضع حد لتدهور وضع الجيل الفتي وللفساد ولموقف الاحتكارات الجشع من استهلاك الموارد الطبيعية ومن البيئة. ان هذه الحركات الموجهة موضوعيا ضد سياسة الاوساط الرجعية للامبريالية تصب في المجرى العام للنضال من اجل التقدم الاجتماعي.

والنضال المعادى للامبريالية الذى تخوضه البلدان المتحررة من النير الاستعمارى في سبيل تعزيز استقلالها ومن اجل التقدم الاجتماعي يعتبر جزءا مكونا من العملية الثورية العالمية. لقد غدا انهيار نظام الامبريالية الاستعمارى وقيام عشرات الدول المستقلة على انقاضه مكسبا تاريخيا لثورات التحرر الوطني الذى اثر تأثيرا جوهريا في ميزان القوى

Digitized by Birzeit University Library

العالمي .

وخلال اعوام الاستقلال احرز العديد من هذه الدول نجاحات ملموسة في البناء الاقتصادى والثقافي وفي تعزيز سيادتها الوطنية. وصيغت اشكال جماعية لنضال هذه البلدان من اجل حقوقها على الصعيد الدولي ولكن التجربة قد اظهرت ان طريقهـا نحـو تعزيزالاستقلال السياسي والانبعاث الاقتصادى والاجتماعي تعقده كثيرا تركة الماضي الاستعمارى وشبه الاستعمارى وممارسات الامبريالية .

واذ تنهج الامبريالية سياسة الاستعمار الجديد تسعى الى اجهاض السيادة التي حصلت عليها الدول الفتية والاحتفاظ باشرافها على هذه الدول بل وحتى تعزيزه . وهي تجهد في جرها الى فلك العسكرة واستخدامها جسورا لاستراتيجيتها العدوانية الشاملة. وبغية تحقيق هذه الاهداف يلجأ الامبرياليون الى استخدام وسائل الضغط العسكرى والاملاء الاقتصادى ويدعمون الرجعية الداخلية. وتضطر حتى تلك البلدان التي حصلت على استقلالها السياسي، منذ امد بعيد، كدول امريكا اللاتينية الى خوض نضال مرير ضد هيمنة احتكارات الولايات المتحدة الامريكية وبقية الدول الامبريالية .

وتزداد مقاومة شعوب هذه البلدان لاعمال الامبرياليين . وتواصل هذه الشعوب نضالها العنيد والعادل ضد الاستعمار الجديد وضد التدخل في شؤونها الداخلية وضد العنصرية والابرتهايد . وتندمج هذه المقاومة موضوعيا بالنضال العام المعادى للامبريالية الذى تخوضه الشعوب من اجل الحرية والسلام والتقدم الاجتماعي .

ان طريق التطور اللارأسمالي طريق التوجه نحو الاشتراكية الذى اختاره عدد من البلدان المتحررة، يفتح افاقا رحبة للتقدم الاجتماعي. وتؤكد تجربة هذه البلدان انه في الظروف المعاصرة وفي ظل ميزان القوى الحالي في العالم اتسعت الفرص امام الشعوب المستعبدة سابقا لرفض الرأسمالية وبناء مستقبلها بدون مستغلين ولمصلحة الشغيلة. ان ذلك ظاهرة ذات مغزى تاريخي كبيـر .

واذ تقضي الاحزاب الديموقراطية الثورية الحاكمة على مقاومة الرجعية الداخلية والخارجية فانها تتخذ نهجا يستهدف القضاء على سيطرةالاحتكارات الامبريالية واعيان القبائل المستبدين والاقطاعيين والبرجوازية الرجعية والى تعزيز قطاع الدولة في الاقتصاد وتشجيع الحركة التعاونية في الريف وزيادة دور جماهير الشغيلة في الحياة الاقتصادية والسياسية. وبغية الذود عن استقلالها من ضغط الامبرياليين، توسع هذه البلدان تعاونها مع الدول الاشتراكية. ويستجيب الطريق الذى اختارته للمصالح الحقيقية وطموحات الجماهير الشعبية يعكس تطلعها نحو النظام الاجتماعي العادل ويتماشى مع الاتجاه العام لتطور البشرية .

قضيـــة الحـــرب والســـلام

ان الحـ القضايا الشاخصة الان امام البشرية هي قضية الحرب والسلام. والامبريالية هي المسؤولة عن نشوب حربين عالميتين كان حصادهما عشرات الملايين من ارواح البشر . وهي تهدده الان بحرب عالمية ثالثة. وتضع الامبريالية منجزات

Digitized by Birzeit University Library

عبقرية الفكر البشرى في خدمة صنع الاسلحة ذات القوة التدميرية الفظيعة .

وان سياسة الاوساط الامبريالية المستعدة للتضحية بمصائر شعوب بأكملها تزيد من خطر امكانية استخدام هذه الاسلحة. وهذا مشحون ،في نهاية الامر، بمخاطر نزاع حربي عالمي لن يكون فيه منتصر او خاسر وقد يؤدى الى هلاك الحضارة البشرية .

واصبحت قضية ماهية اغراض استخدام ثمار الثورة العلمية ـ التقنية احدى اهم قضايا النضال الاجتماعي ـ السياسي المعاصر . ويتيح العلم والتقنية في عصرنا امكانية ضمان وفرة من الخيرات على ارضنا واقامة الظروف المادية لازدهار المجتمع ولتطور الفرد تطورا شاملا. ولكن ابداعات عقل ويد الانسان هذه تتحول ضد الانسان ذاته وذلك بفعل الانانية الطبقية واغتناء الطغم الحاكمة في العالم الرأسمالي. هذا هو التناقض الصارخ الثقيل الذى ينوء به كاهل البشرية عشية القرن الحادى والعشريـــن .

ان العلم او التقنية بحد ذاتهما لا يشكلان اى تهديد للسلام فهذا التهديد مصدره الامبريالية وسياستها ـ سياسة القوى الاكثر رجعية وعسكرة وعدوانية في العصر الراهن والتخلص من هذا التهديد لا يمكن الا عن طريق لجم هذه القـــوى .

في عالمنا المشحون بالتناقضات الحادة وفي وجه الكارثة المحدقة هناك مخرج صائب وملائم وحيد ـ التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المتباينة. وهو ليس مجرد غياب الحروب. انه ذلك النظام الدولي الذى تسود فيه لا القوة العسكرية وانما حسن الجوار والتعاون ويجرى فيه التبادل الواسع لمنجزات العلم والتقنية الثقافية لخير جميع الشعوب .

والتخلص من هدر الموارد الضخمة على الاغراض العسكرية من شأنه لو تحقق ان يتيح توجيه ثمار العمل نحو اهداف الابداع حصرا وان يجعل الدول السائرة على درب التطور المستقل في حمى من التطاولات الخارجية الامر الذى يسهل تقدمها على طريق النهضة الوطنية وان يفتح امكانيات ملائمة ايضا لحل المعضلات العالمية الماثلة امام البشرية بالجهود المشتركة للدول كافة. والتعايش السلمي يستجيب لمصالح جميع البلدان وكافة الشعـــوب .

ان البشرية لم تعرف من قبل مثل هذا الخطر المحدق بها . كما لم تكن هناك في السابق مثل هذه الامكانات الواقعية للحفاظ على السلام وتعزيزه . واذا ما وجدت الشعوب جهودها فانها تستطيع ويجب عليها تفادى خطر الفناء النووى .

ان القدرة الكامنة المتنامية لقوى السلام تقف في وجه سياسة الامبريالية العدوانية. وتتمثل هذه القدرة في السياسة النشيطة والمحبة للسلام التي تنتهجها الدول الاشتراكية بثبات وجبروتها الاقتصادى والدفاعي المتنامي. كما تتمثل في سياسة الغالبية العظمى من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التي لها مصلحة حيوية في الحفاظ على السلام ووقف سباق التسلح. وتتمثل اخيرا في الحركات المعادية للحرب التي وحدت جماهير شعبية عريضة في مختلف القارات والتي غدت عاملا مؤثرا في الحياة الاجتماعية طويل الامد . والتقدير السليم لميزان القوى الفعلي يقود العديد من

Digitized by Birzeit University Library

الشخصيات الحكومية والسياسية في الدول الرأسمالية الى فهم خطورة استمرار وتوسيع سباق التسلح .

ان الحزب الشيوعي السوفييتي ينطلق من ان الخطر على السلام الذى تشكله سياسة الاوساط العدوانية للامبريالية مهما يكن كبيرا فان الحرب العالمية ليست قدرا محتوما . وبالامكان تفادى الحرب وانقاذ البشرية من الكارثة وفي ذلك تكمن الرسالة التاريخية للاشتراكية ولجميع القوى التقدمية والمحبة للسلام على كوكبنـــا .

يتبع

عزيزنا المشترك ..

حرصًا منا على التأكد من استلامك لنسختك ، وحرصًا منا على الأخذ برأيك في كل ما يتعلق بمجلة " الكاتب " شكلاً ومضمونًا ، نتوجه اليك للاتصال بنا كتابة ، أو هاتفيًا ، للاطلاع على رأيك واقتراحاتك لتطوير المجلة ، وإعلامنا عن كل تأخير في استلامك لنسختك ، أو أي ملاحظات أخرى .

مع تقديرنا ومحبتنا ؟

« الكاتب »

Digitized by Birzeit University Library

حنون أسامة يخفيه الضباب

بقلم : ابراهيم جوهر

فور الانتهاء من قراءة "الحنون الجبلي" ـ قصة اسامة محيسن العيسة ـ يسأل القارئ نفسه اسئلة لا يجد اجابات شافية لها في احداث القصة ولا في شخصياتها. فماذا يريد الكاتب ان يقول، ان يوصل ويعبر ؟ ثم ما دور الشخصيتين المركزيتين (الراوى وحياة) في تحريك احداث القصة وتطويرها ؟.

أسامة، كاتب يتسرع في دفع انتاجه الى المطبعة وكأنه يريد التخلص منه بسرعة دون ان يطمئن الى المستوى الذى وضع نتاجه فيه. وهذا احد عيوبه الاساسية في بعض قصصه التي ضمتها مجموعته الاولى (ما زلنا نحن الفقراء اقدر الناس على العشق).

وأرى في كتابة اسامة بشكل، عام، انه تجاوز البداية ويتجه ـ كما تظهر قصته الحنون الجبلي ـ الى توسيع دائرة الضوء التي تتحرك فيها شخصياته. فلم تعد هذه الدائرة ضيقة كما نراه يسوق الاحداث ـ وهي غالبا ما تتم في الماضي القريب او البعيد ـ ويحشدها دون الالتفات الى ضرورة خدمتها لمحور القصة وهدفها النهائي، بل نراه احيانا كثيرة وكأنه يعمد الى تسجيلها لمجرد التسجيل او الاثبات التاريخي، فيحقق بذلك جزءا من هدف عام.

يتسع مسرح الاحداث التي سيقت على طريقة تيار الوعي، ولكن الممثلين الذين يعتلون خشبة اسامة المسرحية يظهرون كأشباح غير واضحة المعالم سوى شيء بسيط في شخصية ابي وضاح الذى يمثل العيش على ذكريات ماض تولى ويركن الى مقولة " ما بضيع حق وراه مطالب" التحذيرية رغم تفاؤلها المستقبلي البعيد.

ورغم تعاطف الكاتب مع هذه الشخصية وافراده مساحة ليست قليلة للحديث عنها، الا انه يموت بعيدا عن تراب الوطن ـ في المنفى ـ وكأنه يحكم على هذه المقولة السالفة الذكر بالموت دون تحققها، ولكن دون وضع بديل عملي ثورى لها. وربما كان ذلك بسبب من عدم التفات الكاتب الى رمز الموت

Digitized by Birzeit University Library

الذى ساقه ضد شخصيته هذه .

ان الشخصيتين المركزيتين في القصة (الراوى وعياة) لا يقومان بدورهما الثورى كبديل لمقولة ابي وضاح، بل نراهما ينخرطان في المجتمع بواقعه المؤلم الذى كانا قد رفضاه سابقا . اذ تنتهي القصة وهي تصف سير الحياة الذى اجبرهما على قبول العمل داخل اسرائيل، لان الفقر لا يرحم والفقر في الوطن غربة ـ كما تقول القصة .

تعالج القصة، بل تطرح دون معالجة، موضوعات شتى دون ابداء الكاتب لوجهة نظره في حلها، سوى نهاية القصة اذا اعتبرنا التوجه الى العمل حلا للفقر. فهي مجموعة استعراضات لمجموعة من مشكلات الواقع ، لا يتعمق الكاتب اثر اى منها في اى من شخصياته ،مع ان الفرصة كانت مواتية لذلك، ولكنه كان يتسرع في الانتقال الى مشكلة اخرى غير تلك التي كان بدأها .

ثم ان الكاتب ايضا لم يرسم خطة واضحة تسير فيها شخصياته مما دفعنا للاشفاق عليها وهي تتخبط وسط عالم من الضياع والفقر والغربة ، حتى كانت هي نفسها غريبة عنا ولم نشعر بتعاطف قوى مع اى منها لانها مموهة المعالم ـ كما سبق قوله ـ ولم يوضح الكاتب دورها لها نفسها فبدت كممثلين في مسرحية لا يحفظون دورهم فيهاجيدا .

اسلوب القصة (تقنيتها) :

استفاد اسامة، بل تأثر الى حد كبير، باسلوب سميح القاسم في حكايته " الى الجحيم ايها الليلك" وبأسلوب سلمان ناطور في حكاياته المستمرة عن الشيخ مشقق الوجه.

ولكنه اثبت لنفسه قدرته على التعامل مع الكلمة المؤثرة والمعبرة عن الموقف احيانا باستعماله لبعض المصطلحات والتعبيرات الشعبية وان كانت بالعامية لقربها من ثقافة الشخصية .

لم يتبع اسامة الطريقة المألوفة في توتير الحدث ليصل الى الذروة ـ العقدة ـ ثم يبدأ بالحل ، انما انطلق من مجموعة لقطات ـ سواء كانت في الماضي ام في الواقع سياسيا واجتماعيا ـ ليصل بالتالي الى نهاية مفتوحة ، نستطيع ان نجد له مبررا فيها، لان نهاية موضوعه الاساسي غير متحققة على ارض الواقع من جهة، ومن الجهة الثانية فانه اشار الى استمرار الوضع الذى وصفه والى انخراط بطليه فيه دون رغبة حقيقية منهما، وكأنه يقول : هذا واقعنا الحالي نحياه دون ارادة منا. ولكن يؤخذ على شخصياته السلبية في الموقف ، وان كان قال ما قاله غسان كنفاني في قصة "عائد الى حيفا" ـ الانسان قضية ، فيجب ان نكون قضية ـ على لسان شخصية الراوى .

ان العالم الذى يرسمه اسامة، ينقصه مزيد من الوضوح والتحديد فهو يعكس الواقع ولا يتمثله كما يجب ، فرغم وضوح الافكار في ذهنه الا انه لم يوفق في نقلها الى ارض عالم قصته فبدت مسطحة سريعة متلاحقة، كما هي تطورات حياتنا. لذلك فالقاص هنا عاكس غير متمثل للواقع بمفاصله وغير مستشرف لغده .

بدأ اسامة قصته بالحب وانهاها بالغربة. الحب للذكريات المشتركة والطفولة وحب الناس رغم الواقع المر وحب المخيم وناسه وعلاقاته. والغربة الكافرة في الوطن. فسيف

Digitized by Birzeit University Library

الطبقية مسلط على رؤوس الفقراء الكادحين الذين يحسون بمصاب بعضهم البعض. اذ لم يبك ابا وضاح سوى الحلاق الارمني وزوجته ام وضاح والراوى وحياة ولكن " لم يأبه كثيرون ". فالناس منصرفون عن الذكريات الجميلة وأماني العودة التي ماتت بفعل تسلسل احداث الواقع وتتابعها في غير صالح تلك الاماني. انهم منخرطون في هذا الواقع الغريـــب .

" الحنون الجبلي" هو العنوان الذى اختاره الكاتب لقصته على طريقة اختيار يحيي يخلف لعنوان قصته " تفاح المجانين". والحنون الذى ينبت في بطن الجبل المقابل للمخيم يمثل الاولاد في داخل المخيم ــ كما شبه الكاتب نفسه ــ فالحنون يرمز الى البراءة والطفولة والجمال وأيضا الى المستقبل، وكذا هم الاطفال الذين يشقون طريقهم الوعرة في بطن الجبل ذى الصخور الصلدة .

وبعد، ما اجابة السؤالين اللذين بدأت بطرحهما مع القارئ لقصة" الحنون الجبلي"؟ ان الشخصيتين الاساسيتين (الراوى وحياة) يعرضان لنا من بين مجموع الشخصيات الاخرى ولكنهما يضيعان في زحمة الاحداث لانهما لا يشاركان في صنعها او تغيير مسارها ،كما اتت لقطات علاقتهما الخاصة عراضة دون اى خدمة للحدث .

ورغم انهما الشخصيتان الوحيدتان اللتان يستطيع القارئ ان يتتبع خطواتهما الا انهما لم يمتلكا اى خطوات خاصة بهما، فهما لا يسيران على ارض صلبة واضحة المعالم لان طريقهما غير واضح المسالك وهنا استطيع ان اقول ان عدم الوضوح والتحديد والسماح بانفلاش الموضوع والتوسع في طرق زواياه كان وراء عدم القدرة على تحديد هدف عام واضح من وراء كتابة هذه القصة التي اسجل لكاتبها القدرة على تخطيط مشروع عام لقصة طويلة او حتى رواية ناجحة. وسينجح حتما، اذا عاد الى مسرحه وشخصياته وخلق عالما قصصيا فنيا بمزيد من التأني والروية .

واخيرا ، ان ضباب التسرع وعدم التحديد قد اضاع لون " الحنون الجبلي " ــ القصة ــ وأخفى جمالها، كما تغطي سحابات الغبار المنتشرة من كسارات الدهيشة حنون جبلهـــا !.

Digitized by Birzeit University Library

في الذكرى التسعين
لميلاد الشاعر الروسي العظيم

سيرغي يسينين

ترجمة : محمد العراقي ـ عن الروسية

اسم الشاعر الروسي سيرغي يسينين معروف في جميع انحاء العالم. ولد سرغي يسينين في ٣ اكتوبر ١٨٩٥ في قرية قسطنتينا والتي حاليا تحمل اسم الشاعر تكريما لابداعه ـ قصائد سيرغي يسينين تفوح بحب الوطن والطبيعة الروسية الخلابة ـ

طريقه الابداعي كان مليئا بالصعوبات والمتناقضات . منذ الصغر تبنى رعايته جده الذى علمه القواعد والاغاني القديمة الفلكلورية والشعبية والنكات الروسية " في طفولتي رضعت وتنفست العلاقات الحياتية الشعبية" من ذاكرة الشاعر .

بعد انهاء المدرسة الزراعية التحق يسينين في مدرسة اعداد المعلمين وفي هذه المدرسة بالذات تحددت اهتمامات يسينن نحو الادب والثقافة الروسية .

قصائد يسينين التي كتبها في مدينة سباس ـ كليبكي اغلبها خرجت للضوء في ديوانه الاول .

في عام ١٩١٢ عاد الشاعر سيرغي يسينين الى مدينة موسكو حيث والده يعمل هناك. وفي موسكو تبدأ حياة الشاعر بالمساهمة في الحلقات الادبية والموسيقية وينتمي الى معسكر الثقافة الروسية الديموقراطية .

وفي موسكو ولاول مرة تشكل لدى شاعرنا اهتمامات جديدة فيساهم مساهمة فعلية في الحركة الثورية ويقرأ قصائده امام تجمعات العمال .

الى هذا الوقت نشر الشاعر في صحف موسكو الكثير وارسل مساهمات جديدة الى بتربورغ. بعد ذلك في ربيع ١٩١٥ غادر شاعرنا موسكو الى بتربورغ. في بتربورغ يحدث اللقاء الاهم بين شاعرنا سيرغي يسينين والشاعر بلوك. حيث يقوم بلوك بمساعدة الشاعرالشاب يسينن انذاك في الاستقرار في بتربورغ وتكوين علاقات في الاوساط الثقافية في العاصمة. وعندما قرأ

Digitized by Birzeit University Library

يسنين قصائده، كتب بلوك في مذكراته اليومية :"قصائد حية، نقية تمتلك صوتها". وقد كتب بلوك مرة في المجلة الادبية في مجال تثمين الشاعر يسنين :" امامكم يمتثل الشاعر المبدع يسنين ".

بفرح عميق وحرارة استقبل يسنين ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى جنبا الى جنب مع ما يكوفسكي وبلوك وبريوسوفستال. وقد ساهم شاعرنا في النصب التذكاري الذي اقيم في الكرملين تخليدا لشهداء الحرية الذين سقطوا في سوح النضال .

ناموا بأطمئنـــان
احبائي اخواتـــي
لاقوة في الكون تستطيع قهرنا
من جديـد ارضنـا الام
تتحـرك تحت جـدران الكرملين

وفي عام ١٩٢٢ غادر شاعرنا الوطن لكن ذلك لم يدم طويلا حيث سرعان ما عاد الى الوطن عام ١٩٢٣.

موت الشاعر كان محزنا ومفجعا حيث توفي منتحرا ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥.

وفي الختام عزيزي القارئ لاريد ان احتكم الى اقوال الادباء والنقاد والتي تشيد بأبداع شاعرنا العظيم سرغي يسنن وانما اضع امامكم رائعة من روائع يسنين.وهي قصيدة " "الازهار" والتي يتحدث فيها عن ثورة اكتوبر العظمى .

ـ الازهـــار ـ

"١"

الازهـار ودعتنـــي
قائلـة
لا تحـــن راسك للريـــح
انـت بعـد هـذا لن تـرى الاحبـة
حقـل الازهـار .. الوطـن الام

xxxxx

احبائـــي ! مـا العمـــل ؟ مـا العمل؟
انـا شاهدتكـم الارض شاهدتهـــا
ارتجافـــة اللحـــــد
وتقبلـت كـل ذلك ببساطـــه

"٢"

أخ زهـــرة الجـرس!
هـذا وهجـــك ،
الذي ايقظ في اعماقي اغنيـــة
"زهـرة العنبـــر
عيونهـــا تتطلـع الى المدى "

xxxxxx

اتوسـل اليك ان لا تغنـي .. لا تغني لـي
بدون غنـاء والنـار تضطرم في اعماقي
الحب يأتي مثـل القوافـي
الحـب لا يتجـــزأ

"٣"

أزهـاري المفضلـــة
ليـس كل واحـــد
يستطيـع معرفـــة
اسرار ارتجـاف قلبـــي
وليـس كـل نـــار
تستطيع تدفئة هذا القلـب

xxxxx

ليـس كـل من يمد يـده للاخريـن
يستطيع تحديـد المصير المبهـم

Digitized by Birzeit University Library

انا مثل عجوز تجلس على حافة الموقد
احلق واقبل وهج النيران

"٤"

انا لا احب الازهار ذوات السيقان
الازهار ذوات السيقان لا اسميها ازهارا
حتى ولو باغتني فمي وحاول تقبيلها
فمعها بصعوبة اجد لغة مشتركة

xxxxx

أحبّ الازهار إليّ
تلك التي تتشبث جذورها في الارض
احبها واتقبلها
الازهار الشمالية العابقة برائحة العنبر

"٥"

حبيبتي ... معذرة ... معذرة
لم أخرج على ما اتفقنا عليه
فا لاحاسيس التي نتبادلها في الطرقات
بالنسبة لي لا تتكرر

xxxx

انت لا تتكرري انا لا اتكرر
تموت يحل محلنا الاخرون
لكن هم هم ونحن نحن
لانني ليس لك وأنت لست لي

"٦"

الازهار وعدتني
قاتلة
لا تحن رأسك للريح
انت بعد هذا لا ترى الاحبة
حقل الورد .. الوطن الام

xxxx

احبائي ! ما العمل ؟ ما العمل؟
انا شاهدتكم
الارض شاهدتها
ارتجافة اللحد
وتقبلت كل ذلك ببساطة
الناس عجبا ليسوا ازهارا
عزيزتي تحسسي
هذه ليست مجرد كلمات فارغة
قامتك الهفهافة مثل عود الورد

xxxxx

عجبا هذا رأس
وليس زهرة ذهبية
الازهار والناس في الشمس والظل
تتقن الحركة والمشي

"٨"

انا شاهدت كيف تسير الازهار
وقلبي منذ تلك اللحظة نبض بالطيب
عندما عرف ان في العالم
ثورة أنطلقت في اكتوبر

xxxxx

الازهار قاتلت جنبا الى جنب
الازهار الحمراء كانت في المقدمة دائما
تساقط منها الكثير في العواصف الثلجية القاسية
لكنها ....
قاتلت قتال الابطال
اكتوبر ! يا اكتوبر !
يؤسفني ويحزنني
ان ارى الازهار الحمراء تتساقط
اعناق القداح يقطفها الفولاذ
لكن كل هذا لا يخيفني

xxxxx

Digitized by Birzeit University Library

الازهار التي تسير على الارض
اصبحن اقوى عزما
يطلقن المراكب
ويشيدن العمائر

"١٠"

لا ننني افهم العالم

فالعالم بالنسبة لي ليس رهينة
ان نرى جمال الطبيعة في مقاطع الشعر
وكل شيء حولنا يتكرر

xxxx

لا ننني اغني
اغني وكل هذا ليس عبثا
فرأسي الغالي
اقدمه لكم كزهرة ذهبية .

Digitized by Birzeit University Library

ايفان سكالا

الصداقة

ساغدو لك صديقا مرا
هذى يدى
ساغدو لك صديقا مرا
فهل تحتاج الى خبز؟ هل تبرد ؟
سأعطيك خبزا ، اصيد لك سمكا ، واوقد في المدفأة
سأحضر مؤونة الحطب لكل الشتاء
وسأذيقك الجوع والامل
وسأغدو لك صديقا مرا
هل يعوزك غراب عاذل فوق الطنف
هل تحتاج الى بلبل ؟
سأكون لك الغراب والبلبل
سأغدو لك صديقا مرا
وسأعطيك خبزا واصيد لك سمكا
واذا احتجت اخرجتك مخاطرا بحياتي
من بيت الوفرة الفاسد
لانقذ قلبك الطيب
سأغدو لك صديقا مرا
ولئن صعدت القمة
سأشد الى رجلك اثقل ثقل
وارى فيك خطايا لم يرها سواى
وسأقتلع من قلبك ما لاقيت من تكريم ومدائح
لكي تشعر انك مبتدىء دوما
وتحس بأنك ابدا امام عمل جلل لما يتم
سأغدو لك صديقا مرا
ولئن شدتك الاثقال الى الارض
خففت عنك سرا
لكي اسخر منك علانية
لشدة ضعفك
سأغدو لك صديقا مرا
واذا ما كنت وحيدا
اجيء اجيئك بخصلات من التبغ
واسندك بكلمة طيبة
وسأغدو لك صديقا مرا

ترجمة : الدكتور ميشال سليمان

* عن مجلة بانوراما الادب التشيكي، مجلة اتحاد الكتاب التشيكيين .

Digitized by Birzeit University Library

إيفان سكالا

شاعر وفنان وطنى منح مرتين وسام كلمنت غوتوالد .
ولد فى السادس من تشرين الأول/اكتوبر عام ١٩٢٢ فى مدينة براندبس ناد لابم . وعقب انهائه الدراسة فى الثانوية التجارية فى براغ رحل الى المانيا للعمل الاجبارى فيها . وبعد الحرب فى عام ١٩٤٥ بدأ الدراسة فى كلية العلوم السياسية والاجتماعية . الى جانب الابداع في الشعر، كرس نشاطه ، خلال سنوات عديدة ، للعمل كمحرر للصفحة الثقافية فى صحيفة رودى برافو . وشغل منصب السكرتير الاول لاتحاد الكتاب التشيكوسلوفاك فى السنوات ١٩٥٦ — ١٩٦٤ . ويشغل الان منصب رئيس إتحاد الكتاب التشيكيين.
دخل ايفان سكالا الحياة الأدبية عام ١٩٤٦ بمجموعة مختارات شعرية من سنوات الحرب بعنوان حجر الزناد .
وهو أحد الشعراء ، الذين اعتبروا كل من جعل الشعر تسلية ، غريباً عنهم .
ومنذ البداية كانت الظروف السياسية للعالم الراهن متلاحمة بحياته وحياة جيله .
وصدرت له المجموعة الشعرية الثانية عام ١٩٤٨ بعنوان عبر العتبة وتلتها مجموعات ربيع الأرض (١٩٥٠) ، الجبهة فى كل مكان (١٩٥١) ، ومهما يحدث . . . (١٩٥٧) ، قطار الأمل الصباحى (١٩٥٨) ، احييك ايها الشبابيك (١٩٦٢) ، التقويم اللازوردى (١٩٦٣) ، والرسول الماشى (١٩٦٨) ، ثم المجموعة شجرة واربع قصائد عن الموت (١٩٦٩) .
وتعتبر مجموعته الشعرية ما آخذه للطريق (١٩٧٥) ذروة جهوده فى بلوغ الشعر الحديث . وصدرت للشاعر فيما بعد « ملحمة العطش » (١٩٧٥) ، ثم مجموعته الشعرية وتسرع النار .
والشاعر مؤلف للعديد من المقالات فى النقد الادبى والتراجم الشعرية . وصدرت له مجاميع باللغتين الروسية والاوكرانية .

Digitized by Birzeit University Library

مفردات الاشتراكية العلمية

الحركة الشيوعية العالمية :

ان الحركة الشيوعية العالمية هي الطليعة الثورية للطبقة العاملة العالمية. واليوم ،فان هناك احزابا شيوعية في ٩٥ بلدا ومجموع العضوية فيها جميعا (٨٠) مليون عضو .

ان الاحزاب الشيوعية والعمالية في بلدان المنظومة الاشتراكية هي اكبر واكثر عامل مؤثر في الحركة . وتحت قيادتها ، فان هذه البلدان قد حققت تقدما هاما في تطورها الاقتصادي والعلمي والثقافي وفي تحسين الرفاهية العامة. كما ان انجازاتها تخدم لدعم قوة الحركة الشيوعية ككل .

في السنوات الاخيرة تزايدت ايضا القوة العددية كما ازداد تأثير الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية والنامية. ففي اوروبا الغربية، ازداد عدد الشيوعيين من (٣ر٢) مليون الى (٣) مليون في السبعينات .

اما في البلدان غير الاشتراكية في كل من آسيا واستراليا واوقيانوسيا فقد ازداد العدد من ٦٣٠ر٠٠٠ الى ١ر٣ مليون عضو، وفي افريقيا ازداد العدد من ٢٠ر٠٠٠ الى ٧٠ر٠٠٠ عضو ،وفي شمال وجنوب امريكا ازداد العدد من ٤٠٠ر٠٠٠ الى ٤٩٠ر٠٠٠ عضو . كما ان عددا متزايدا من الاحزاب والحركات الديموقراطية ـ الثورية في البلدان الاسيوية والافريقية يتخذ مواقف الاشتراكية العلمية والتي تشكل الاساس الايديولوجي للحركة الشيوعية .

يشكل كل حزب شيوعي خطة السياسي بشكل مستقل مهتديا بالظروف المحددة لنضاله. ومع ذلك ،فان وحدة وانسجام الحركة الشيوعية العالمية في النضال ضد العدو المشترك ـ الامبريالية والرجعية ـ هي العامل الاكثر اهمية في تدعيم قوتها وفعاليتها ويعمل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي

والاحزاب الشقيقة بثبات لتقوية وحدة الحركة وتضامنها على اسس الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية .

ولقد دأب رد الفعل الامبريالي في السعي ، بكل ما هو ثمين، لبذر بذور الشقاق داخل الحركة ولاضعاف تأثيرها. وبذلت جهود لوصف الاممية على انها موضة قديمة ولى عهدها . ولقد فندت معظم الاحزاب الشيوعية والعالمية هذه الاكاذيب. واليوم ، فان هذه الاحزاب تقوم بتنفيذ واجبات مهمة بشكل غير عادي، بما في ذلك تعميق تطور وتقدم الاشتراكية القائمة، والسعي لايجاد طريق لتحويل البلدان الرأسمالية والنامية نحو الاشتراكية، والبحث عن حلول للمشاكل العالمية التي تواجه العنصر البشري، بما في ذلك ، اولا وقبل كل شيء منع كارثة نووية.

Digitized by Birzeit University Library

الثـورة الاشتراكيـــة :

هي المصطلح الذى يستخدمه الماركسيون ـ اللينينيون للاشا رة الى التغيير الاجتماعي الاكثر عمقا في تاريخ المجتمع الطبقي، والذى يمتد جوهره في انتقال بلد معين من الرأسمالية الى الاشتراكية. وهي نتيجة لمتناقضات الحادة والصراع بين رأس المال والعمل، بين الطبقة العاملة والمستغلين (بالكسر). ان الاسباب الاقتصادية للثورة الاشتراكية تنبع من التناقض بين الطبيعة الاجتماعية للانتاج والعلاقات الاقتصادية الرأسمالية القائمة على الملكية الخاصة لوسائل وادوات الانتاج (الارض، المشروع، المصانع ..الخ). وتضع هذه الثورة نهاية لاستغلال الانسان للانسان، والاضطهاد ،وتزيل الملكية الخاصة، وتستبدلها بالملكية العامة ـ الاساس الاقتصادى للمجتمع والانتاج.

وتقود الثورة الاشتراكية الطبقة العاملة وحلفاءها ، الفلاحين، اولا وقبل كل شيء ، لاكتساب السلطة السياسية (الدولة) ، لهدم جهاز الدولة القديم واستبداله. بآلة الدولة الاشتراكية الجديدة.

وينتج عن هذا ديكتاتورية البروليتاريا ، او سلطة العمال والفلاحين. وكما تبين التجربة ،فان ثورة كهذه يمكن ان تحدث فقط عندما تصبح الشروط الضرورية لها ناضجة : الجماهير العاملة تصبح نشطة، بينما تبرز ازمة ووضع ثورى. ويمكن ان تكون الثورة الاشتراكية اما سلمية او غير سلمية . وهذا يعتمد على الظروف والشروط المحددة. وبعدانشاء سلطة الشعب كنتيجة للثورة الاشتراكية فان ثلاث مهمات يجب ان تنفذ : التصنيع، التعاون والثورة الثقافية .

ان الثورة الاشتراكية الاولى في تاريخ العنصر البشرى كانت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في عام ١٩١٧ في روسيا التي كانت في بداية هذا القرن، عنصرا ضعيفا داخل النظام الامبريالي. في روسيا تفاقمت فيها كل التناقضات للحد الاقصى الامر الذى ادى الى انتصار الثورة بقيادة الشيوعيين الروس. ان انتصار ثورة اكتوبر قد فتح عصرا تاريخيا جديداللانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية. لقد دمرت حيوية المجتمع الاستغلالي و سيرت ازمته العامة، وانقسم العالم الى معسكرين ـ الاشتراكي والرأسمالي .

ان القوانين العامة للثورة الاشتراكية التي تحكم انتقال المجتمع من الرأسمالية الى الاشتراكية تجسدت في ثورة اكتوبر. وزودت الطبقة العاملة العالمية بالخبرة التي قال عنها ف.ا. لينين انها" دخلت الى التاريخ كمكسب للاشتراكية" والتي عليها "سوف تنصب الثورة العالمية المستقبلية صرحها الاشتراكي" .

ثـورة التـحرر الوطنـــي :

هي جزء لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية التي تمثل نوعا مختلفا من النضال الطبقي ـ الاجتماعي للشعب العامل في المستعمرات السابقة واشباه المستعمرات. وهذا النوع من الثورة يقود الى تحولات سياسية واجتماعية عميقة في البلدان الاسيوية، والافريقية، وامريكا اللاتينية. انها تحرر البلد

Digitized by Birzeit University Library

من التبعية الكولونيالية وتلغي، على المدى البعيد، كل اشكال الاضطهاد الاجتماعي، بما في ذلك الاضطهاد الرأسمالي.

ان الاهداف الاساسية التي تسعى اليها ثورة التحرر الوطني هي: الحصول على الاستقلال السياسي، واعادة بناء جهاز الدولة وتدريجيا طرد الاحتكارات الامبريالية، وانشاء صناعة وطنية، والاصلاح الزراعي، والغاء النظام الاقطاعي والعلاقات الاقطاعية وبكلمات اخرى، فان ثورة التحرر ـ الوطني تنفذ مهمات ديموقراطية عامة. ولهذا الهدف فان جبهات عريضة للقوى الديموقراطية تشكل في البلدان النامية.

ويشكل الفلاحون القوى العددية الاقوى والباعث الاقوى في مثل هذه الثورات، اما القوة القائدة الاخرى فهي الطبقة العاملة، بالرغم من انها ما زالت صغيرة العدد وضعيفة في كثير من البلدان النامية. ولكنها تتميز بصمودها، وحزمها وعدم تسامحها مع كل اشكال الاستغلال والاضطهاد.

وفي الجانب الاخر، وبسبب من عدم استعداد الطبقة العاملة السياسي والايديولوجي والتنظيمي في بعض البلدان النامية فان هذا يقود عادة الى اوضاع يتصدر فيها ممثلو الشرائح الاجتماعية المتوسطة والديموقراطيون الثوريون ثورة التحرر الوطني التي تعتمد اساسا على الجماهير الفلاحية والمدينية غير البروليتارية واشباه البروليتارية.

ولا بد من التأكيد هنا على ان ثورة التحرر ـ الوطني لا تحل مهام البناء الاشتراكي. ان هدفها الاساسي هو تحرير البلد من الكولونيالية (الاستعمار) وتنفيذ الاصلاحات الديموقراطية العامة.

عن مجلة سوتسيالزم الاشتراكية
مبادئ، ممارسة، آفاق

Digitized by Birzeit University Library

تاريخ فلسطين الحديث
ترجمة فرنسية

كتاب الشهيد عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث ١٨٩٦ – ١٩٤٠ الذى كان قد صدر في اكثر من طبعة عربية حتى الان، وترجم الى الانكليزية، ترجم مؤخرا الى الفرنسية وتصدره في باريس منشورات "لارمنات".

هذا الكتاب كما يدل عنوانه هو عرض لتاريخ فلسطين في اواخر القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وهو بهذا المعنى يكاد يتفرد في اسلوب عرضه لتاريخ الوطن والقضية دون التوقف طويلا عند التفاصيل التي افردت لها كتب عديدة من قبله ومن بعده وكان مؤلفه قد اغتيل في لبنان في العام ١٩٨١. وهو على وشك البدء بكتابة جزء متمم له يتناول تاريخ الحقبة التالية.

"حكاية لم تنته بعد"
كتاب جديد لسلمان ناطور

صدر عن "دارالعماد" للطباعة والنشر كتاب" حكاية لم تنته بعد .." للكاتب سلمان ناطور ويحوى ثلاثين مقطوعة كان قد نشرها الكاتب في صحيفتي" الاتحاد" و "فلسطين الثورة" في عامي ١٩٨٤ – ١٩٨٥ . وهو الكتاب التاسع للكاتب .

كتب سوفييتية جديدة

" النصب والذئاب" لفاسيلي بيكوف: الذى التحق بالجبهة عام ١٩٤١ وهو في السابعة عشرة من عمره والذى قال بعدان غدا شهيرا: " في الجبهة فعلت ما فعله الجميع حاربت. شاركت في المعارك ودخلت المستشفيات بعد ان اصبت بجروح. وخدمت في مختلف الوحدات والتشكيلات بعد الشفاء. ورأيت على العموم ما رآه سائر المشاركين في الحرب". لقد عانى الكاتب ورأى الكثير .. وتظهر في قصصه التي حازت على جائزة الدولة في الاتحاد السوفييتي صورة حية لاهوال وبطولات الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الشعب السوفييتي ضد المانيا الهتلرية على ان مؤلفات بيكوف تستهدف في الاساس الحاضر والمستقبل فتذكرنا عبر كل صورة وجملة بما ينبغي ان يكون عليه الانسان وبالقيم والسجايا التي يتحلى بها وبحقه في السعادة. وتذكر بالمبادئ الاخلاقية التي يجب ان نتمسك بها في جميع الملابسات والظروف .

صدر الكتاب عن دار رادوغا – قوس قزح – في موسكو وهو من ترجمة خيرى الضامن ويقع في ٢٤٧ صفحة من الحجم المتوسط .

"الصامدون" – لبوريس غورباتوف : جاء على غلافها الخلفي: الفت قصة الصامدون في سنة ١٩٤٣ ايام الحرب الوطنية العظمى، في تلك الفترة كان بوريس غورباتوف (١٩٠٨ – ١٩٥٤) الكاتب السوفييتي المعروف. مراسلا حربيا. وبعد ان حرر الجيش السوفييتي الدونباس من الهتلريين. بدأ الكاتب يجمع المواد التي اصبحت عماد هذه القصة. وبعد ان استولى الهتلريون على احدى مناطق الدونباس، اعتقدوا انهم

Digitized by Birzeit University Library

اقاموا هناك نظامهم الجديد" غير ان سكان الدونباس — المواطنين السوفييت الذين لم يكفوا ولو للحظة واحدةعن ان يكونوا اصحابا لارضهم الحبيبة ، كان رأيهم غير ذلك ..

تعتبر قصة" الصامدون" واحدةمن افضل الكتابات عن الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ — ١٩٤٥). تقع القصة في ٢٣٩ من الحجم الصغير .

"مطلوب حيا" لفلاديمير كاربوف: يقص هذا الكتاب ، المآثر البطولية لرجال المخابرات العسكرية السوفييتية في اعوام الحرب الوطنية العظمى —..

ومؤلف الكتاب فلاديمير كاربوف كاتب مشهور نال لقب "بطل الاتحاد السوفييتي" لشجاعته وفي الكتاب مادة غنية من سيرة حياته .

يقع الكتاب في ٦٠٠ صفحة وترجمه الى العربية احمد يحيي وموفق الدليمي .

"صلاح عبد الصبور... الحيـاة والمـوت "

==========

في اطار سلسلة" كتاب المواهب" التي يصدرها قطاع الادب في المركز القومي للثقافة والفنون التشكيلية في القاهرة صدر كتاب جديد بعنوان "صلاح عبد الصبور .. الحياة والموت" من اعداد نبيل فـرج .

يقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة ويضم جميع الاحاديث الصحفية التي اجريت مع الشاعر الراحل مع مقدمة اشبه بدراسة تقويمية لتجربته في الشعر والمسرح والدراسة الادبية .

ومما يجدر ذكره ان صدور الكتاب ترافق والذكرى الرابعة لرحيل الشاعر .

رواية جديدة لماركيـز

==========

يعكف الكاتب الكولومبي الكبير غابريل غارسيا ماركيز الحائز على جائزة نوبل للاداب على وضع رواية تدور في ثلاثة اتجاهات : الحب والشيخوخة والموت . جاء هذا الخبر في سياق مقابلة اجرتها معه الناقدة الامريكية مارليس سايمونز المحررة في "النيويورك تايمز" ونشرت مؤخـرا .

حيث يقول :".. ان اكثر ما اخشاه هو الا يلبي جسدي ما تجيش به نفسي. فثمة لحظات يصبح فيها الجسد اقرب ما يكون الى شيء غير قادر على الحركة. لقد وصلت الان الى ما يمكن ان اسميه سن الـ "ابدا". بدأت اردد هذه الايام عبارات مثل: ابدأ لم اصب بمثل هذا الداء من قبل، ابدا لم اشعر بمثل هذا من قبل، ابدا لم اتنفس هكذا من قبل الخ ..

ان الشيء الاكثر اهمية هو ما يحسه الانسان في قلبه. انه لسر غامض. يراودني فضول وانا اكتب رواياتي الجديدة. اريد ان افهم كيف ستتصرف شخصيات الرواية .. انني اكتب لاعرف ايضا كيف يمكن ان تحدث الامور والى اين ستنتهي . حتى اكون قادرا على قراءتهـا ".

"قالـوا في المثـل"

عن جمعية الدراسات العربية بالقدس، صدر للاستاذ القدير عيسى عطاالله كتاب بعنوان "قالوا في المثل" وقد جاء الكتاب في جزئين، حيث احتوى الجزء الاول على الامثال النثرية بمجموع ٣٧٥ صفحة، وضم الجزء الثاني الامثال الشعرية بمجموع ١٢٢ صفحة. ويعتبر هذا الكتاب بمثابة موسوعة تراثية قيمة فريدة من نوعها ، لندرة الكتب والدراسات في هذا المجال.

Digitized by Birzeit University Library

«الكاتب»
الفهرس العام
دليل الاسماء والمواضيع
للسنة السادسة ١٩٨٥

سياسة

اسم صاحب المقال	عنوان المقال	رقم العدد	الصفحة
ابو وديدة	ـ لاى منهج سياسي صوت طلبة بيرزيت	٥٨	٤
الاسعد ، اسعد	ـ مرحلة من الاصطفاف الرجعي لضرب القضية الفلسطينية .	٥٩	٤
	ـ مصداقية الدعوة للحوار الوطني تتطلب التخلي عن نهج الانحراف	٦٤	٤
الاشهب ، نعيم	ـ بعض الدروس من الثورة الفيتنامية	٦٥	١٠
امين ، حسين	ـ الازدواجية والازدواجية المقابلة	٦٥	٤
برغوثي ، بشير	ـ مصالح طبقية ضيقة وليس وطنية وراء الاعتماد على امريكا	٦٧	٤
بورنو ، فضل ترجمة برغوثي ، سميح	ـ البرجوازية الطفيلية ونهج الانحراف	٦٣	٤
ت . سيفوناسوفكي	ـ الدور الامبريالي الامريكي يحوم فوق القارة الافريقية " سياسة ريغان الخارجية تهدد استقلالنا	٦٠	٢٩
الجريرى ، علي	ـ الشوفينية والكوزمبوليتية والحل الماركسي للمسألة القومية	٥٨	٦٣

Digitized by Birzeit University Library

رشا / الاتحاد السوفياتي	– الموقف السوفياتي من القضية الفلسطينية	٦٧	٤٠
عارورى ، تيسير	– في الجذور التاريخية والطبقية لنهج الانحراف اليميني الفلسطيني	٦٠	٤
	– مبادى اكتوبر ومواقف الاتحاد السوفييتي ازاء القضية الفلسطينية في فترة ١٩١٧ – ١٩٤٩	٦٨	٧
عاروري ، نصير	– منظمة التحرير الفلسطينية عند مفارق الطرق – العلاقات الاردنية	٦٣	١٣
	– الابعاد السياسية لمذبحة صبرا وشاتيلا الثانية .	٦٦	٤
عبد الرحمن ، خالد	– ثلاثة ايام غيرت وجه التاريخ وثلاثون شمعة على قبر الشهيد حسني بلال .	٦٠	٢
ترجمة ، سعيد هاشم			
فاديم ، تربيكوف	– الازمة البولندية – من الملوم ؟	٦٤	٥٤
مجدلاوى ، ياسر	– سياسة الولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط	٦٢	٤
محمود ، موسى	– المحادثات الاسرائيلية مع الاردن "ترجمة"	٦٢	١٨
هيئة التحرير	– تحالف ديموقراطي لا محاور جديدة	٥٨	٢
	– نحو توسيع قاعدة النضال لاسقاط اتفاق عمان .	٥٩	٢
	– المطلوب جبهة للتصدى على اسس كفاحية .	٦٠	٢
	– اليمين الفلسطيني – خطوات اخرى على درب الهوان .	٦١	٢
	– لن تذهب هذه التضحيات هدرا .	٦٢	٢
	– وقف نزيف الدم الفلسطيني هو المضمون الرئيسي لاتفاق دمشق	٦٣	٢
	– مبادرة "فتح" بين مرارة الواقع وصعوبة التطبيق .	٦٤	٢

Digitized by Birzeit University Library

	ـ البديل لواشنطن يعني التفريط بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني	٦٥	٢
	ـ القمع في المناطق المحتلة تعبير عن الازمة .	٦٦	٢
	ـ هل بقي مجال للتعامي البعض عن الحقيقة .	٦٧	٢
	ـ اى مجتمع يسعى الاخوان لبنائه	٦٦	٥٥
	ـ قضايا حرب النجوم وسباق التسلح ونزع السلاح ـ اسئلة واجوبة .	٦٧	١٦
	ـ تكريما لثورة اكتوبر	٦٨	٢

اقتصاد

برغوثي ، سميح	ـ زيتون الضفة الغربية الواقع والاحتياجات .	٦٦	٣٨
برغوثي ، سمير	ـ ثورة اكتوبر تفتح افاق التطور الاقتصادى	٦٨	٤٢
لجنة الاغاثة الزراعية	ـ الاهمية الاقتصادية للاغوار .	٥٨	٢٥
	ـ مشاكل حقيقية تهدد الزراعة في العوجا .	٦٦	٧٧

تحرر وطني

برغوثي ، سمير	ـ البرجوازية الفلسطينية وحق تقرير المصير .	٦٢	٢٨

تاريخ

بديري ، موسى	ـ عشر سنوات على رحيل المناضل الشيوعي رضوان الحلو .	٦٤	١٤

Digitized by Birzeit University Library

برغوثي ، بشير	ـ المصير التاريخي لثورة اكتوبر والثورة الامريكية	٦٨	٥
برغوثي ،حسين جميل	ـ دراسة في التاريخ الاقتصادى والاجتماعي لاحدى قرى منطقةيافا ـ قرية كفر عانا ـ (١)	٦١	٥٣
	ـ دراسة في التاريخ الاقتصادى والاجتماعي لاحدى قرى منطقة يافا ـ قرية كفر عانا (٢)٠	٦٢	٩٢
	ـ دراسة في التاريخ الاقتصادى والاجتماعي لاحدى قرى منطقة يافا ـ قرية كفر عانا ـ (٣) ٠	٦٣	٨٨
برغوثي٠ س ٠	ـ موءتمر بالطا	٦١	٤
ستاين ، كينيث	ـ الصندوق القومي اليهودى٠ اساليب		
ترجمة سمير حليلة	شراء الاراضي والاولويات ١٩٢٤ـ١٩٣٩	٦١	٦٣
شاهين ، محمد	ـ الحرب العالمية الثانية من ميونخ الى نورنبرع (١)	٦٢	٤٠
	ـ الحرب العالمية الثانية من ميونخ الى نورنبرع (٢)	٦٣	٥١
عارورى ، تيسير	ـ الحرب العالمية الثانية من ميونخ الى نورنبرغ (١)	٦٢	٤٠
	ـ الحرب العالمية الثانية من ميونخ الى نورنبرغ (٢)	٦٣	٥١
عبد الرحمن ، خالد لجنةالاعلام العلمي والتوثيق	ـ التحدى	٦٠	١٦
	ـ الحرب العالمية الثانية ـ ارقام ووقائع ـ	٦٥	٣٦

فلسفة

بدر، منير كريم	ـ نظرات لاهوتية للنظرية الماركسية اللينينية	٦٧	٤٥

Digitized by Birzeit University Library

قضايـــا عماليـــة

ابو ستـــة ، فايـــز	ـ مشاكل العمال الجزائريين في فرنسا	٥٨	٣٥
شريـــف ، ماهـــر	ـ الحركية الاجتماعية والطبقة العاملة العربية الفلسطينية في عهد الانتداب	٦٣	٣٦
الشيخ ، محمـــود	ـ الطبقة العاملة الفلسطينية والحركة النقابية في الضفة الغربيـــة	٦٢	٥٨

مجتمـــع

ادعيـــق ، اسماعيـــل	ـ دور المنظمات الجماهيرية في التنمية الريفية للمناطق الريفيـــة .	٦٦	٩
برغوثـــي ، ايـــاد	ـ الهجرة من الضفة الغربية المحتلة ، مسبباتها ، خطورتها ، دور الاحتلال فيها وسبـــل الحد منهـــا .	٦٣	٧١
بير نصير نيتسيف فيكتور	ـ اتجاهـــات نمو سكان العالـــم	٦٥	٥٢
الحســـن ، يوســـف	ـ العواصف الاجتماعية في منطقـــة الخليج العربـــي .	٦١	٤٣
ميروسلاف شتيبأن ، ميرسلان	ـ الشبيبة في العالم المعاصر التعليم .. العمـــل .. الحيـــاة ..	٦٠	٦٠
	ـ اتحادات الشبيبة الشيوعية ـ معلومات موجـــزة ـ	٦١	٨٩

قضايـــا المـــــرأة

برغوثـــي نهـــى	ـ في ختام عقد المرأة . مقارنة بيـــن مكتسبات المرأة في الدولتين الالمانيتين	٥٩	١٣
خريشـــة ، آمـــال	ـ المرأة العاملة في خضم الصـــراع الوطني الفلسطينـــي	٦٠	٧٠
دومانـي ، بشـــارة	ـ دور المرأة الفيتناميـــة والمـــرأة الفلسطينية في الصراع الوطنـــي	٦٦	٢٣
كاثي ، ميلافانـــس	ـ المرأة العاملة فـي خضـم الصـراع الوطني الفلسطيني .	٦٠	٧٠

Digitized by Birzeit University Library

كيميكن ، هانبريش	ـ كارل ماركس والنساء	٥٩	٢٨
هفركورن ، كاتيا	ـ كلارا زيتكن مناضلة في سبيل السلم	٥٩	١٩
وطنان ، عبدالعزيز	ـ الاسباب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لتشغيل المرأة وضرورة مساواتها بالرجل .	٦٦	٦٧
ـــ	ـ من سيرة حياة الثورية الفذة روزا لوكسمبرغ	٥٩	٢٢

ثقافة

هيئة التحرير	ـ أصداء ثقافية	٥٨	١٢٤
	ـ أصداء ثقافية	٥٩	١٢٥
	ـ اصداء ثقافية	٦٠	١٢٤
	ـ أصداء ثقافية	٦١	١٢٨
	ـ أصداء ثقافية	٦٢	١٢٨
	ـ أصداء ثقافية	٦٣	١٢٨
	ـ أصداء ثقافية	٦٤	١٢٨
	ـ أصداء ثقافية	٦٥	١٢٥
	ـ أصداء ثقافية	٦٦	١٢٦
	ـ أصداء ثقافية	٦٧	١٢٧
	ـ اصداء ثقافية	٦٨	١١٤
ريتامار روبرتو فيرنانديس	ـ التقدم الثقافي والاشتراكية ـ صنوان	٦٠	١٢٤
العراقي ، محمد	ـ في الذكرى التسعين لميلاد يسنين	٦٨	١٠٦

فنون

دباح ، كريم	ـ جذور الخلاف في الحركة التشكيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة	٦٧	٧٦
شحادة ، راضي	ـ رابطة التشكيليين الفلسطينيين في الضفة والقطاع " آمال وطموحات "	٦٥	٨١
	ـ المسرح الفلسطيني ـ مسيرته الشائكة بين الكر والفر .	٥٨	٥٣

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب			
صبيح ، محمد	ـ مأساة شاكر وشكرية في مسرحية "عندما يبعث الموتى"	٦٠	١٠٥
منصور، قاسم	ـ رابطة الفنانين التشكيليين تواصل مسيرتها	٦٥	١١٩
	ـ عندما يبعث الموتى ـ المسرح الفلسطيني والازمة ـ	٦٥	٨١
	تراث شعبي		
أعرار ، عبد العزيز	ـ دراسات فلكلورية حول تسميات الارض والانسان في قرية فلسطينية	٥٨	٧١
جريرى ،علي	ـ في يوم التراث لتتضافر الجهود من اجل الحفاظ على التراث الفلسطيني	٦٣	١٢٠
زياد ، مقبل	ـ دراسات فلكلورية حول تسميات الارض والانسان في حركة فلسطينية	٥٨	٧١
صافي ، صافي	ـ الاعتداد بالنفس في نماذج من الغناء الشعبي الفلسطيني .	٦٤	١٠٢
صالحة، محمود محمد	ـ موسم اربعة ايوب ووادى النمل	٥٩	٩٠
عطاونة ، عمر	ـ اغاني الخضيض او " خضي السقا "	٦٠	١٠٠
	تراث		
مروة ، حسين	ـ قضية الحرية الانسانية في الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي	٦٧	٦٩
	علوم		
برغوثي ، حسين جميل	ـ الفكر الاكاديمي السائد الى اين ؟	٦٧	٣٩
حسن ، عفيف	ـ البحث العلمي بين العالمية والخصوصية	٦٢	٨٨
زيداني ، سعيد	ـ السياسة التعليمية في الاردن الى اين؟	٦٣	٩١

Digitized by Birzeit University Library

	ـ الضوابط الاخلاقية والوطنية على البحث العلمي	٥٩	٣٢
	ـ وطنية المؤسسة الاكاديمية	٦٥	٢٩
شقير ، عدنان	ـ بدائل لاستخدام فضلات الحيوانات	٥٨	٧٦
عبد المجيد ، زكي	ـ البحث العلمي ضرورة موضوعية	٦٤	
محشي ، خليل	ـ التربية في الضفة الغربية وباء لا بد من القضاء عليه	٦١	٦٤
ياسين ، غسان	ـ لكي تنطلق	٦٠	٤٦
يوسف ،حسني احمد	ـ تركيب الاعمار لسكان الضفة الغربية	٦٢	٧٦
———	ـ الروح الاشتراكية والتقدم العلمي الثقافي	٦٨	٣٧

نقد

ابو النصر ، محمد	ـ الشي الذى ظل باقيا	٦٣	١١٤
ابو غوش ، ماجد	ـ قراءةجماعية في الحنون الجبلي	٦٧	٨٩
الاسطة ، عادل	ـ لقاء مع ناقد وثلاثة شعراء	٦١	٩٧
الاسعد ، اسعد	ـ اهيدعوة للادب الرائق ام هروب من محاسبة الضمير	٦٠	٥٢
ايفكين ، الكسي	ـ مأثرة الشعب ، مأثرة ادبه	٦١	٨٠
بطراوى ، خالد	ـ قراءة جماعية في الحنون الجبلي	٦٧	٨٩
بطراوى ، محمد	ـ الاديب المحلي الحقيقي	٥٨	٩١
	ـ رسائل وردود	٥٨	١٢١
	ـ رسائل وردود	٥٩	١٢١
	ـ رسائل وردود	٦٠	١٢١
	ـ رسائل وردود	٦١	١٢٥
التحرير ، هيئة	ـ رسائل وردود	٦٣	١٢٦
	ـ رسائل وردود	٦٦	١٢١
توما ، خليل	ـ لقاء مع ناقد وثلاثة شعراء	٦١	٩٧
جوهر ، ابراهيم	ـ فيالادب الفلسطيني	٦٤	١٠٩
	ـ حنون امامة يخفيه الضباب		١٠٣
خطيب ، محمد	ـ حول رواية "اخطية" خواطروتعليقات	٦٧	١٠٣
شحروري،صبحي	ـ الاديب المحلي الحقيقي	٥٨	٩١

Digitized by Birzeit University Library

صافي ، صافي	ـ حنا مينة والبحر	٥٩	٣٩
صالح ، عبد الناصر	ـ لقاء مع ناقد وثلاثة شعراء	٦١	٩٧
عقل ، عبد اللطيف	ـ لقاء مع ناقد وثلاثة شعراء	٦١	٩٧
علم " ال ، ابراهيم	ـ الشعر الفلسطيني في معتقلات الاسر	٥٩	٣٩
	ـ الرمز الموضوعي في قصص فضل الريماوي	٦٧	١٠٧
عيد ، عبد الرازق	ـ حوار مع حنا مينة ـ الروائي خالق الحياة	٦٤	٧٨
منصور ، فايز	ـ قراءة جماعية في الحنون الجبلي	٦٧	٨٩
يعقوب ، محمد	ـ السياب في " انشودة المطر " يصرخ من شدة الوجع .	٥٩	٦١
————	ـ الواقعية الاشتراكية ودور شولوخوف	٥٩	٤٨
————	ـ لقاء مع الشاعر السوداني المناضل د . جيلي عبد الرحمن	٦٠	٨٩
————	ـ لقاء مع الكاتب الكوبي روبرتو فيرناندیس ریتامار .	٦٠	٧٨
	وثائق		
————	ـ مشروع برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي للموءتمر ال ٢٧	٦٨	٨٨
	قصة		
بنورة ، جمال	ـ خمسة ايام في الفارعة	٦٥	٧٤
خفاجة ، عادل	ـ حتى يأتي الصباح	٥٩	٨٧
خفاجة ، عادل	ـ حتى يأتي الصباح	٥٩	٨٧
الاتحاد السوفييتي / ريم ـ	حكاية بحار	٦١	١١٢
طبنجة ، صبحي	ـ ليل في احشاء الليل	٥٩	٨٢
عطاونة ، فالح	ـ عن حلم الفقراء وثلاث نجوم تحمل بشرى الفرح	٦٧	١٠٩

Digitized by Birzeit University Library

عليان، محمد خليل	ـ "التحليق فوق الجدار" الجزء الثاني من قصة "ساعات ما قبل الفجر"	٦٦	٩٥
	ـ الى ان يعود	٦٠	١١٣
عيسة "ال" ، اسامة محيسن	ـ ازاهير	٥٨	١٠٤
	ـ يا طيور الطايرة	٦١	١٠٨
كيلاني "ال" سامي	ـ الفارعة لن تمضي في الاتجاه الاخر	٥٨	١٠٦
مرار، مصطفى	ـ ج٠أ٠س٠و٠س٠	٦٧	١١٧

شعر

ابو غوش، ماجد	ـ كلمات عن الحب والشعب	٥٩	١١٤
	ـ لاجلك	٦٤	١٢٣
ابو لبن، محمد	ـ يوميات الجوع	٥٨	١١٤
احمد، يعقوب	ـ الحاجز	٦٧	١٢٠
	ـ بيروت لم تنم	٦٤	١٢٥
الاسعد، اسعد	ـ حدد خطاك	٦١	١١٤
توما، خليل	ـ قصائد	٦١	١١٧
جريرى، علي	ـ مقاطع من نثرية رمل الموانى على جرح سعدبن صخر المهاجر	٥٩	١٠٦
	ـ نقوش شعرية على اطلال راعية	٦٢	١٢٣
خماش، امية	ـ حسان	٦٢	١٢٦
حامد، يوسف	ـ ايام من بقاياها عليّ	٦٧	١١٩
	ـ تبقى الشوارع خالية	٦٤	١٢١
	ـ في الرحيل	٥٩	١٠٢
	ـ لا بد من التلاقي	٦١	١٢٢
حسني، عبدالله	ـ الليل بطيء وانت سريع	٦٧	١٢١
سكالا، ايفان	ـ الصداقة	٦٨	١١٠
شريم، محمد	ـ ايه مراكش	٥٨	١١١
صباح "ال"، عدنان	ـ حروف من نار	٥٨	١١٤
صالح، عبد الناصر	ـ خارطة الفرج	٦٣	١١٢
صفدى "ال"، بيان	ـ القصيدة العراقية	٥٩	١١٩
عرقوب، محمد	ـ بكائية الاسئلة	٦٦	١١٤

Digitized by Birzeit University Library

فاينانوف ، اليتس	ـ في المسرح المشمس.. وسط الغابة	٦٦	١١٧
قطوش، عطالله	ـ الرحيل عن الرحيل	٦٠	١١٠
	ـ حتى يسقط الجدار	٥٩	١٠٤
هيجاوى، باسم	ـ التشظي	٦٥	١٢٠
	ـ شظايا	٦٤	١٢٢

نقد ومراجعة كتب

ايبّاروري، دولوريس	ـ الباسيونارية تتحدث	٦٥	٦٦
برغوثي، سمير	ـ قراءة في كتاب احمد سعد "التطور الاقتصادى في فلسطين"	٦٤	٧٢
بطراوى، محمد	ـ رواية (١٩٨٤) وعام (١٩٨٤) اين وكيف تحققت تنبؤات جورج أورويل بقلم ميلور ستوريا".	٦٣	٩٨
جار، جوان	ـ فيكتور .. انشودة لم تكتمل مع التشيليين ابدا"	٦٥	٧٤
سلحوت ،جميل	ـ السجن والوطن "تأليف فريدة النقاش"	٦٢	١٠١
شقير ، يحيي	ـ من وراء الإرهاب الدولي	٦٨	٨٢
عيسة "ال" ،اسامةمحيسن	ـ هل من اخبار عن القرية المصرية	٦٥	٦٤
كيلاني ،سامي	ـ الكتابة المحايدة في مجموعة "المعطف القديم"	٦٠	٩٤
يعقوب ، عنان	ـ بين اسطر رواية " الرعب والجرأة"	٦٣	٦٣

متفرقات

دباح ، كريم	ـ سبعة ايام "ليونيد فولينسكي" بمناسبة مرور اربعين عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية	٦٦	٩٥
رامي ، صالح	ـ مع بابلو نيرودا في مذكراته "اعترف انني قد عشت"	٦٦	٨٤

Digitized by Birzeit University Library

شاهين ، محمد	ـ الى نقابة المحامين ـ مع الاحترام ـ ـ دراسة نقدية لابحاث المحامين المتدربيـــن	٦٧	٥٧
شقيـر ، عدنان	ـ قراءٌ مختصرة في كتاب علم الوراثة للدكتور خليل الرشمـاوى	٦٦	١٢٤
غورباتشوف ،ميخائيل	ـ نحو المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتـي	٦٤	٣٤
ـــــــ	ـ النص الرسمي للاتفاق الاردنـــي ـ الفلسطينـــي .	٦٠	٨٨
ـــــــ	ـ بيان عن اللقاء الثاني للاحـــزاب الشيوعية والعمالية في منطقة البحر المتوسط والشرقين الادنى والاوسـط والبحـر الاحمـــر .	٥٨	٩٦
ـــــــ	ـ رسالـة الى المحـرر	٦١	١٢٤
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٢	١٠٧
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٣	١٢٢
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٤	١٢٦
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٥	١٢٣
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٦	١١٨
ـــــــ	ـ سؤال الى المحـــرر	٦٧	١٢٣
ـــــــ	ـ قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية	٦٧	١١٥
ـــــــ	ـ قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية	٦٨	١١٢
ـــــــ	ـ لقاء مع الاديب السوفياتي ميخائيل الكسييف بعنوان "مأثرة الشعـب ، ،مأثـرة ادبـــة" .	٦١	٨٠
ـــــــ	ـ لقاء مع ناقد وثلاثة شعـراء	٦١	٩٧
ـــــــ	ـ مهرجان جماهيرى على شـــرف الذكرى الاربعين للانتصار على النازية	٦٢	١١٣
ـــــــ	ـ هل المكرمة الملكة تنقذ حياة الكاتب	٦٧	٩٩
ـــــــ	ـ وفاة الدكتور اميل توما القائد الوطني البـــارز .	٦٥	١١٥

Digitized by Birzeit University Library

welfare for everyone!

ايفا شودكيفيتش ـ سفيدروفا (هولندا)

Digitized by Birzeit University Library

يانوتش هيبدا (بولندا)

AL-KATEB
For human culture
Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel: 250931
68
الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library